



جمعية مجموعة التفكير الإستراتيجي
Strategic Thinking Group Association

طوفان الأقصى

مجموعة التفكير الاستراتيجي
دراسة استشرافية تحت عنوان

طوفان الأقصى

الأبعاد والتفاعلات والتداعيات الاستراتيجية

أكتوبر 2024

إعداد

أ. كريم قرط • أ. سليمان بشارات • د. إياد أبو زنيط

+90 553 515 23 42 @stg.center



مقدمة :

أحدثت عملية طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، زلزالاً عظيماً في منظومة الأمن الإسرائيلي؛ أدى إلى خلخلة نظرية الردع الإسرائيلي وتأكلها، وأعدت العملية الاعتبار إلى الخيار العسكري بوصفه خياراً رئيسياً في عملية حسم الصراع مع الاحتلال، وبالقدر نفسه أعادت الاعتبار للقضية الفلسطينية بعد أن تراجع الاهتمام بها، ورسمت معالم جديدة في كيفية التعامل مع الاحتلال، وانبثق عنها العديد من النتائج والدروس والعبر.

ففي لحظة حاسمة من التاريخ وبعمق استراتيجي لا يُضاهى، استيقظ العالم على وقع عملية "طوفان الأقصى" التي أذهلت الجميع بجرأتها وتأثيرها. بلغت هذه العملية مستوى لم يكن متوقّماً، حيث كشفت عن هشاشة الجيش الإسرائيلي بصورة لم يتخيلها أحد. وحتى منظمو العملية لم يتوقّعوا الانعكاسات الكبيرة التي أفرزتها، وكان أهم تجلياتها استسلام مواقع عسكرية إسرائيلية بالكامل للمقاومة الفلسطينية.

جاءت هذه العملية كتعبير عن حالة الاحتقان التي سادت ما قبل نقطة التحول هذه؛ وتراكم الغضب جرّاء الجرائم الصهيونية المتكررة المرتكبة في حق المدنيين والمقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، لاسيّما بعد فشل جميع الوساطات والتفاهات لوقف الانتهاكات ضد حرمة المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين، ضمن سياسة ممنهجة لفرض التقسيم الزمني والمكاني، وفشل كافة اتفاقات التهدئة في لجم التوغّل الصهيوني. ففي ظل هذا الواقع، وغياب الخيارات السياسية البديلة (في ضوء قلّة الحلفاء الجديين والأصدقاء الحقيقيين، وفي ضوء محاولات تجاوز الحقوق التاريخية الفلسطينية تارةً بمسار التطبيع الإقليمي ومرةً بالتوظيف السياسي لنضالات وتضحيات الشعب الفلسطيني بدون مردود ملموس لمصلحة الفلسطينيين)، وتأثير ذلك كله على مستقبل القضية الفلسطينية ومكانتها إقليمياً ودولياً، وجدت المقاومة نفسها أمام لحظة الحقيقة، فإمّا أن تبقى ساكنة وتتفادى مواجهة قادمة لا محالة، حيث يتسارع معها المشروع الصهيوني في كافة الأرض الفلسطينية، ويفرض الحقائق والوقائع (من تهويد في القدس واستيطان في الضفة وحصار على غزة، وتواصل سياسات تعزيز الانقسام واستراتيجيات عزل الفلسطينيين)، ليتوج في نهاية المطاف بتصفية القضية الفلسطينية وإخضاع الفلسطينيين إخضاعاً نهائياً، وفقاً للتصورات والأفكار التي تعتنقها هذه الحكومة الأكثر تطرّفاً وفاشيةً في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي؛ وإما أن تطلق مبادرة استراتيجية تُغيّر المعادلات العسكرية والسياسية بعمل غير مسبوق على مدار حركة النضال الفلسطيني، يعيد الاعتبار للشعب الفلسطيني ويضع قضيته على رأس أجندة السياسة الإقليمية والدولية ويفتح الباب لكافة الاحتمالات لحل الصراع، وفقاً لتطلعات الشعب الفلسطيني في نيل الحرية والعودة والاستقلال، فكانت عملية طوفان الأقصى بعدما أيقنت

المقاومة أن تكلفة استمرار الوضع الراهن للقضية الفلسطينية أعلى من كسر حالة الجمود السياسي والميداني السائد في المنطقة والمُتضرّر الأول منه الفلسطينيون.

وفي إطار سعيها لمواكبة الأحداث الكبرى وتحليلها واستشراف مآلاتها، عمدت جمعية التفكير الاستراتيجي إلى استكتاب نخبة من الباحثين المختصين، لدراسة حدث طوفان الأقصى، دراسة تحليلية استشرافية، تستغرق لحظاته الثلاث: سياق الماضي الذي أنتجه؛ والعام الأول من مجرياته ووقائعه التي ما زالت تدور رحاها وتتطور؛ والفرص والتحديات التي تتصل بأهم اللاعبين الفاعليين في الحدث؛ وُصولاً إلى استشراف مآلاته المستقبلية.

ومن أبرز ما خلصت الدراسة إليه أن معركة طوفان الأقصى قد تحوّلت إلى صراع إقليمي على هويّة المنطقة وشكلها، بين قوى تسعى جاهدة للتطبيع وإدماج دولة الاحتلال في المنطقة، وقوى تحاول منع هذا السيناريو وتعيد تعريف القضية الفلسطينية وموقعها في العالم العربي والإسلامي بوصفها قضية مركزية للأمة، وتعيد تعريف المشروع الصهيوني بوصفه أساساً لكل المصائب والنكبات التي تصيب الأمة. وضمن هذا السياق، تتوفر جوانب إيجابية حدثت على صعيد الأمة، من أهمها تراجع البعد العربي في الصراع لحساب البعد الإسلامي الأعمّ، ذلك أن بعض الدول العربية أثرت الصمت، فيما لم تبذل دول أخرى أي سعي مؤثر في إيقاف العدوان أو كسر الحصار المطبق على غزة؛ مما منح الكيان الصهيوني الفرصة للاستمرار في عدوانه الغاشم. فيما برزت قوى إسلامية، عربية وغير عربية، مثل إيران وتركيا إضافة إلى حركات المقاومة الإسلامية في المنطقة، كداعمين ومساندين للقضية الفلسطينية.

وهذا الأمر هو، عملياً تصحيح للمسار، في ظلّ حالة الانحطاط العربي التي نعيشها. وإلى ذلك، فإنّ مجريات الحرب وتطورها قد أدت إلى تراجع حدة الصراع السني الشيعي، وهو أمر يُنتظر أن يكون له تأثير مستقبلاً في العديد من الأزمات في المنطقة، إن أحسنت القوى الفاعلة التقاط هذه الفرصة.

كما استطاع طوفان الأقصى أن يحدث حالة من الوعي الجمعي على مستويات متعددة، وأن يكسر معادلات عملت المنظومة الغربية على ترسيخها، تتمثل بقدرة إسرائيل ومكانتها في بناء المعادلات السياسية والقيمية والثقافية في الشرق الأوسط. فقد اصطدمت هذه المعادلات، التي تحاول إسرائيل الآن أن ترممها، بتحديات عديدة تتمثل في عدم القدرة على حسم أي مواجهة، فقدرة إسرائيل التي كانت تقوم على التفوق السياسي والعسكري لم تعد بذات الكفاءة التي كانت عليها في السابق، باعتبار أن حالة المواجهة الآن تؤسس ما يمكن أن يسمى بالمعادلة الوجودية، وهذا بحد ذاته يشكل واحدة من أكبر الرهانات الحالية والمستقبلية في المنطقة بعامة. وعليه، تتوفر متغيرات عديدة تشهددها المنطقة في المدى المنظور، قد يبني عليها تغيرات في البعد

الاستراتيجي. وهو ما يعني أن معركة طوفان الأقصى قد أسست لمرحلة تحويل لا يمكن الجزم بشكلها وطبيعتها، باعتبار أن التداعيات والتفاعلات ما زالت مستمرة.

أما فيما يتعلق بالفرص، فتعتقد الدراسة أن الفرصة الأهم اليوم تتمثل في إنهاء حالة الانقسام الفلسطيني، وتثبيت الفلسطينيين على أرضهم في غزة، منعاً لمشروع التهجير الذي لطالما شكّل هدفاً إسرائيلياً استراتيجياً، وما زال قائماً.

أما بالنسبة لإسرائيل، فعلى الرغم من تفوقها العسكري والتكنولوجي إلا أن ثمة إشارة يُمكن التقاطها من هذه الحرب تتمثل في القلق الوجودي الذي تعاني منه دولة الاحتلال، وعدم تمكنها على الرغم من وحشيتها المفرطة من تكريس استقرارها بعد عقود طويلة من تأسيسها، فهي ليست دولةً مستقلةً بل مَحْمِيَّةً أمريكِيَّة-أوروبيَّة، ممّا يطرح تساؤلاً جوهرياً مُهمّاً: إلى أي مدى يُمكن أن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا دولاً حامية لإسرائيل؟ وماذا إذا تغيّرت المعادلات الدولية؟

وعلى الرغم من الانتقادات الدولية لحرب السابع من أكتوبر، فإن الحكومة الإسرائيلية ترى في الحرب فرصة لتعزيز علاقاتها مع الدول الغربية، لاسيما الولايات المتحدة. كما أن الحرب قد تفتح المجال مسبقاً لتقوية التعاون الأمني مع الدول العربية "المطبعة"، التي تشترك مع إسرائيل في القلق من التهديدات الإقليمية المشتركة، إن رَسَت الحرب وفق ما تحبُّ وتشتهي. فيما تتيح الحرب للمعارضة الإسرائيلية فرصة لتقديم بدائل سياسية وأمنية للحكومة الحالية، لاسيما إذا استمرت الانتقادات حول فشل الحكومة في التنبؤ بالهجمات أو التعامل معها بفعاليَّة. إذ يمكن للمعارضة استخدام الحرب لتعزيز حضورها كصوت معارض قوي يقدم حلولاً أمنية وسياسية بديلة.

وبعد، لا بُدَّ من الإشارة إلى أنّ التطلع إلى النتائج النهائية والتحوُّلات المستقبلية المترتبة عليها هي عملية صعبة وغير يقينية، فالحرب لمّا تَضَع أوزارها بعد. ولذلك، فإنّ تناول هذا الموضوع هو أشبه بالسير في الرمال المتحركة، فالتحوُّلات متسارعة ومتغيرة بشدَّة، وبعضها يناقضُ بعضاً. وهو بُعدٌ إشكالي، لكنه يعبر عن خصيصة مهمة للدراسة الحالية، يتمثل في جرأتها، ورهانها على استقصاء السيناريوهات، بعد أن سعت لاستقصاء أبراز الأبعاد وتحليل أهم التفاعلات والتداعيات الراهنة.

والله نسال أن ينتفع بالدراسة ومنهجيتها غير قليل من المحللين والنخبويين، وجمعٌ غيرٌ من المُهتمين والغيورين من هذه الأمة.

رئيس جمعية مجموعة التفكير الاستراتيجي
محمد سالم الراشد

المحور الاول

طوفان الأقصى (سياقات الانفجار الحتمي)

أ. كريم قرط

باحث في مؤسسة ييوس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، رام الله

ملخص:

تناقش هذه الورقة السياقات التي أدت إلى حدوث عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، ويرى الكاتب أنه من الأجدى اعتبارات أن للعملية سياقات وليس عوامل وأسباب مباشرة، إذ إن العملية لم تسبق بأسباب مباشرة أو شرارة تصعيد وإنما كان لها سياقات أكل وأعدت وهذه السياقات متعددة ويؤثر بعضها في بعض.

وهذه السياقات تنقسم إلى سياقات داخلية وخارجية تتعلق بالحصار المفروض على قطاع غزة منذ أكثر من 17 عاماً، الذي حاولت حركة حماس تحديداً التخفيف من حدته بكل الطرق والوسائل ولكنها لم تنجح في ذلك، وأيضاً تصاعد مخططات ضم الضفة الغربية والتوسع الاستيطاني وعنف المستوطنين وبداية تهجير عدد من التجمعات البدوية الفلسطينية في الضفة الغربية، وتصاعد الهجوم على القدس والمسجد الأقصى، وتعثر التوصل لصفقة تبادل أسرى في ظل التصعيد المستمر تجاههم ومحاولة فرض قانون إعدام الأسرى. ومن ناحية أخرى كان السياق الخارجي عاملاً مهماً في حدوث العملية، إذ مع تصاعد موجة التطبيع مع دولة الاحتلال ورغبة السعودية في الانضمام لها على حساب الشعب الفلسطيني وقضيته ومحاولة تهميش القضية الفلسطينية وتحولها إلى شأن إسرائيلي داخلي تقريباً في ظل انشغال العالم في الحرب الروسية الأوكرانية والأزمات الاقتصادية وانشغال الدول العربية بأزماتها الداخلية أو الحروب الأهلية والصراعات البيئية وبناء التحالفات مع دولة الاحتلال. وعلى الجانب الإسرائيلي كان لصعود اليمين المتطرف وتشكيل حكومة تضم قادة المستوطنين أثر بالغ في ازدياد التصعيد ضد الشعب الفلسطيني ومحاولة تصفية القضية الفلسطينية وتطبيق ما يسمى بـ"حسم الصراع".

أمام هذه السياقات، كانت عملية طوفان الأقصى خياراً من لا خيار له، ك لحظة انفجار، غير أن المقاومة حاولت السير في مسار آخر وهو تفعيل المقاومة في الضفة الغربية كبديل عن عملية بحجم طوفان الأقصى. غير أن هذا المسار واجه عوائق جمة حاولت دون تطوره إلى مرحلة يصبح فيها مؤثراً بالقدر المطلوب، ومن أهم العوائق التي حالت دون تطوره هو رفض السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية لتطور المقاومة ومحاربتها بكل السبل والوسائل. وفي ذات الوقت كان الاحتلال يتجه للتصعيد ضد حركات المقاومة، عبر سياسة الاغتيالات لقادة المقاومة، لإجبارها على التراجع عن خيار تفعيل المقاومة في الضفة الغربية.

ولذلك، يجادل الكاتب في أن طوفان الأقصى كان انفجاراً مبنياً على تراكمات طويلة، ولم يكن مجرد قرار فردي اتخذ بمعزل عن فهم ميزان القوى في المنطقة وتأثيره على نتائج المعركة.

تمهيد:

لم تكن عملية "طوفان الأقصى" في 7 أكتوبر/تشرين الثاني 2023 حدثاً منبثاً عن سياق الأحداث والتطورات والتهديدات التي يواجهها الشعب والقضية الفلسطينية. ومع أن هذه العملية جاءت بمبادرة من المقاومة الفلسطينية، وتحديدًا حركة المقاومة الإسلامية حماس، كضربة استباقية مفاجئة أدت إلى تحقيق هزيمة استراتيجية للعدو في اليوم الأول للعملية، فإنها لم تكن مقدمة للاعتداءات والانتهاكات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني وإنما نتيجة لها.

ذلك أن طوفان الأقصى قد جاء نتيجة عوامل وأسباب وظروف متعددة كانت تمر بها القضية الفلسطينية داخلياً وخارجياً، وكانت هذه العوامل شديدة التداخل والتعقيد والتشابك والامتداد الزمني، إذ إن كل عامل يصب في توتير العوامل الأخرى وتصعيدها ما يحولها إلى أزمات مستعصية تساهم جميعها في تشكيل وضع عام قابل للانفجار. ونتيجة لطبيعة هذه الأزمات المستعصية فإنه من الأجدى التعامل معها على أنها سياقات للحدث وليس مجرد أسباب مباشرة له، فبعض الأزمات لم تبدأ منذ أشهر أو سنوات معدودة وإنما امتدت إلى مراحل زمنية ممتدة، خاصة مسألة حصار غزة وحالة تراجع القضية الفلسطينية وتهميشها.

سيكون الهدف من هذا البحث هو توضيح تلك السياقات وكيف ظلت تتصاعد وصولاً إلى لحظة الانفجار يوم 7 أكتوبر، وأن عملية طوفان الأقصى كانت نتيجة حتمية لهذه السياقات، مع أن أحداً لم يكن يتوقع أن يكون الانفجار على هذه الشاكلة مطلقاً، ولكن ذلك لا ينفي أن مجمل الأزمات المتصاعدة والمستعصية كانت تثير دائماً تحذيرات من أنها ستؤدي إلى انفجار كبير. وأبرز من كان يصدر هذه التصريحات هي السلطة الفلسطينية ومؤسساتها المختلفة، إذ إن الرئاسة الفلسطينية، على سبيل المثال، حذرت في شهر مارس/آذار 2023 من انفجار لن يستطيع أحد السيطرة عليه نتيجة التصعيد الإسرائيلي المتواصل بحق الشعب الفلسطيني¹. ما يعني أن طوفان الأقصى كانت حرب الضرورة التي لا مناص منها، ولم تكن حرب اختيار، وإنما حرب من لا خيار عنده إلا هي. وذلك، أيضاً، لا ينفي أن فصائل المقاومة كانت قد أعدت لها ووضعها كخيار ممكن الحدوث، عندما لا يكون غيره متاحاً.

على أية حال، سيكون هذا البحث منصّباً على نقاش هذه المجادلة من خلال استعراض السياقات والأزمات والظروف المؤدية لها، وهي بالدرجة الأساسية: الحصار المفروض على قطاع غزة، والأزمة الداخلية الفلسطينية، وصعود اليمين المتطرف لدى الاحتلال، وحالة التهميش الإقليمي والدولي للقضية الفلسطينية. ومن ناحية أخرى سيتناول البحث أسباب نجاح عملية طوفان الأقصى وفشل الاحتلال في توقعها أو منعها.

المبحث الأول: سياقات عملية طوفان الأقصى

• الحصار المفروض على غزة:

كان الحصار الإسرائيلي المفروض على قطاع غزة منذ عام 2006، الذي اشتدت وطأته بعد سيطرة حركة حماس على القطاع عام 2007، أحد العوامل الأكثر تأثيراً في مسار كل جولات التصعيد والاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة وصولاً إلى عملية طوفان الأقصى. دون أن يعني ذلك التقليل من تأثير العوامل الأخرى الخطيرة على قرار التوجه إلى المواجهة الشاملة المفتوحة مع الاحتلال.

¹ الرئاسة الفلسطينية تحذر من انفجار لن يستطيع أحد السيطرة عليه، وكالة ليوان الإخبارية، 2023/3/22: <https://www.liwannews.ps/ar/node/2993>

فقد شهدت الأشهر القليلة السابقة على عملية طوفان الأقصى تزايداً في تشديد الحصار، تراكمت أيضاً مع اضطرابات خطيرة داخل القطاع احتجاجاً على تدهور الأوضاع المعيشية فيه. ولم تنجح معه كل المحاولات التي اتخذتها حركة حماس للتخلص منه أو التخفيف من آثاره، سواء طوال السنوات السابقة التي تلت فرض الحصار أم خلال الأشهر التي سبقت طوفان الأقصى. ومع أن أمد هذا الحصار طال وامتد لأكثر من 17 عاماً، فإن الاهتمام الدولي والإقليمي بهذه القضية، التي تعتبر إنسانية بالدرجة الأولى، كان شبه غائب، إلا في حالات محدودة، مثل أسطول الحرية عام 2010، الذي هاجمته قوات الاحتلال وارتكبت مجزرة بحق النشطاء المشاركين فيه.

وعلى العكس من ذلك، فقد ساهمت بعض الأطراف الإقليمية والفلسطينية في مضاعفة الآثار الكارثية للحصار. فبعد الانقلاب على الرئيس محمد مرسي عام 2013 كتّف النظام المصري عملية هدم الأنفاق التي كانت تربط بين قطاع غزة وسيناء المصرية، إذ يُقدّر عدد الأنفاق التي هدمها أو أغرقها الجيش المصري بأكثر من ألفي نفق، كانت بمنزلة المتنفس البديل لأهالي القطاع في ظل حالة الحصار المفروضة. كما أقدمت السلطات المصرية إنشاء منطقة عازلة بين القطاع وسيناء وإغلاق معبر رفح إغلاقاً شبه كامل.²

وعلى مدار 17 عاماً ظلت آثار الحصار ومؤشراته تزداد سوءاً، فنسبة الفقر بلغت في القطاع 62% من مجمل السكان البالغ عددهم قرابة 2.2 نسمة،³ فيما بلغ عدد العاطلين عن العمل في غزة حتى الربع الأول من عام 2023، قرابة 247 ألف عاطل عن العمل، أي قرابة 46% من القوى العاملة، وترتفع النسبة بين الشباب لتصل إلى قرابة 62%، وبين المتعلمين إلى أكثر من 70%.⁴ وإضافة إلى ذلك، نتيجة لضعف موارد حكومة غزة وحالة الحصار المفروضة لم يكن موظفو الحكومة البالغ عددهم 40 ألفاً، يتلقون إلا ما نسبته 60% من رواتبهم، أي قرابة 150 دولار في الشهر، لا تكفيهم إلا لسد رمقهم، منذ عام 2013. وهذا ما جعل عشرات آلاف الأسر في غزة تعتمد على المساعدات والمعونات المادية والغذائية من المؤسسات الدولية والإغاثية.⁵ وإلى ذلك، فقد ظل أهالي القطاع يعانون من نقص في المياه النظيفة ونقص في الكهرباء، التي كانت تقطع يومياً من 12-16 ساعة، ونقص في الأدوية والعلاج والمستلزمات الطبية، وتضييق شديد على حرية الحركة والتنقل خارج القطاع وحرية التبادل التجاري، ومنع العديد من السلع والبضائع من الدخول للقطاع.⁶

سعت حركة حماس، كونها الجهة الحاكمة للقطاع، إلى فك الحصار أو التخفيف من آثاره بطرق مختلفة. ولعل معركة "العصف المأكول" عام 2014، التي خاضتها فصائل المقاومة رداً على العدوان الإسرائيلي، كانت المحاولة الأبرز التي سعت خلالها حركة حماس إلى توظيف القوة العسكرية لتحقيق هدف فك الحصار. إذ إن فصائل المقاومة طرحت مجموعة من المطالب للتوصل إلى تهدئة جُلها يتعلق بفك الحصار عن القطاع، وكان أبرزها المطالبة بإنشاء ميناء بحري ومطار للقطاع وفتح المعابر وتوسيع منطقة الصيد البحري.⁷ غير أن الاحتلال الإسرائيلي لم يستجب لمعظم هذه المطالب، ولم تسهم المعركة في تخفيف

² قصة تطويق غزة.. وثائق تكشف كيف دمرت مصر أكثر من 2000 نفق في 5 سنوات، نون بوست، 2024/5/18: <https://www.noonpost.com/214660>

³ خنق وعزلة: 17 سنة من الحصار الإسرائيلي على قطاع غزة، المركز الأورومتوسطي لحقوق الإنسان، <https://euromedmonitor.org/ar/gaza>

⁴ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، مسح القوى العاملة الربع الأول 2023، 2023/5/10:

https://www.pcbs.gov.ps/portals/_pcbs/PressRelease/Press_Ar_LFSQ012023A.pdf

⁵ يوسف فارس، العيش بأقل من 150 دولاراً: هكذا تضيق غزة بأهلها، جريدة الأخبار اللبنانية، 2023/8/28:

<https://linkshortcut.com/vDiuB>

⁶ خنق وعزلة، المركز الأورومتوسطي، مصدر سابق.

⁷ طالع مطالب المقاومة.. هنية: شروط المقاومة الفلسطينية هي الحد الأدنى لأية تهدئة قائمة، دنيا الوطن، 2014/7/21: <https://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/07/21/570221.html>

الحصار بشكل جدي، بل إن الاحتلال تعمد انتهاج سياسة تدميرية في القطاع فاقت ظروف الحصار تراكمت مع وضعه لقيود شديدة على مسألة إعادة الإعمار التي ظلت عالقة وتشكل عبئا إضافيا طوال السنوات اللاحقة.

ربما تكون هذه النتيجة هي التي حافظت على نوع من التصعيد المضبوط قرابة 8 سنوات، حتى عملية سيف القدس في أيار 2021. ولذلك عملت حركة حماس على إيجاد وسائل أخرى للتخفيف من آثار الحصار، أهمها التوجه للمصالحة مع السلطة الفلسطينية في رام الله والعمل على التقارب مع النظام المصري، وأيضا محاولة استثمار مسيرات العودة التي بدأت عام 2018 واستمرت حتى عام 2019 للضغط على الاحتلال في سبيل رفع الحصار عن القطاع.

غير أن هذه المحاولات لم تأتي بنتائج مؤثرة، ففي حالة المصالحة مع السلطة الفلسطينية، على الرغم من اللقاءات والاتفاقات المتعددة التي عقدت بين الطرفين، خاصة اتفاق الشاطئ عام 2014 واتفاق القاهرة عام 2017، إلا أن جهود المصالحة تعثرت ولم تتحول إلى خطوات حقيقية. نتيجة إصرار السلطة الفلسطينية على تمكين حكومة الوفاق (حكومة رامي الحمد الله) في قطاع غزة واشترائها نزع سلاح المقاومة، تحت مسمى سلاح شرعي وحيد، والاشتراط على حماس الالتزام ببرنامج منظمة التحرير والتزاماتها السياسية، أي اتفاق أوسلو وتوابعه. وقد وصلت الأمور إلى مرحلة انهيار كامل عقب حادثة استهداف موكب رئيس الوزراء رامي الحمد الله في غزة، تبادل على أثرها كلا الطرفين المسؤولية عنها.⁸

في مقابل التعثر في تطبيق اتفاقات المصالحة توجهت السلطة الفلسطينية إلى فرض عقوبات اقتصادية قاسية على قطاع غزة منذ مارس/آذار 2017، وقد رهن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس التراجع عن العقوبات بحل حركة حماس للجنة الإدارية التي شكلتها لإدارة قطاع غزة، ومع أن حماس قد حلتها إلا أن السلطة لم تتراجع عن عقوباتها، بل ضاعفتها. وكان لهذه العقوبات أثر بالغ في مضاعفة آثار الحصار المفروض على قطاع غزة وتردي الأوضاع المعيشية لأهاليه.⁹

في مسار آخر، تمكنت حركة حماس من تحسين علاقاتها مع النظام المصري، الذي انخرط بشكل فعال في ملف التهدئة في القطاع إلى جانب ملف المصالحة. وقد حصلت الحركة منه على وعود باتخاذ إجراءات اقتصادية وتجارية وإنسانية لتخفيف آثار الحصار الإسرائيلي، عقب التقارب بينهما عام 2017، أو حتى تلك الوعود التي تراكمت مع الجهود المصرية للتهدئة عقب عملية سيف القدس 2021. إلا أن تلك الوعود لم تترجم إلى خطوات عملية على الأرض وبقيت ضمن حدود معينة لا تتجاوز سقف الحصار الإسرائيلي نتيجة ضغوط الاحتلال على مصر واعتراضات السلطة الفلسطينية التي رفضت الخطوات المصرية لتخفيف آثار الحصار.¹⁰

وليس خفيا أن السلطة الفلسطينية قد عملت بطرق مختلفة لمضاعفة آثار الحصار، ومن أهمها العقوبات التي فرضتها على غزة منذ عام 2017 وما تلاها عام 2019، إذ استهدفت هذه العقوبات بالأساس موظفي السلطة، الذين دعتهم إلى الاستنكاف عن عملهم عقب سيطرة حماس على القطاع عام 2007، المحسوبون بشكل أساسي على حركة فتح، بما شمل إحالة الآلاف إلى التقاعد الإجباري وخصم نسب عالية من رواتبهم وقطع رواتب أسرى محررين وعقوبات أخرى تتعلق بالتحويلات الطبية والإيرادات

⁸ ساري عرابي، مسارات المصالحة: جذور الأزمة وبدائل التجربة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، يناير 2021:

<https://linksshortcut.com/TYvRb>

⁹ إبراهيم مقبل وآخرون، أثر العقوبات التي تفرضها السلطة الفلسطينية على قطاع غزة، المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات

الاستراتيجية – مسارات، 2018/8/28: <https://linksshortcut.com/iMRDM>

¹⁰ رجب المدهون، صيف خانق آخر تعيشه غزة | سراب الوعود: القاهرة محكومة بالسقف الإسرائيلي، جريدة الأخبار اللبنانية، 2023/8/15:

<https://linksshortcut.com/wFTnH>

والوقود التي تمس كل المجتمع.¹¹ وقد كانت السلطة تهدف من وراء هذه الإجراءات، بشكل واضح، إلى دفع الجماهير للانتفاض في وجه حماس وإسقاط حكمها في غزة.¹² ولذلك كانت ترافق حملة العقوبات على القطاع اعتراضات من السلطة على أية إجراءات يمكن أن تساهم في تخفيف حدة الحصار، وقد صرّح محمد اشتية، عضو اللجنة المركزية في فتح، أنهم لا يريدون أن تنفس مصر الإجراءات التي اتخذتها السلطة بحق غزة، في إشارة إلى التسهيلات المصرية التي أعقبت التفاهات مع حماس.¹³

مع اشتداد آثار الحصار وتعثر جهود المصالحة والتعنت الإسرائيلي في تنفيذ بنود التهدئة المتفق عليها عام 2014، توجهت حركة حماس، وبقية فصائل المقاومة، للاستثمار في مسيرات العودة التي بدأت منذ مارس/آذار 2018 واستمرت حتى أواخر عام 2019. فقد بدأت فكرة مسيرات العودة كمبادرة شبابية، غير مقتصرة على قطاع غزة، تنادي بحق العودة الفلسطيني. ولكن في غضون أيام انضمت إليها الفصائل الفلسطينية وشكلت هيئة تحت مسمى "الهيئة الوطنية العليا لمسيرة العودة وكسر الحصار"، ليكون ذلك إيذانا بتوظيف هذا التحرك الجماهيري الشعبي في خدمة هدف فك الحصار أو التخفيف من آثاره.¹⁴ وبطبيعة الحال، فإن هذا التحرك الجماهيري كان بديلا ممكنا للضغط على الاحتلال في ما يتعلق بملف الحصار، من الذهاب لمواجهة عسكرية أخرى ليس من المؤكد لم تؤد إلى نتائج كبيرة بالمقارنة مع الأثمان التي ستدفع خلالها، بناء على تجربة عدوان 2014.

ومن ناحية أخرى، فقد كانت هذه المسيرات تصديرا للضغط الداخلي في قطاع غزة نحو الجهة التي تتسبب بكل الظروف المعيشية المأساوية في قطاع. إذ إن القطاع كان يشهد حالة غليان شعبي، تفاقمت مع فرض عقوبات السلطة وتزايدها المستمر، فقد شهد القطاع موجة احتجاجات شعبية عارمة في مطلع عام 2017 كانت شرارتها تقلص ساعات وصول الكهرباء من 8 ساعات يوميا إلى 4 فقط. صحيح أن حماس قد تمكنت قمع الاحتجاج وتحسين واقع الكهرباء بمساعدة من قطر،¹⁵ إلا أن استمرار سوء الأوضاع المعيشية والاقتصادية سيؤدي حتما إلى تجدد الاحتجاجات ما قد يؤدي إلى سيناريوهات خطيرة داخليا.

غير أن مسيرات العودة لم تؤدي إلى نتائج كبيرة فيما يتعلق برفع الحصار بالمقارنة مع تكاليفها الباهظة، فقد أدت إلى استشهاد 217 من المشاركين فيها إضافة إلى آلاف المصابين.¹⁶ وكنيجة لمسيرات العودة، وحالة التوتر المرافق لها، بدأت قطر، في مسعى للحفاظ على التهدئة وتخفيف آثار الحصار، بتقديم ما بات يعرف بـ"المنحة القطرية" منذ أواخر عام 2018. إذ رصدت قطر حينها مبلغ 150 مليون دولار تصرف لدعم تشغيل محطة وتوليد الكهرباء والأسر الفقيرة والمساهمة في رواتب موظفي القطاع على مدار 6 أشهر، وقد جرى تجديد المنحة عدة مرات لاحقا.¹⁷

لعل الانفراجة الملموسة في ملف الحصار جاءت عقب عملية "سيف القدس" في مايو/أيار 2021، فخلال السنوات السابقة ظلت الأمور تراوح مكانها بشكل عام. غير أن الاحتلال بعد المعركة توجه لمنح بعض التسهيلات الاقتصادية لقطاع غزة ضمن إطار التهدئة، من قبيل فتح المعابر التجارية وزيادة كمية شاحنات البضائع التي يأذن بدخولها للقطاع وتوسيع منطقة الصيد البحري، ولكن الأمر اللافت هو منحه تصاريح

¹¹ ضياء خليل، السلطة الفلسطينية تبدأ بتطبيق عقوبات ضد غزة، العربي الجديد، 2023/1/3: <https://linksshortcut.com/QzhFO>

¹² الصحافة الإسرائيلية: عباس يحضر لانتفاضة ضد حماس بغزة، الجزيرة نت، 2017/8/24: <https://linksshortcut.com/BdwaT>

¹³ قيادي بفتح: لا نريد لمصر تنفيس إجراءاتنا ضد غزة، صحيفة السبيل، 2017/7/10: <https://linksshortcut.com/lHbzJ>

¹⁴ ثابت العمور، مسيرات العودة... من فكرة شبابية إلى هيئة فصائلية، العربي الجديد، 2019/3/23:

<https://linksshortcut.com/JoyUA>

¹⁵ حماس توقف احتجاجات الكهرباء في غزة لكن الغضب ما زال مستمرا، القدس العربي، 2017/1/19:

<https://linksshortcut.com/ixlxa>

¹⁶ إحصائيات ضحايا مسيرات العودة: من 30 مارس 2018 – 31 ديسمبر 2021، مركز الميزان لحقوق الإنسان:

<https://linksshortcut.com/TcupT>

¹⁷ قصة المنحة القطرية لغزة، جريدة الأخبار اللبنانية، 2020/3/3: <https://al-akhbar.com/Palestine/285016>

عمل في السوق الإسرائيلية لعمال من قطاع. كان أحد الأسباب التي تقف وراء هذه الخطوة هو محاولة الاحتلال تخفيض التوترات الأمنية التي تتبع من تردي الأوضاع الاقتصادية الناتجة عن الحصار الإسرائيلي المفروض على القطاع. لكن العدد الإجمالي للعمال لم يتجاوز عتبة 20 ألف عامل في أحسن الأحوال، وهذا العدد لم يخفض نسبة البطالة في القطاع إلا من 47% إلى 44% في أحسن الأحوال.¹⁸

في تقديرنا، أن السبب الرئيسي الذي دفع الاحتلال لتقديم نوع من التسهيلات الملموسة عقب عملية سيف القدس 2021، على خلاف المرات السابقة، هو التغيير الذي طرأ على استراتيجية حماس في توظيف قدراتها العسكرية. ففي حين كان واضحاً أن خيار القوة العسكرية، في معركة 2014، كان يمتحور بالدرجة الأولى حول فك الحصار عن قطاع غزة، أي أنه كان منحصراً في إطار القطاع نفسه، ولكن معركة سيف القدس انطلقت من إطار فلسطيني أعم، وظفت خلاله المقاومة قوتها العسكرية، لا فيما يتعلق بحصار غزة فقط، وإنما بما يتعلق بالعنوان على القدس والمسجد الأقصى. ولذلك فإن الاحتلال سعى إلى احتواء حماس وتقييدها عن ربط خيارات التصعيد بما يحدث في الضفة الغربية والقدس والداخل المحتل؛ من خلال التسهيلات الاقتصادية عقب 2021. وفي هذا الإطار، فإن أي تدخل من طرف المقاومة في قطاع غزة بما يجري ببقية فلسطين سيؤدي إلى وقف التسهيلات الاقتصادية ما يؤدي إلى مضاعفة الآثار الكارثية للحصار. ولذلك كانت سياسة الاحتلال أن تظل أدوات تخفيف الحصار بيده ومن خلاله، ليتحكم بها وقت ما يشاء بناء على تطورات الظروف، سواء فيما يتعلق بموضوع العمال أو المنحة القطرية أو المعابر وغيرها.

بالمجمل، لم تؤدي هذه الخطوات إلى أية حلول جذرية للحصار أو إلى إحداث تنمية حقيقية في القطاع، وظلت مؤشرات الحصار من سيء إلى أسوأ، ولم تكن التسهيلات إلا وسيلة للابتزاز واحتواء فصائل المقاومة وشراء للهدوء في قطاع غزة أو لمنع المقاومة من التدخل في ساحات أخرى.

من المنطقي القول أن المقاومة، لا سيما حركة حماس، توصلت إلى قناعة بأن كل الحلول والخطوات التي اتخذت سابقاً للتخلص من الحصار أو التخفيف من آثاره قد باءت بالفشل، فجولات التصعيد العسكري ومسيرات العودة والتفاهات مع مصر وتفاهات المصالحة مع السلطة الفلسطينية لم تأتي إلا بنتائج محدودة ومؤقتة. كما أن العودة لأي وسيلة سابقة ليس من المتوقع أن يحدث معها أي تقدم، خاصة أن الناس في غزة لم يجدوا أن النتائج المحدودة التي تتحقق لا تتوافق مع حجم التضحيات المهور التي يدفع مقابلها.

ويترافق مع ذلك الخشية من الانفجار الداخلي الذي سيأتي عاجلاً أم آجلاً، نظراً إلى حالة الفقر والانهيار الاقتصادي، التي تلجأ معها حكومة حماس في القطاع إلى اتخاذ إجراءات غير شعبية مثل فرض الضرائب لدعم إيراداتها الحكومية، ما يؤدي إلى ردات فعل شعبية غاضبة واحتجاجات واجهتها حماس دائماً بالقمع خشية من تحولها إلى محاولات لإسقاطها. وهذا ما حدث عام 2017، ثم تكرر مع حراك "بدنا نعيش" عام 2019، الذي تكرر أخيراً في أواخر شهر تموز/يوليو 2023.

فمع استمرار الحصار، وتوقف المنحة القطرية نتيجة الاعتراض الإسرائيلي على صرفها، وتوقف برنامج الغذاء العالمي عن تقديم خدماته في القطاع لنقص التمويل،¹⁹ واستمرار السلطة الفلسطينية في فرض عقوباتها على القطاع؛ خرجت مظاهرات احتجاجية عارمة في القطاع في 30 يوليو/تموز 2023،

¹⁸ مهند مصطفى، تشغيل العمال الفلسطينيين من قطاع غزة في إسرائيل: الدوافع والتحديات، مركز الإمارات للسياسات، 2022/5/10: <https://2u.pw/c8uGrVDQ>

¹⁹ إسماعيل عبد الهادي، توقف المنحة القطرية ومساعدات برنامج الأغذية العالمي يعمق معاناة فقراء غزة، القدس العربي، 2023/6/3: <https://linksshortcut.com/ljAaq>

واجهتها الأجهزة الأمنية في قطاع غزة بالقمع الشديد.²⁰ ومع أن حماس تمكنت من قمع الاحتجاج إلا أن عوامله بقيت موجودة، وما يجعل عودته، العاجلة أم الأجلة، مجرد مسألة وقت.

تجدد الإشارة إلى أن ما سبق لا يعني أن هدف حماس كان المحافظة على حكمها في القطاع كغاية في حد ذاتها، إذ إنها في إطار اتفاقيات المصالحة قد تنازلت عن كثير من القضايا، كالسيطرة على معبر رفح وتنازلها عن أية حقيبة وزارية وغير ذلك. ومن ناحية أخرى، لو كان الحال كذلك لوافقت حماس على نزع سلاحها والتخلي عن مشروع المقاومة والاعتراف بإسرائيل، وكانت بذلك ستحافظ على حكمها في القطاع وتعززه، وأيضاً سيؤدي ذلك إلى التخفيف الجدي من آثار الحصار وربما رفعه كلية، حسب ما كان يعرض عليها من مبادرات.²¹

● حالة الاستعصاء الفلسطينية:

مرت القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة بجملة من التطورات الخطيرة التي كانت تحتم الوحدة الوطنية واتفاق الفصائل والقوى الفلسطينية على استراتيجية وطنية نضالية موحدة لمواجهة التحديات التي تواجه القضية الفلسطينية؛ بداية من طرح الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب لمشروعه المعروف بـ"صفقة القرن"، ودعمه لمسار التطبيع بين الدول العربية والاحتلال وصولاً إلى قدوم حكومة اليمين المتطرف في إسرائيل مطلع عام 2023 وما يمثله ذلك من مخاطر حقيقية تواجه الشعب الفلسطيني وقضيته. غير أن مسار الوحدة الوطنية تعثر دائماً لأسباب مختلفة من أهمها أن الرئيس عباس كان يحاول دائماً استخدام المصالحة مع حماس كورقة مفاوضة أمام الأمريكيين والإسرائيليين، إضافة إلى رفضه أي تراجع عن خيار التسوية وتوجهه لفرض العقوبات على قطاع غزة.

وكان أبرز مظهر من مظاهر تأزم الوضع الفلسطيني هو إقدام الرئيس عباس على إصدار قرار منفرد بتأجيل الانتخابات التشريعية التي كان من المزمع عقدها في شهر مايو/أيار 2021، في انقلاب على جملة التفاهات مع الفصائل الفلسطينية في جولات الحوار السابقة في إسطنبول التي جاءت في ظل التحولات التي تشهدها المنطقة وتوجه عدد من الدول العربية للتطبيع مع الاحتلال. ومع أن عباس تذرّع بعدم قبول الاحتلال بإجراء الانتخابات في القدس كسبب لتأجيل الانتخابات إلى أجل غير مسمى، إلا أن الحقيقة هي أن تشتت حركة فتح، التي ترشحت عنها ثلاث قوائم للانتخابات، وخشية قيادة السلطة من خسارة الانتخابات في ظل ترشح القائد الفتاوي الأسير مروان البرغوثي وتقدم حماس في استطلاعات الرأي، إضافة إلى الضغوط الإقليمية والإسرائيلية كانت هي السبب الحقيقي وراء هذا القرار. وقد أدى ذلك إلى تأزيم الوضع الفلسطيني وإعادة الأمور إلى نقطة الصفر.²²

شكلت معركة سيف القدس في مايو/أيار 2021 فرصة لإعادة تحريك المياه الراكدة في ملف الوحدة الوطنية، لا سيما أنها كانت الحدث الذي أسس للمفهوم الذي سيتطور لاحقاً تحت عنوان "وحدة الساحات" التي يقصد فيها بالدرجة الأولى الساحات الفلسطينية، بما يشمل الضفة الغربية والداخل المحتل وقطاع غزة، في مسعى لتجاوز قيود الجغرافية الاستعمارية.²³ ولذلك عملت فصائل المقاومة الفلسطينية على

²⁰ اتهامات لـ"حماس" بقمع تظاهرات شعبية تحتج على تدهور الأوضاع المعيشية في غزة، القدس العربي، 2023/8/1:

<https://linksshortcut.com/jLtrt>

²¹ خطة مصرية إسرائيلية لتجريد غزة من السلاح مقابل رفع الحصار، عربي 21، 2019/3/12:

<https://linksshortcut.com/YQsGT>

²² عدنان أبو عامر، تأجيل الانتخابات الفلسطينية: الأسباب والتداعيات، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، 2023/5/7:

<https://linksshortcut.com/BNAcZ>

²³ صالح الحاج حسن، معركة سيف القدس في الميزان (رمضان 1422 هـ - أيار/مايو 2021)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات،

مايو/أيار 2021: <https://linksshortcut.com/TblXE>

إعادة تفعيل المقاومة في الضفة الغربية لتحويل مفهوم وحدة الساحات إلى واقع على الأرض، وبما يضمن تقاسم العبء النضالي بين مكونات الشعب الفلسطيني كافة في كل الجغرافية الفلسطينية في ظل التحديات الخطيرة التي تواجهها القضية الفلسطينية.

ولكن مع استمرار حالة التآزم الفلسطيني وتعمقها، فشلت أيضا محاولات المصالحة والتوافق على برنامج وطني موحد عقب قدوم حكومة اليمين المتطرف لدى الاحتلال. فبالترزامن مع عملية الاحتلال العدوانية على جنين في مطلع شهر يوليو/ تموز 2023، دعا الرئيس محمود عباس إلى اجتماع للأمناء العاميين للفصائل الفلسطينية لمواجهة المخاطر التي تحيق بالقضية الفلسطينية²⁴. وقد عقدت بعض اللقاءات الفصائلية الثنائية قبل هذا الاجتماع الذي انعقد في 30 يوليو/تموز في مدينة العلمين المصرية، لتمهيد الأجواء والتوصل إلى تفاهات للبناء عليها في الاجتماع.

كان أبرز تلك اللقاءات الثنائية هو اللقاء الذي عقد بين الرئيس عباس ورئيس المكتب السياسي لحركة حماس إسماعية هنية في تركيا، غير أن هذا اللقاء شهد خلافات في وجهات النظر بين الطرفين، إذ أصر الرئيس عباس على أن برنامجه يتمحور حول الشرعية الدولية وعلى الجميع الانضمام إليه وأنه متمسك بـ"المقاومة السلمية" وأن لا سلاح إلا سلاح السلطة، فيما رفض طلب هنية الإفراج عن المقاومين والمعتقلين السياسيين الذين تعتقهم السلطة في الضفة الغربية²⁵. وأكد رفضه لخيار المقاومة ما دام حيا وأن خطته تقوم على العمل على تغيير المشهد الحزبي داخل إسرائيل وتشكيل لوبي فلسطيني للضغط على الإدارة الأمريكية²⁶.

كما رفضت حركة الجهاد الإسلامي المشاركة في الاجتماع، ومعها الجبهة الشعبية – القيادة العامة ومنظمة الصاعقة، لرفض السلطة الفلسطينية الإفراج عن المعتقلين والمقاومين الذين تعتقلهم، ومنهم من اعتقلوا خلال العدوان على جنين في مطلع تموز²⁷.

غير أن عقد الاجتماع في 30 يوليو لم يفض إلى أي تقدم أو اتفاق بين الفصائل الفلسطينية، فمع أنه جاء تحت عنوان مواجهة المخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية بدعوة من الرئيس عباس، إلا أنه أصر على مواقفه السابقة التي لم تفتأ عبثيتها تثبت منذ التوجه إلى عقد اتفاق أو سلو مع الاحتلال، وأعاد تكرار مواقفه على المجتمعين بأنه يجب الالتزام ببرنامجه منظمة التحرير والتزاماتها الدولية واعتباره أن لا سلاح شرعي إلا سلاح السلطة وأن المقاومة السلمية هي خياره الوحيد. وبطبيعة الحال، قاد هذا الإصرار على تلك المواقف إلى فشل الاجتماع وتعثر الخروج بأي توافق وطني²⁸. وقد ترجم هذا الفشل في استمرار السلطة الفلسطينية في سياسة محاربة المقاومة في الضفة الغربية واعتقال المقاومين وملاحقتهم.

كان من الممكن أن تؤدي المصالحة الفلسطينية والتوافق الفلسطيني على برنامج وطني نضالي، إن حدث ذلك، إلى تغيير في الاستراتيجية الفلسطينية لمواجهة المخاطر والتهديدات التي تحيق بالقضية الفلسطينية، وإعادة تفعيل المقاومة بأشكالها كافة في الضفة الغربية، ما قد يساهم في تقاسم العبء النضالي فلسطينيا، غير أن موقف السلطة الفلسطينية حال دون ذلك، ما شكل ضرورة لدى المقاومة الفلسطينية للالتجاء لخيار آخر وهو "طوفان الأقصى"، كما اتضح لاحقا، وهو ما سنأتي على تفصيله في موقع آخر.

²⁴ الرئيس عباس يدعو كافة قادة الفصائل لاجتماع طارئ، سما الإخبارية، 2023/7/3: <https://2u.pw/aexRgBm9>

²⁵ قبيل لقائهما مع أردوغان.. مصادر تكشف للجزيرة عن خلاف بين عباس وهنية في أنقرة، الجزيرة نت، 2023/7/26:

<https://2u.pw/suBZgVr8>

²⁶ غسان شاكر، قراءة في اجتماعات العلميين ونتائجها، جريدة الأخبار اللبنانية، 2023/8/9: <https://2u.pw/8kMQiblg>

²⁷ أبو مجاهد لـ"صمود": الخلاف الجوهري مع السلطة وهذه أسباب فشل اجتماع العلميين، وكالة صمود، 2023/8/2:

<https://2u.pw/Qd1AdNbm>

²⁸ رجب المدهون، لقاء العلميين الفلسطيني: حوار مجتزر... بلا إنجازات، جريدة الأخبار اللبنانية، 2023/7/31: [https://a-l-](https://a-l-akhbar.com/Palestine/366451)

[akhbar.com/Palestine/366451](https://a-l-akhbar.com/Palestine/366451)

• صعود التطرف وتصاعد الانقسام المجتمعي في دولة الاحتلال:

تظل سياسات الاحتلال وتحولاته الداخلية، وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية العامل الأهم الذي يؤثر ويساهم في إنتاج العوامل الأخرى المتعلقة بعملية طوفان الأقصى. فمن حيث المبدأ تنتج كل التبعات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتصعيدية عن وجود الاحتلال، سواء أكان الحديث مقتصرًا على أراضي 67 أم شمل فلسطين كلها.

وقد شهدت السنوات الأخيرة حالة من الاضطراب السياسي والمجتمعي في دولة الاحتلال، ثمثلت في دخولها في دوامة من جولات انتخابات الكنيست المبكرة، بلغ عددها منذ عام 2019 حتى عام 2023 خمس جولات. وذلك نتيجة حالة الاستقطاب الشديد التي يعيشها المجتمع الإسرائيلي وعدم قدرة حزب الليكود وتحالفه على تأمين أغلبية في مقاعد الكنيست، في المقابل عجز أحزاب المعارضة الإسرائيلية عن الحصول على أغلبية تمكنها من تشكيل الحكومة.²⁹ ومع أن أحزاب المعارضة تمكنت في جولة الانتخابات الرابعة عام 2021 من الحصول على أغلبية مقاعد الكنيست وتشكيل تحالف تمكن من إخراج حزب الليكود وتحالفه من الحكم لأول مرة منذ عام 2009، غير أن هذا التحالف كان هشًا بطبيعته لاعتماده على مكونات متباينة ومتناقضة ولم يكن هدفه إلا إزاحة بنيامين نتانياهو عن الحكم، ولذلك لم يعمر هذا الائتلاف طويلاً وانهار بعد قرابة العام فقط ليعلن عن حل الكنيست والتوجه لجولة انتخابات خامسة.

صحيح أن دولة الاحتلال تمتاز بأنه نادراً ما أتمت فيها حكومة فترة ولايتها، المكونة من أربع سنوات، إلا أن ما شهدت السنوات الأخيرة لم يكن مسبوقاً في تاريخ الاحتلال، في دلالة على حالة عدم استقرار وهشاشة تعتري النظام السياسي لدى الاحتلال. ولكن من المهم التأكيد أن حالة عدم الاستقرار تلك لم تنعكس إيجابياً على القضية الفلسطينية من حيث تراجع الاحتلال عن سياساته العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني أو التخفيف منها، بل على العكس فقد أسهمت حالة عدم الاستقرار وما ترافق معها من حالة استقطاب إسرائيلي شديد، إلى جعل مسألة التشدد إزاء القضية الفلسطينية محط تنافس بين الأحزاب الصهيونية المختلفة. ومن ذلك أنه بعد خطاب يائير لابيد، رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، في الأمم المتحدة، في سبتمبر/أيلول 2022، الذي قال فيه أنه ما زال مؤمناً بحل الدولتين،³⁰ ثارت عاصفة من الانتقادات والاعتراضات الإسرائيلية على خطابه حتى من بين أقطاب حكومته، مثل بيني غانتس وغدعون ساعر، وأعلنوا معارضتهم لفكرة حل الدولتين بطرق مختلفة.³¹

من ناحية أخرى، وحسب بيانات منظمة السلام الآن الإسرائيلية، زادت نسبة البناء في المستوطنات، في عهد حكومة بينت - لا بيد، بقرابة 62% عما كان عليه الحال إبان حكومة نتانياهو السابقة، وكذلك نسبة هدم المنازل والممتلكات الفلسطينية زادت بسنة 35%، واستشهد في سنتها الأولى 86 شهيداً في الضفة الغربية وحدها، عدا عن شنّها عدواناً على قطاع غزة.³² وغني عن القول أن مختلف الأطروحات الهادفة لتصفية القضية الفلسطينية، مثل "صفقة القرن" ومخطط ضم الضفة الغربية وموجة التطبيع العربي

²⁹ إسرائيل.. 5 انتخابات في أقل من 4 أعوام، وكالة الأناضول، 2022/11/1: <https://linkshortcut.com/Sajio>

³⁰ لابيد أول رئيس وزراء إسرائيلي يدعو في الأمم المتحدة إلى حل الدولتين منذ 2016، CNN عربية، 2022/9/23:

<https://linkshortcut.com/NtNxF>

³¹ كريم قرط، رياح المقاومة في الضفة الغربية والمأزق الإسرائيلي، مركز رؤية للتنمية السياسية، 2022/11/14:

<https://linkshortcut.com/uHWWE>

³² Pease now, The government of unequivocal annexation: One year of the Bennett-Lapid Government, <https://peacenow.org.il/en/the-first-year-of-the-bennett-lapid-government>

الإسرائيلي الجديدة، جرت في ظل حالة عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي التي كانت تعيشها دولة الاحتلال.

على أية حال، أظهرت نتائج جولة الانتخابات الخامسة أن المجتمع الإسرائيلي يتجه نحو مزيد من التطرف ويزداد انزياحا نحو اليمين الاستيطاني المؤمن بأفكار حسم الصراع وضم الضفة الغربية وتشجيع عملية تهجير الفلسطينيين. إذ أظهرت نتائج الانتخابات أن 62% من اليهود صوتوا لأحزاب اليمين الاستيطاني، سواء تلك الأحزاب التي دخلت في الائتلاف الحكومي أو تلك التي بقيت في صفوف المعارضة، مثل حزب "إسرائيل بيتنا" بزعامة أفيغدور ليبرمان.³³

وقد ألقى صعود أحزاب اليمين الاستيطاني، لا سيما قائمة الصهيونية الدينية، المكونة من حزبي "عوتسما يهوديت" بزعامة إيتمار بن غفير وحزب الصهيونية الدينية بزعامة بتسليل سموتريتش، بظلاله على المشهد. إذ حصلت هذه القائمة على 14 مقعدا من مقاعد الكنيست الإسرائيلي، في حين أنها حصلت على 6 مقاعد فقط في الانتخابات السابقة، أي قبل عام ونصف فقط. وبذلك أصبحت هذه القائمة ثاني أكبر قائمة بعد حزب الليكود في الحكومة الإسرائيلية، ما أعطاها تأثيرا قويا على طبيعة الحكومة وتوجهاتها بشكل عام.³⁴

وقد نتج عن ذلك تسلم سموتريتش منصب وزير المالية، بما يضمن تخصيص الميزانيات اللازمة لتعزيز الاستيطان، إضافة إلى منصب وزير ثانٍ في وزارة الحرب بما يتعلق بشؤون الاستيطان والإدارة المدنية. وأما بن غفير فقد تسلم منصب وزير الأمن القومي بما يمنحه المسؤولية عن جهاز الشرطة الإسرائيلية ومصالحة السجون.

جاءت الاتفاقيات الائتلافية التي وقعت بين حزبي الصهيونية الدينية وحزب عوتسما يهوديت وبين حزب الليكود لتوضح طبيعة الحكومة القادمة وأولوياتها. إذ كان أحد أبرز بنود الاتفاق، مع الصهيونية الدينية، العمل على ضم الضفة الغربية ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف السياسية والدبلوماسية، والعمل على تعزيز الاستيطان وتشجيع توطين اليهود فيها وشرعة البؤر الاستيطانية وإحداث تغييرات في طبيعة الإدارة المدنية لتكون تحت سيطرة المستوطنين أنفسهم بما يضمن تسريع تنفيذ مخطط الضم. وفي المقابل كان الاتفاق مع حزب عوتسما يهوديت يركز على إنشاء "الحرس الوطني" الذي هو عبارة عن ميليشيا للمستوطنين، وتغيير أوضاع الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، والتضييق على فلسطيني الداخل المحتل.³⁵

كان سموتريتش قد طرح منذ عام 2017 خطة أطلق عليها "خطة الحسم" تهدف إلى ضم الضفة الغربية وإنهاء القضية الفلسطينية. وفور صعود سموتريتش السياسي ودخوله إلى الحكومة الإسرائيلية، مع الصلاحيات الموسعة التي حظي بها لا سيما فيما يتعلق بموضوع الاستيطان، أعيد استحضار تلك الخطة كونها تعطي تصورا عن سياسته بشكل عام وأهدافه وانعكاسها على سياسة الحكومة الإسرائيلية. لم تكن خطة سموتريتش تحمل طرعا جديدا ضمن الفكر الصهيوني، إذ إنها كانت تعتمد على تكرار السرديات الصهيونية التي تنفي وجود شعب فلسطيني أو وجود أرض تسمى فلسطين، في مقابل الحديث عن "أرض إسرائيل" وحق الشعب اليهودي فيها وما إلى ذلك. وحتى فيما يتعلق بالخطوات العملية التي وضعها سموتريتش لتنفيذ خطته فهو لم يأت بجديد، إذ إن كل ما طرحه قد طرحه سياسيون ومفكرون صهاينة

³³ برهوم جرابسي، انتخابات الكنيست الـ25 تفرز حكومة ستكون الأشد تطرفاً بانزياح الإسرائيليين أكثر نحو اليمين المتطرف!، المركز

الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية - مدار، 2022/11/6: <https://linksshortcut.com/FJomg>

³⁴ المصدر السابق.

³⁵ أشرف بدر، الاتفاق على الأرض الفلسطينية.. قراءة في وثيقة حكومة الاحتلال واتفاقيات الليكود مع أحزاب الصهيونية الدينية، منصة إطار،

2023/1/11: <https://linksshortcut.com/qxSXO>

قبله.³⁶ غير أن وصوله لموقع المسؤولية عن الاستيطان في الضفة الغربية قد أعطى خطته زخما كبيرا وتخوفا حقيقيا من سعيه لتنفيذها.

وتقوم هذه الخطة على فكرة أنه يجب التحول من منهج "إدارة الصراع" الذي يعتمد على السياسة الإسرائيلية تجاه القضية الفلسطينية، إلى منهج "حسم الصراع" مرة واحدة وإلى الأبد. وهذا الأمر يأتي من خلال الإعلان الفوري عن ضم الضفة الغربية وتكثيف البناء الاستيطاني فيها وتشجيع مئات آلاف المستوطنين على الاستيطان فيها كمرحلة أولى. وفي المرحلة الثانية ينصب التركيز على التعامل مع القضية التي ظلت تشكل العقبة الكأداء الأولى أمام مخططات الضم الإسرائيلية ألا وهو الشعب الفلسطيني الموجود على أرضه. ولمعالجة هذه العقبة يضع سموتريتش ثلاثة خيارات، أولها الهجرة "الطوعية" لمن لا يرغب في العيش في كنف الدولة اليهودية ولا يرغب في التنازل عن تطلعاته القومية، وثانيها تقسيم الضفة الغربية إلى ست إدارات محلية، تدار عشائريا ومحليا، يعيش فيها الفلسطينيون الذين يقبلون التنازل عن تطلعاتهم القومية دون حق مواطنة في الدولة اليهودية، وثالثها الحرب لمن لا يريد التنازل عن تطلعاته القومية ولا يريد الهجرة ويستمر في مقاومة المشروع الصهيوني.³⁷

ما يفهم من خطة سموتريتش هو أنه يريد أن يفكك الشعب الفلسطيني من حيث هو شعب، ماديا ومعنويا، وأن يحو هويته بالمقام الأول، وهو إن كان طرح موضوع الهجرة فإنه يدرك، حسب ما يرد في خطته، أنه من الصعب تكرار عملية الترانسفير الجماعي التي حدثت خلال النكبة 1948، ولكن هدف التخلص من الشعب الفلسطيني بتهجيره يظل حاضرا في زوايا الخطة وإن كان يسمى عملية التهجير "هجرة طوعية".

على أية حال، كان واضحا أن حكومة اليمين المتطرف لن تذهب إلى التطبيق الفوري لهذه الخطة، وهذا ما يلاحظ في نصوص الاتفاق الائتلافي التي تقول أن ضم الضفة الغربية ستراعى فيه الاعتبارات السياسية والدبلوماسية، وأيضا ثبت ذلك مع ممارسة الحكومة لمهامها ومرور أشهر طويلة دون التوجه إلى التطبيق الفوري للخطة.

غير أن صعود اليمين المتطرف والمستوطنين إلى سدة الحكم وسعيهم لإنهاء القضية الفلسطينية وضم الضفة الغربية يعني أن العمل لتحقيق تلك الأهداف قد بدأ وهذا ما بدا واضحا من خلال توجهات الحكومة والاتفاقات الائتلافية التي وقعت بين أطرفها.³⁸ وقد انعكست آثار صعود اليمين المتطرف إلى سدة الحكم لدى الاحتلال مباشرة على الأرض من عدة نواح، من قبيل تزايد التوسع الاستيطاني إنشاء البؤر الاستيطانية ومصادرة الأراضي وعمليات الهدم التي تنفذها قوات الاحتلال للبناء الفلسطيني.

كان أبرز تلك الانعكاسات هي مسألة تزايد عنف المستوطنين ضد الفلسطينيين في الضفة الغربية، بما فيها القدس، كما ونوعا. ومع أن ظاهرة عنف المستوطنين قد كانت تتصاعد منذ سنوات، وهذا الأمر مرتبط بتزايد الانزياح نحو اليمين في المجتمع الإسرائيلي وتزايد نفوذ المستوطنين، فإن عام 2023 أخذ منحى تصاعديا غير مسبوق. ففي عامي 2020 و2021 كانت اعتداءات المستوطنين في حدود 930-960 اعتداء سنويا،³⁹ وفي عام 2022 ارتفع العدد إلى قرابة 1190 اعتداء،⁴⁰ غير أن التطور الملحوظ في عددها وطبيعتها بدأ يتضح مع بداية 2023، فخلال النصف الأول من العام فقط بلغت الاعتداءات قرابة 1000 اعتداء، حسب تتبُّع التقارير الشهرية لهيئة مقاومة الجدار والاستيطان.

³⁶ ينظر: تفكير جديد في صراع قديم: الخطط السياسية، تنوعات يسرائيل شلي، بلا تاريخ نشر من المصدر. <https://2u.pw/ZcOkh2>

³⁷ ينظر: بتسلايل سموتريتش، خطة الحسم: مفتاح السلام لدى اليمين، شيلوح، العدد 6، أيلول/سبتمبر 2017. <https://2u.pw/wxMo9o>

³⁸ سوسن زهر، توجهات حكومة نتنياهو السادسة وتأثيرها على الفلسطينيين من منظور القانون الدولي، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية

– مدار، أغسطس/أب 2023: https://www.madarcenter.org/images/awraq_new/awraq_pdf/awraq-81.pdf

³⁹ التقرير السنوي لهيئة مقاومة الجدار والاستيطان لعام 2021، <https://cwrc.ps/file/attachs/1150.pdf>. والتقرير السنوي لهيئة

مقاومة الجدار والاستيطان لعام 2020، <https://cwrc.ps/file/attachs/1173>

⁴⁰ التقرير السنوي لهيئة مقاومة الجدار والاستيطان لعام 2022، <https://cwrc.ps/file/attachs/1066>

لم يقتصر الأمر على التصاعدي الكمي لاعتداءات المستوطنين، وإنما ما زاد الأمر خطورة هو نوعية هذه الاعتداءات وطبيعتها وأعداد المستوطنين المنخرطين فيها وامتدادها جغرافيا وأهدافها. إذ أصبح مئات من المستوطنين يهاجمون القرى الفلسطينية ويعيثون فيها خرابا وفسادا، وكانت أبرز تلك القرى والبلدات بلدة حوارة، التي وُصف ما جرى فيها، من اعتداء وحرق للمنازل والممتلكات على رؤوس أصحابها، بأنه "محرقة" أو "مجزرة"⁴¹. وهي حادثة لم يسبق لها مثيل منذ أحداث النكبة، وحظيت بتأييد سموتريتش وغيره من المسؤولين الإسرائيليين الذين دعوا إلى محو بلدة حوارة وقد تكرر في عدد من القرى الأخرى، مثل ترمسيعيا وأم صفا وغيرها.

غير أن الخطير في موضوع عنف المستوطنين هو تحوله لأداة فعالة في تهجير الشعب الفلسطيني، إذ نشر مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية في سبتمبر/أيلول 2023 تقريرا صادما حول عدد الفلسطينيين الذين هُجروا من أراضيهم منذ عام 2022 وحتى تاريخه. وقد أشار التقرير أن ما مجموعه 1,105 فلسطينيا من 28 تجمعاً بدويا قد رحلوا عن أراضيهم خلال هذه الفترة، وجاء ذلك نتيجة عنف المستوطنين ومنعهم من الوصول إلى أراضي الرعي، ويأتي هذا التهجير في ظل مسعى الاحتلال لتعزيز سيطرته على المناطق المصنفة (ج) وتفريغها من الفلسطينيين، التي تمثل مساحتها أكثر من 60% من مساحة الضفة الغربية⁴².

من جانب آخر، حاول بن غفير جاهدا استهداف الأسرى الفلسطينيين والتضييق عليهم وحرمانهم من حقوقهم، إضافة إلى سعيه إلى سن قانون لإعدام الأسرى، غير أنه لم يتمكن من السير بهذه الإجراءات نتيجة الخشية من تفجر الأوضاع وتوجه الأسرى نحو الإضراب عن الطعام احتجاجا على الاستهداف الممنهج بحقهم⁴³. ولكن هدف التضييق على الأسرى وحرمانهم من حقوقهم ظل هدفا ثابتا، وترافق مع تعنت الاحتلال في التوصل إلى صفقة تبادل أسرى مع المقاومة الفلسطينية منذ عام 2014 وحتى مجيء حكومة اليمين المتطرف.

وفي جانب آخر، لا يقل أهمية وتأثيرا في مجرى الأحداث، كان استهداف القدس والمسجد الأقصى تحديدا يتصاعد بمنحى خطير. فخلال السنوات القليلة الماضية تزايدت محاولات الاحتلال فرض التقسيم الزمني والمكاني على المسجد الأقصى، وحدثت طفرة في أعداد اليهود المقممين للمسجد الأقصى ومحاولات إقامة الشعائر الدينية في باحاته خلال الأعياد والمناسبات اليهودية، مثل طقس تقديم قربان، وهذا الأمر مرتبط بتنامي قوة جماعات الهيكل اليهودية التي تدعو صراحة إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه⁴⁴.

ما دق ناقوس الخطر حول هذا المسعى هو الإعلان عن أن هذه الجماعات تمكنت من توليد عدة بقرات حمر في الولايات المتحدة ونقلها إلى الأراضي الفلسطينية في شهر سبتمبر/أيلول 2022. وحسب الشريعة اليهودية فإن كل اليهود في العالم مصابون بنوع من النجاسة الناتجة عن ملامستهم الأموات أو ملامسة من لامسهم أو الوجود معهم تحت سقف واحد، ولا يتطهرون منها إلا بطقس تطهر خاص تذبح فيه بقرة حمراء، لها شروط صارمة جدا يصعب تحقيقها إن لم يكن مستحيلا، وتحرق مع بعض الأعشاب ليستخدم

⁴¹ العربي الجديد، سامر خويبر، "حوارة" .. حرب مستوطنين انتقامية عنوانها تكثيف الاستيطان، <https://2u.pw/y4xe2N> آخر استرجاع 2023/3/27.

⁴² تهجير الرعاة الفلسطينيين وسط تصاعد عنف المستوطنين، مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية - الأرض الفلسطينية المحتلة، <https://www.ochaopt.org/ar/content/displacement-palestinian-herders-amid-increasing-settler-violence> :2023/9/12

⁴³ أشرف بدر، سياسات بن غفير ضد الأسرى والتحول بعد 7 أكتوبر، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024/3/4: <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655279>

⁴⁴ وديع عواودة، هكذا تعمل جماعات الهيكل وغلاة المستوطنين لتفاسم الأقصى، القدس العربي، 2022/12/29: <https://linkshortcut.com/vYhTh>

رمادها في تطهير اليهود من نجاسة الأموات، ويجب أن ينفذ هذا الطقس كاهن من نسل هارون. وعملية التطهير هذه ضرورية لاقتحام المسجد الأقصى، إذ إن معظم الحاخامات اليهود يحرمون دول المسجد الأقصى دون التطهر من تلك النجاسة، ولذلك تظل أعداد المقتحمين للمسجد الأقصى محدودة نوعاً ما، ولكن مع تحقيق شرط الظهارة فإن أعداد المقتحمين ومدة الاقتحام وإقامة الطقوس ستتضاعف بشكل كبير، وهذا يعني عملياً فرض التقسيم الزمني والمكاني على المسجد الأقصى، ولكن لن يؤدي إلى هدمه وإقامة الهيكل مكانه مباشرة.⁴⁵

من جانب آخر، منذ قدوم حكومة اليمين المتطرف تصاعدت التهديدات التي تحقيق بالمسجد الأقصى والقدس عموماً، إذ اقتحم بن غفير المسجد الأقصى منذ توليه وزارة الأمن القومي 3 مرات حتى أواخر يوليو/تموز 2023،⁴⁶ وفي شهر مايو/أيار عقدت حكومة الاحتلال اجتماعاً تحت المسجد الأقصى في الأنفاق والحفريات التي تنفذها أسفله، بمناسبة مرور 56 عاماً على احتلال القدس وضمها عام 1967.⁴⁷ وقد كانت هذه الخطوات تتباً بحجم الاستهداف الذي يتعرض له المسجد الأقصى والمصير الذي ينتظره.

في المقابل، كانت الساحة الإسرائيلية تشهد حالة من عدم الاستقرار والاضطراب والانقسام السياسي والمجتمعي على خلفية خطة التعديلات القضائية التي سعى الائتلاف الحاكم إلى إقرارها. إذ أثارت هذه الخطة عاصفة من الاحتجاجات الداخلية وأدت إلى انقسام الشارع الإسرائيلي إلى قسم مؤيد للتعديلات، وهو اليمين عموماً الذي يسميها "إصلاحات قانونية"، وقسم آخر معارض لها، وهم بشكل عام العلمانيون والليبراليون الذين عدّوا تلك الخطة "انقلاباً قضائياً".

ومع أن محور الخلاف بين الطرفين كان على جوهر الدولة نفسها بين من يريدونها دولة ليبرالية علمانية وبين من يسعى لتعزيز القيم اليهودية وتعزيز سيطرة السلطة التنفيذية على حساب السلطة القضائية، فإن القضية الفلسطينية كانت في لب هذا الصراع. إذ إن المستوطنين، واليمين القومي والديني عموماً، كانوا يرون أن المنظومة القضائية الإسرائيلية تعيق تنفيذ مشروعهم الاستيطاني وتفسد كل عملهم في هذا المسعى. إذ يقول سموتريتش أنه توصل إلى قناعات عقب اعتقاله لدى جهاز الشاباك الإسرائيلي لنشاطه في معارضة خطة الانفصال أحادي الجانب عن قطاع غزة عام 2005، وهي: أولاً أن الدولة هي اللاعب الأكبر في المجال السياسي، واليسار يسطير عليها وقد دمرت كل الاستيطان الذي بنوه (في غزة). ثانياً أن أقوى جهاز في الدولة هو الجهاز القضائي، إذا أردنا أن نؤثر على الدولة علينا التأثير على الجهاز القضائي. وثالثاً أن جهاز القضاء منافق وفساد.⁴⁸ وهذا القناعات لديه تشير إلى أن محاربة المنظومة القضائية نابع من مسعى تذليل العقبات أمام المشروع الاستيطاني، مع أن المنظومة القضائية الإسرائيلية كانت دائماً الذراع القانونية الأمانة للمشروع الاستيطاني.

على أية حال، أدى مشروع التعديلات القضائية إلى حالة تزايد الاضطراب والانقسام في المجتمع الصهيوني الذي تسلل إلى قطاعات اقتصادية وعسكرية أيضاً، إذ أعلن آلاف من جنود الاحتياط ومئات من الطيارين رفضهم الخدمة العسكرية احتجاجاً على تلك التعديلات.⁴⁹ وقد خلص تقرير لمعهد أبحاث

⁴⁵ زياد ابحيص، أسطورة البقرة الحمراء: كيف تُهدد الأقصى؟، متراس، 2023/8/3: <https://linksshortcut.com/BFUve>

⁴⁶ بن غفير يقتحم المسجد الأقصى للمرة الثالثة ودول عربية وإسلامية تندد بالتصعيد، الجزيرة نت، 2023/7/27:

<https://linksshortcut.com/BbBSs>

⁴⁷ زين خليل، الحكومة الإسرائيلية تعقد اجتماعها الأسبوعي في "أنفاق البراق"، وكالة الأناضول، 2023/5/12:

<https://linksshortcut.com/xoFKU>

⁴⁸ مقابلة أجرتها الصحفية حاغيت روزنابوم مع بتسلايل سموتريتش للقناة السابعة عام 2016. <https://www.inn.co.il/news/330681>

⁴⁹ التعديلات القضائية أدخلته منعطفاً جديداً.. الجيش الإسرائيلي في مواجهة عناصره المتمردين، الجزيرة نت، 2023/7/26:

<https://linksshortcut.com/PYxnn>

الأمن القومي الإسرائيلي أن هذا الوضع سيكون له تأثيرات سلبية خطيرة على أمن دولة الاحتلال ومكانتها. ومن أبرز هذه التأثيرات:

- 1- تأثير سلبي على التضامن والحصانة المجتمعية.
- 2- تأثير على أداء المؤسسات الحكومية والأمنية والعسكرية وتنامي حالة رفض التجنيد.
- 3- التأثير السلبي على وضعها وأمنها الإقليمي وتضرر صورة قوتها في المنطقة، وتآكل الردع، ما قد يغري الأعداء بمهاجمتها، وتراجع مسار التطبيع.
- 4- التأثير السلبي على علاقاتها بالولايات المتحدة وأيضاً يهود العالم.⁵⁰

على الرغم من هذه التأثيرات، إلا أن هذه الأزمة لم تدفع الاحتلال إلى تهدئة الأوضاع على الساحة الفلسطينية، خاصة فيما يتعلق بمشروع الضم في الضفة الغربية، وقد أثبتت التجارب أن حالة عدم الاستقرار السياسي لدى الاحتلال لا تزيده إلا تطرفاً تجاه القضية الفلسطينية.

• تجاوز العالم والإقليم للقضية الفلسطينية:

شهدت القضية الفلسطينية حالة من التراجع والتهيمش خلال عشرية الربيع العربي التي انشغلت خلالها الدول العربية والإقليمية في أزماتها الداخلية وحروبها الأهلية وصراعاتها البيئية وتصادم ما عُرف بـ"الصراع السني الشيعي". في ظل هذه الظروف لم تعد القضية الفلسطينية قضية العرب والمسلمين الأولى وإنما قضية مهمشة من قضايا المنطقة وأزماتها المتعددة. وهذا الوضع فتح المجال أمام بعض القوى الإقليمية والولايات المتحدة الأمريكية إبان إدارة الرئيس السابق دونالد ترامب، لمحاولة فرض أمر واقع لإنهاء القضية الفلسطينية من خلال طرح ترامب خطته التي اشتهرت باسم "صفقة القرن". صحيح أن هذه الخطة لم تنفذ فعلياً، وأن الاحتلال تراجع عن الضم الرسمي لأجزاء من الضفة الغربية، وهذا مرتبط بالرفض الفلسطيني لها ورفض عدد من الدول العربية وأيضاً الرفض الإسرائيلي غير المعلن لها،⁵¹ وهو ما ترافق مع مغادرة ترامب للبيت الأبيض.

غير أن فشل تطبيق تلك الخطة ترافق مع موجة تطبيع عربي جديد مع دولة الاحتلال، شمل الإمارات العربية والبحرين والمغرب والسودان، كاستمرار لمساعي لتصفية القضية الفلسطينية.⁵² لم يسهم رحيل ترامب عن البيت الأبيض وقدم إدارة جو بايدن في التراجع عن هذا السير المتسارع نحو تصفية القضية الفلسطينية، إذ إن تلك الإدارة لم تتراجع عن إعلان ترامب للقدس كعاصمة موحدة لدولة الاحتلال ولم تتراجع عن مسار التطبيع دون حل القضية الفلسطينية ولم تتراجع عن الاعتراف الأمريكي بالسيادة الإسرائيلية على الجولان السوري المحتل. إلى جانب ذلك، فمنذ قدوم إدارة بايدن حدث تحولان مهمان على الصعيد الدولي والإقليمي، هما اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية في بداية عام 2022، التوجه لعقد صفقة تطبيع سعودية إسرائيلية برعاية أمريكية.

كان للحرب الروسية الأوكرانية آثار مهمة، على الصعيد الدولي والإقليمي، ألقت بظلالها على القضية الفلسطينية. فعلى المستوى الدولي كان لانشغال الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بدعم أوكرانيا وفرض العقوبات على روسيا ومحاولة استقطاب دول العالم لصفها، وانشغال العالم بالآثار السياسية والاقتصادية

⁵⁰ منير ألرن وكوبي ميخائيل، الأزمة المجتمعية – السياسية المأسسة في إسرائيل: خصائصها وتبعاتها على الأمن القومي، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، يوليو/تموز 2023 (عبري): https://www.inss.org.il/he/strategic_assessment/political-social-crisis

⁵¹ ترامب يكشف المستور ويتحدث لأول مرة عن أسباب فشل "صفقة القرن"، رأي اليوم، 2021/12/12: <https://linkshortcut.com/LmtMB>

⁵² "صفقة القرن" فشلت: تحالف إسرائيلي – إماراتي مكانها، الخليج الجديد، 2020/8/20: <https://thenewkhalij.news/article/202042>

الناجئة عن الحرب أثر في تراجع الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية وتهميشها. وقد عملت الدول الغربية عن تجنب اندلاع صراعات وأزمات جديدة في العالم، وتحديدًا فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، حتى لا تبعد الأضواء عن الأزمة الأوكرانية، وهو أمر قد يسبب لها حرجًا أيضًا في ظل دعمها للمقاومة الأوكرانية" ضد الاحتلال والعدوان الروسي، في حين أنها ستقف مع دولة الاحتلال لو اندلعت مواجهة مع فصائل المقاومة الفلسطينية. وهذا الأمر قد أتاح لدولة الاحتلال أن تصاعد سياساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني دون القلق من إثارة ضجة عالمية، كالتى حدثت عقب محاولات تهجير أهالي حي الشيخ جراح والاعتداء على المسجد الأقصى والقدس عموماً عام 2021. ومن ناحية أخرى، قدرت دولة الاحتلال أن المقاومة الفلسطينية ستتجنب الانخراط في مواجهة جديدة نتيجة إدراكها بأن العالم منشغل بقضية أخرى تفرض تحديات اقتصادية وجيوسياسية على العالم كله.⁵³

وعلى صعيد آخر، كان لهذه الحرب ارتدادات إقليمية مباشرة، تمثلت بما نسميه مجازاً "سياسة تصفير الأزمات الإقليمية"، إذ إن مختلف الدول الإقليمية والعربية التي كانت تعيش حالة من التنافس والصراع وتآزم العلاقات في العشرية السابقة؛ عادت لإجراء مصالحات وترميم للعلاقات فيما بينها. صحيح أن هذه العملية بدأت مطلع عام 2021 بالمصالحة الخليجية بين قطر من جانب والسعودية والبحرين والإمارات من جانب آخر، مدفوعة برحيل إدارة ترامب وقدم إدارة بايدن،⁵⁴ ولكنها تصاعدت عقب اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية. وصحيح أيضاً أن هناك أسباباً خاصة لكل دولة على حدة وأسباباً إقليمية ودولية أخرى فرضت نفسها على المنطقة، إلا أن تلك الحرب كانت العامل المحفز لمختلف دول المنطقة لتسريع خطواتها نحو تصفير، أو تقليل، أزمتها الخارجية قدر الإمكان. إذ إنها فرضت حالة من الاستقطاب الدولي والاضطرابات السياسية والاقتصادية، وأيضاً حالة من الغموض والترقب حول مستقبل النظام الدولي، ما يستدعي أن تعمل دول المنطقة على ترتيب أوراقها وإعادة موضعة نفسها وتهدئة صراعاتها تحسباً لتطورات الصراع ومآلاته.

لذلك، بادرت السعودية والإمارات وقطر والبحرين وتركيا وإيران ومصر إلى إصلاح العلاقات ورأب الصدع بينهم، مع استمرار السعي لحلحلة الأزمات الإقليمية العالقة، مثل الأزمة اليمنية والأزمة السورية. مع إيجابية هذه التحولات لما لها من أثر في وقف حالة الصراع الإقليمية، التي تسهم في إضعاف جميع الأطراف، فإن الإشكالية الأساسية فيها هي أن دولة الاحتلال كانت ركناً من أركان سياسة تصفير الأزمات. إذ توجهت تركيا إلى إعادة علاقاتها مع دولة الاحتلال، وبدأت عدد من الدول العربية المطبوعة بتمتين علاقاتها مع دولة الاحتلال وعقد قمم متتالية للتنسيق بينهم، خاصة قمة النقب التي قرّر أن تصبح قمة دائمة تعقد دورياً في إحدى دول التطبيع.⁵⁵ وقد كان لهذه التطورات دلالات حول طبيعة المرحلة القادمة وشكل النظام الإقليمي الذي يتوخى الوصول إليه، بحيث تكون دولة الاحتلال جزءاً أصيلاً منه.

وأما التحول الآخر، فهو محاولة السعودية عقد صفقة تطبيع مع دولة الاحتلال برعاية أمريكية، طالبت السعودية فيها بمطالب تنطلق من مصالحها الخاصة. وقد كانت هذه الصفقة من أخطر التحولات التي ستشهدها المنطقة، فمع أن السعودية وضعت مطلب إقامة دولة فلسطينية على حدود 67 كشرط لإتمام الصفقة، إلا أن هذا الشرط لم يكن جاداً، إذ صرح ولي العهد السعودي محمد بن سلمان أنه يسعى من خلال جهود التطبيع إلى تحسين حياة الفلسطينيين، في مقابلة مع قناة فوكس نيوز الأمريكية. وأردف أنه

⁵³ كريم قرط، تأثير الحرب الروسية الأوكرانية على القضية الفلسطينية، شؤون فلسطينية، ع 287-288 (ربيع وصيف 2022)، ص 127-141.

⁵⁴ قمة المصالحة الخليجية: ظروفها ودلالات التوقيت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/1/7: <https://2u.pw/cFYXx>

⁵⁵ قمة النقب التطبيعية.. دلالات متشابهة، ألترا صوت، 2022/3/29: <https://2u.pw/bQFsw>

يهدف أيضا إلى "جعل إسرائيل لاعبا في المنطقة".⁵⁶ كانت سفيرة السعودية لدى الولايات المتحدة، ريم بنت بدر، قد فسرت، قبل ذلك، معنى التطبيع السعودية الإسرائيلي القادم ومعنى جعل دولة الاحتلال لاعبا في المنطقة إذ أكدت أن السعودية لا تسعى لاتفاقية تطبيع فحسب، وإنما إلى إدماج "إسرائيل" في المنطقة والوصول إلى حالة تكامل معها، مستشهدة بنموذج الاتحاد الأوروبي لتوضيح ما تصبو إليه السعودية.⁵⁷

ما يعني أن ما كانت تطرحه السعودية يعد تصفية كاملة للقضية الفلسطينية فدمج دولة الاحتلال في المنطقة وتحويلها إلى لاعب، دون التوصل إلى حل للقضية الفلسطينية والاكتفاء بتحسين حياة الفلسطينيين، يعني تحويل القضية الفلسطينية من قضية سياسية وقضية شعب وأرض إلى مجرد تسهيلات اقتصادية وحياتية وتحويلها إلى شأن إسرائيلي داخلي. وهذا الأمر يترافق مع انشغال دولي وإقليمي بالصراعات والأزمات الدولية ومحاولات تهدئة التوترات لدى دول المنطقة خشية من تأثيرات تلك الأزمات الدولية.

تتضح حقيقة هنا، أن ميزان القوى الاستراتيجي، دوليا وإقليميا، كان يميل باستمرار لغير مصلحة الفلسطينيين بشكل كبير. وقد يقال أن المقاومة أخطأت في التوجه لعملية طوفان الأقصى في ظل هذا الميزان المختل، إلا أن نظرة متأنية تثبت أن المشكلة الأساسية كانت هي نفس هذا الميزان، وأن العملية جاءت لأن ميزان القوى لا يسير في مصلحة الفلسطينيين. وإلا لو كان الميزان في مصلحة القضية الفلسطينية لما كانت هناك حاجة إلى الذهاب لعملية من هذا النوع، في حين تكون الدول العربية والإسلامية والعالم مهتما بالقضية الفلسطينية وداعما لحقوق الشعب الفلسطيني ويقف في وجه عدوان الاحتلال المستمر على الشعب الفلسطيني.

في المحصلة، أمام هذه السياقات المعقدة والمتشابكة كان خيار التوجه لعملية بحجم "طوفان الأقصى" واردا، إذ إن وصول العديد من الأزمات، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، إلى طريق مسدود، ومحدودية الخيارات المتاحة لمواجهتها، ووصول الشعب الفلسطيني إلى مرحلة من الخطر الوجودي؛ كان يحتم المبادرة إلى عمل ما لمواجهة هذا الوضع.

المبحث الثاني: استراتيجيات الأطراف:

• كيف نجحت حماس في تنفيذ عملية طوفان الأقصى؟

بدأت حماس العمل لتحقيق فكرة التوغل البري في أراضي عام 48، والترويج لها، منذ سنوات طويلة. ففي شهر نوفمبر/تشرين الثاني 2013 أعلن محمود الزهار، عضو المكتب السياسي لحركة حماس، صراحة أن مشروع حركته القادم هو "اليوم نغزوهم ولا يغزونا".⁵⁸ وبعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة عام 2014، الذي رده عليه المقاومة بعملية "العصف المأكول"، وتصاعد الحديث والترويج لدى قيادات حماس عن هذا المشروع وأصبح شعارا في المهرجانات والأنشيد الثورية وغيرها، ففي عام 2015 أكد خليل الحية أن المرحلة المقبلة ستكون "نغزوهم ولا يغزونا".⁵⁹ ما جعل هذا الطرح يحظى بأهمية ملحوظة هي العمليات التي نفذتها كتائب القسام خلف خطوط العدو خلال معركة "العصف المأكول"

⁵⁶ ولي العهد السعودي: حل القضية الفلسطينية مهم عند الحديث عن العلاقات مع إسرائيل، الشرق الإخباري، 2023/9/21:

<https://linkshortcut.com/pPvyT>

⁵⁷ عدنان أبو عامر، سفيرة سعودية: نريد علاقة متكاملة مع "إسرائيل" وليس "تطبيعا"، عربي 21، 2023/6/27:

<https://linkshortcut.com/UcZUQ>

⁵⁸ الزهار: مشروعنا القادم "نغزوهم ولا يغزونا"، وكالة وطن للأنباء، 2013/11/14:

<https://www.wattan.net/ar/news/79891.html>

⁵⁹ الحية: القسام أكثر قوة واستعداد لمواجهة الاحتلال من أي وقت سابق، شبكة الحرية الإعلامية، 2015/7/5:

<https://www.hr.ps/news/77305>

سواء تلك التي نفذت عبر الأنفاق، ومن أهمها الإغارة على موقع ناحل عوز العسكري، أو تلك التي نفذت عبر البحر، وأهما إغارة مجموعة من الضفادع البشرية القسامية على موقع زيكيم العسكري.

ومع أن هذه الأحداث كانت دلالة على سعي حماس، والمقاومة عموماً، إلى نقل المعركة إلى أراضي 48، فإنها أيضاً كانت ناقوس خطر يذق لدى الاحتلال خشية من تطورها إلى مدى أوسع بكثير. ولذلك أخذ الاحتلال يحيط قطاع غزة بالجدر الخرسانية التي تمتد تحت الأرض إلى عشرات الأمتار لمكافحة الأنفاق الهجومية،⁶⁰ وأيضاً أنشأ عائقاً بحرياً بطول 200 متر وبعمق عدة أمتار تحت الماء لمنع عمليات تسلسل الضفادع البشرية،⁶¹ وزاد على ذلك بإنشاء جدار تكنولوجي ذكي لرصد ومراقبة الحدود مع قطاع غزة فوق الأرض وتحتها.⁶²

غير أن هذه الجدران الحصينة بقدر ما فرضت من تحد على المقاومة فإنها كانت، في تقديرنا، عامل تحفيز لها لتطوير تكتيكاتها العسكرية وإيجاد وسائل اختراق أكثر فعالية من الاعتماد على الأنفاق الهجومية. وهي بقدر ما كانت ميزة للاحتلال لمواجهة الأنفاق ومنع التسلسل عبر البحر، فإنها كانت أكبر كارثة عليه من حيث لم يحتسب.

على أية حال، كان الناطق العسكري باسم كتائب القسام، أبو عبيدة، قد أعلن في خطاب له بتاريخ 12 أكتوبر/تشرين الأول 2023 أن فكرة عملية طوفان الأقصى بدأت من حيث انتهت معركة سيف القدس 2021، وأن حماس مارست خداعاً استراتيجياً على العدو وبدأت بالإعداد العسكري للعملية منذ بداية 2022.⁶³

تأسيساً على تصريح أبي عبيدة، وهو ما كان واضحاً منذ أول ساعة من عملية طوفان الأقصى، فالخداع الاستراتيجي الذي مارسته حماس كان إحجامها عن الانخراط في عدة مواجهات مع الاحتلال عقب الاعتداءات التي شنها على قطاع غزة عامي 2022 و2023، وأيضاً التغاضي عن الرد على اعتداءات الاحتلال واستفزازته في القدس والمسجد الأقصى والضفة الغربية. وهذا الإحجام أعطى الاحتلال تصوراً أن حماس مردوعة بشكل كافٍ وأنها غارقة في التعامل مع الأزمات الاقتصادية في القطاع وأنه نجح في احتوائها بالتسهيلات الاقتصادية التي قدمها لقطاع غزة عقب عملية سيف القدس 2021 تحديداً، ولذلك فهي عاجزة عن التوجه لجولة قتال جديدة.⁶⁴

إلى جانب عملية الخداع الاستراتيجي، أعدت حماس للمعركة من جوانب أخرى، أهمها إعادة موضعة نفسها في الإقليم من خلال تمتين علاقاتها بـ"محور المقاومة" وإعادة علاقاتها مع سورية. وقد كان لرئيس حركة حماس في قطاع غزة، حينها، يحيى السنوار دور بارز في هذا التوجه، إذ أنه في اجتماع لأعضاء المكتب السياسي لحركة حماس في القاهرة عام 2022 طرح هذا الموضوع على الحركة وحسم أمر إعادة العلاقات مع دمشق ورفع مستوى العلاقة مع حزب الله اللبناني وإيران. وكان هذا التوجه لديه مبنياً على فكرة بسيطة وهي أن هدف حماس هو تحرير فلسطين كاملة وعليهم أن يوثقوا علاقاتهم بالأطراف التي تتشارك معهم هذا الهدف، وهي قوى "محور المقاومة".⁶⁵

⁶⁰ جدار بعمق عشرات الأمتار على حدود قطاع غزة، عرب 48، 2017/8/10: <https://linksshortcut.com/YibrY>

⁶¹ أمجد أيمن، جدار مائي إسرائيلي على حدود غزة.. ما فاعليته؟، الجزيرة نت، 2019/1/17: <https://linksshortcut.com/JliVK>

⁶² الجيش الإسرائيلي ينهي بناء «الجدار الذكي» فوق حدود غزة وتحتها، الشرق الأوسط، 2021/2/7:

<https://linksshortcut.com/zLwGZ>

⁶³ أبو عبيدة: وقفنا بأكثر مما كنا نعتقد في "طوفان الأقصى"، ألترافلسطين، 2023/10/12: <https://linksshortcut.com/WaJeK>

⁶⁴ شاي شبتاي، لا مبرر للـ"إنذار الاستراتيجي"، مركز بيجن - السادات للأبحاث الاستراتيجية، 2023/5/16 (عبري):

<https://linksshortcut.com/wlidt>

⁶⁵ يوسف فارس، يحيى السنوار... «همشري حماس» الذي أيقظ العالم، جريدة الأخبار اللبنانية، 2024/8/8:

<https://linksshortcut.com/zukFK>

ومع اقتراب موعد عملية طوفان الأقصى اتجهت حماس إلى إجراء عملية خداع تكتيكي استثمرت فيها حالة التوتر، الناشئة عن توقف المنحة القطرية واشتداد ظروف الحصار، وإعادة تفعيل مسيرات العودة ومواجهات الشباب الثائر على حدود القطاع. وقد ذهبت حماس لهذه الخطوة وحيدة دون إجماع وطني ودون مشاركة جماهيرية أو فصائلية، إذ عدت دعوة حماس لإعادة تفعيل مسيرات العودة في 30 أغسطس/أب 2023 خطوة غير منطقية من كل الشركاء والمشاركين السابقين فيها بسبب الإنجازات المحدودة التي حققتها والتكاليف الباهظة التي دفعت فيها سابقاً. غير كل التحليلات كانت تذهب إلى أن حماس توجهت لهذه الخطوة للضغط على الاحتلال لإعادة إدخال المنحة القطرية وتخفيف ظروف الحصار.⁶⁶

الملاحظ أن مسيرات العودة هذه المرة شاركت فيها مجموعات صغيرة ولكنها كانت تمارس وسائل أعنف، إذ شهدت الاحتجاجات عمليات إطلاق نار تجاه قوات الاحتلال، وتفجير عدد من العبوات النافسة في السياج الأمني الذي يحيط بقطاع غزة. من المرجح أن هذه المسيرات هدفت لتمهيد مسرح العمليات للحظة الهجوم، خاصة فيما يتعلق بتهيئة الطرق وتسوية الأراضي،⁶⁷ وإعطاب السياج الأمني بقدر الإمكان ورفع استنفار المقاومة تحت ستار احتمالية تطور المواجهات على السياج إلى جولة تصعيد محدودة. ولذلك، فإن الاحتلال بعد توقف المسيرات وعودة الهدوء إلى حدود القطاع اطمأن إلى أن حالة التصعيد قد تراجعت لأن استعدادات المقاومة كانت مرتبطة بها.

ومن ناحية أخرى، فإن فصائل المقاومة كانت قد أجرت مناورة حقيقية بالذخيرة الحية حاكت فيها عمليات اقتحام مواقع عسكرية إسرائيلية وعمليات إنزال بحري وسيطرة على دبابات وأسر جنود، وذلك في مناورة "الركن الشديد" بنسختها الرابعة في 12 سبتمبر/أيلول 2023.⁶⁸ غير أن المقاومة استفادت من تحول هذه المناورة إلى روتين سنوي منذ عام 2020 في ذكرى اندحار الاحتلال عن قطاع غزة، ولذلك لم ينظر الاحتلال لتلك المناورة على أنها استعداد لعملية قادمة.

• لماذا فشل الاحتلال في منع عملية طوفان الأقصى؟

مع أن هناك تصريحات وتلميحات وتهديدات كانت تخرج من حماس وفصائل المقاومة حول سيناريو مماثل طيلة السنوات السابقة، مما سبق الإشارة إليه آنفاً، أو مثل العنوان الذي حملته مهرجان ذكرى انطلاق حركة حماس عام 2022 "أتون بطوفان هادر"؛ فإن الاحتلال لم يتعامل مع هذه المعطيات على محمل الجد. وليس هذا فحسب، بل إن دولة الاحتلال كانت تتحسب لاحتمالية اندلاع حرب إقليمية تشارك فيها عدة جبهات في وقت واحد، من بينها جبهة غزة، ويحدث فيها سيناريو إطلاق آلاف الصواريخ والاقتحام البري أيضاً.⁶⁹

وقد أشرنا سابقاً إلى تصور الاحتلال أن حماس مردوعة وأنها منشغلة في قضايا الحكم والأزمات الاقتصادية في قطاع غزة، مع أن معركة سيف القدس أيار 2021 كانت دلالة واضحة على أن حماس، والمقاومة الفلسطينية عموماً، لم تكن مردوعة وأنها ما زالت تلتزم بخيار المقاومة. فتلك المعركة جاءت بعد قرابة 8 سنوات من معركة العصف المأكول 2014، وقد جاءت بمبادرة من المقاومة بأهداف أساسية

⁶⁶ إسماعيل عبد الهادي، لماذا عادت الفصائل إلى تفعيل مسيرات العودة مجدداً على حدود قطاع غزة؟، القدس العربي، 2023/8/31:

<https://linksshortcut.com/iEgeP>

⁶⁷ تحضيرات لإعادة إحياء مسيرات العودة وكسر الحصار على حدود غزة، العربي الجديد، 2023/8/30: <https://2u.pw/p472s7EM>

⁶⁸ إسراء جبر، قادة في المقاومة بغزة يتحدثون عن مناورة "الركن الشديد"، الجزيرة نت، 2023/9/12:

<https://linksshortcut.com/PuAYW>

⁶⁹ أيمن الرفاتي، الخطة متعددة السنوات لـ "جيش" الاحتلال: تركيز على "الدفاع"، الميادين، 2023/9/27:

<https://linksshortcut.com/qxFsM>

تختلف عن أهداف رفع الحصار، إذ جاءت ردا على العدوان على المسجد الأقصى والقدس.⁷⁰ إلا أن الاحتلال لم يفهم هذه الدلالة، ويعود السبب في ذلك إلى خلل جوهري في استراتيجية الاحتلال تجاه القضية الفلسطينية، والتحديات العسكرية التي يواجهها عموماً.

غني عن القول أن الإسرائيليين انشغلوا بعد عملية طوفان الأقصى بالبحث عن مكنم الخلل لديهم، وهم غير متفنيين عليه، ولكن هناك إجماع على أن هذا الخلل لا يتعلق ببعض الأخطاء البشرية وتجاهل بعض التحذيرات أو الإشارات المرئية الملاحظة، وإنما هو خلل على المستوى الاستراتيجي. ويمكن إجمال هذا الخلل الاستراتيجي فيما يلي:

- السعي الحثيث لتجاوز القضية الفلسطينية وتجاهل وجود الشعب الفلسطيني ومواقفه، واعتقاد الإسرائيليين أنه يمكن تحويل القضية الفلسطينية إلى مسألة إسرائيلية داخلية يمكن التعامل معها أمنياً عند الحاجة، والسير في مشاريع التطبيع دون مراعاة وجود الشعب الفلسطيني. وقد عبر الباحث في مركز سياسات الشعب اليهودي، شلومو فيشر، عن هذا الرأي في مقال له بعنوان: "إنه ليس خلا، وإنما خاصية: الفشل 7 أكتوبر كان نتيجة حتمية للاستراتيجية الإسرائيلية". وخلص فيه إلى أن "الدرس الأساسي هو أنه لا يمكن أن نأكل الكعكة ونبقىها كاملة. فالفلسطينيون مصرون على أنه لا يمكن تجاهلهم أو تجاوز مطالبهم".⁷¹ وبطبيعة الحال، فإن هذا الرأي لا يحظى بإجماع إسرائيلي، بل على العكس من ذلك، فإن المستوى السياسي والعسكري لدى الاحتلال ما زال مصراً على المضي بنفس النهج إزاء القضية الفلسطينية، وإن كان هناك اختلاف فهو بين اختلاف تكتيكي بين منهج "إدارة الصراع" ومنهج "حسم الصراع".
- عدم فهم حماس وطبيعتها وأهدافها، إذ إن ساسة الاحتلال اعتقدوا أن حماس مردوعة وأنها منشغلة بأعباء الحكم في قطاع غزة والحفاظ عليه، وأنها يمكن أن تصبح مثل السلطة الفلسطينية في الضفة تلاحق المقاومين وتمنع المقاومة حتى لا تنجر إلى تصعيد يزعزع حكمها والأوضاع الاقتصادية في القطاع. أحد الذين تبنوا هذا الرأي هو ميخائيل ميلشتاين، رئيس منتدى الدراسات الفلسطينية في مركز موشيه ديان. ففي مقال له بعنوان: "إسرائيل لا تفهم حماس: لقد كانت تلعب الشطرنج ضد نفسها"، يخلص إلى أن الاحتلال ظن أنه من خلال بعض التسهيلات الاقتصادية وتصاريح العمال يمكن أن تحصل حماس على ما تخشى خسارته فتمتنع عن التصعيد لأن حماس معنية بتثبيت حكمها ولذلك تعاطت مع كل خطوات تحسين الأوضاع الاقتصادية. غير أنه حتى من يتبنون هذا الرأي لدى الاحتلال لا يقرون صراحة بأن فهم حماس يعني فهمها كحركة تحرر وطني تهدف إلى تحرير أرضها وشعبها من الاحتلال الإسرائيلي.⁷²
- المنظور السياسي العسكري الخاطئ، الذي وصفه الباحث بمعهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، كوبي ميخائيل، بأنه "منظور ضبط النفس، والاحتواء، والإدمان على الهدوء".⁷³ وفحوى هذا المنظور أن دولة الاحتلال كانت قد تراجعت عن مبدأ حسم الحروب واعتمدت على مبدأ الردع، أي أنها في حروبها وعملياتها التي شهدتها العقدان الأخيران لم تتجه إلى هزيمة الخصم وتدمير قدراته العسكرية، وإنما اكتفت بتوجيه ضربة قاسية له، غالباً ما استهدفت المدنيين والبنى التحتية

⁷⁰ كريم قرط وختام عجارمة، العدوان على غزة بين عامي 2014 و2021: "حروب إسرائيل الجديدة"، شؤون فلسطينية، ع 283 - 284 (ربيع وصيف 2021)، ص 27 - 52.

⁷¹ شلومو شفير، إنه ليس خلا وإنما خاصية: الفشل 7 أكتوبر كان نتيجة حتمية للاستراتيجية الإسرائيلية، هعائين هشبعيت، 2024/1/17 (عبري): <https://www.the7eye.org.il/508167>

⁷² ميخائيل ميلشتاين، إسرائيل لا تفهم حماس: لقد كانت تلعب الشطرنج ضد نفسها، يديعوت أحرنوت، 2023/12/24:

<https://www.ynet.co.il/news/article/hytf6pmvt>

⁷³ كوبي ميخائيل، إسرائيل في حرب: معنى المفاجأة وأهداف الاستمرار، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، 2023/10/7:

<https://linksshortcut.com/YWkrb>

المدنية، لردع الخصم عن الدخول في مواجهة جديدة معها أو إطالة أمد الهدوء بين كل مواجهة وأخرى. غير أن الواقع يشير إلى أن التحول من مبدأ الحسم إلى الردع لم يكن خياراً وإنما سيرة طبيعية لجملة من التحولات، من أهمها تحول الصراع العربي الإسرائيلي إلى نمط الحروب غير المتناظرة مع ظهور حركات المقاومة وتحولها إلى المواجه الأساسي للاحتلال عوضاً عن الجيوش النظامية العربية. ومن ناحية أخرى، كان المجتمع الصهيوني يمر بتحول نيوليبرالي أدى إلى تراجع الروح القتالية والإيمان على التكنولوجيا.

- تقليل الاحتلال من شأن الشعب الفلسطيني ومقاومته، وعدم اقتناعه بأن المقاومة الفلسطينية يمكن أن تكون لديها القدرة أو الجرأة على تنفيذ عملية كهذه. وهذا الأمر يتضح من خلال أن الاحتلال كان يأخذ تهديدات حزب الله اللبناني باجتياح الجليل في حال فرضت حرب على لبنان، ويحسب حساباً كبيراً لقدرات حزب الله، خاصة "وحدة الرضوان" التي شكلت قلقاً حقيقياً للاحتلال ومستوطنيه،⁷⁴ بينما لم يكن يأبه بتاتا بتهديدات المقاومة وتحذيراتها وحتى من التدريبات التي كانت تجريها في محاكاة لسيناريو اقتحام مستوطنات ومواقع عسكرية إسرائيلية.

ختاماً: هل كان طوفان الأقصى هو النتيجة الحتمية؟

وقف رئيس حركة حماس في قطاع غزة، في حينه، يحيى السنوار ليلقي كلمة باسم حركة حماس في مهرجان ذكرى انطلاقتها 35، الذي أطلقت عليه الحركة اسم "أتون بطوفان هادر"، ومن بين ما قاله أن: "تقديرات استخبارات القسام أن اليمين الصهيوني سيكسر كل الخطوط الحمراء خلال عام 2023، وسنكون خلال العام القادم أمام استحقاقات كبرى، حيث أعطينا الفرصة لاشتعال المقاومة في الضفة لأنها قلب المقاومة، أما غزة أعطيناها مزيداً من الوقت لالتقاط الأنفاس".⁷⁵

يتضح من ذلك أن المقاومة كانت ترى أن هناك ضرورة قصوى للتحرك العاجل لمواجهة التحدي المفروض، ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا التحرك هو عملية طوفان الأقصى تحديداً، ولعل سياسة المقاومة في هذا السياق هي توسيع المواجهة مع الاحتلال، وخاصة محاولة إعادة إحياء المقاومة في الضفة الغربية، ولذلك لاعتبارات عدة أهمها:

- أن الضفة هي ساحة المواجهة الأكثر تأثيراً على الاحتلال ويمكن فيها ممارسة نمط معين من المقاومة المسلحة بوتيرة متصاعدة ذات تأثير كبير. وهذا الأمر غير ممكن في قطاع غزة نظراً إلى وجود الاحتلال خارج القطاع على عكس الضفة.
- أن الضفة الغربية هي الأكثر استهدافاً في المشروع الاستيطاني الصهيوني وهي ساحة المواجهة الحتمية لهذا المشروع.
- تخفيف العبء النضالي عن قطاع غزة، إذ لا يمكن أن يظل قطاع غزة هو المعقل الفلسطيني شبه الوحيد الذي يتحمل تكاليف النضال ضد المشروع الصهيوني. فالملاحظ أن المقاومة في غزة أصبحت تتحمل عبء الرد والدفاع عن مجمل المناطق الفلسطينية، وهذا ما كان واضحاً في عملية سيف القدس أيار 2021.

يمكن القول أن معركة "سيف القدس" في مايو/أيار 2021 كانت المنعطف الذي دفع باتجاه تفعيل هذا الخيار، فتلك المعركة شكلت البداية الفعلية لمفهوم "وحدة الساحات" على خلفية التحام المقاومة في قطاع

⁷⁴ "وحدة الرضوان" في "حزب الله" اللبناني تشغل قادة كبار من الفرق الأمامية للجيش الإسرائيلي، روسيا اليوم، 2023/5/30:

<https://linksshortcut.com/NdOoD>

⁷⁵ نور أبو عيشة، "حماس": نمهل إسرائيل موعداً محدداً لإتمام صفقة تبادل أسرى، وكالة الأناضول، 2022/12/14:

<https://linksshortcut.com/OKJXq>

غزة مع الجماهير الفلسطينية في الداخل المختل والقدس بالدرجة الأولى، والضفة الغربية لمواجهة العدوان على القدس والمسجد الأقصى. ومن المهم الإشارة إلى أن مفهوم وحدة الساحات يقصد به بالدرجة الأولى الساحات الفلسطينية، وهو ما اتضح من خلال سعي فصائل المقاومة إلى تفعيل المقاومة في الضفة الغربية عقب تلك المعركة.

غير أن الاحتلال سعى جاهداً إلى كسر هذه الوحدة الناشئة للحؤول دون تطورها وتعززها بما يجعل الضفة الغربية ساحة مواجهة رئيسية فعالة إلى جانب قطاع غزة. وقد كانت أولى بوادر محاولات كسر هذه الوحدة هي عدوان الاحتلال على قطاع غزة في شهر أغسطس/آب 2022 الذي استهدف حركة الجهاد الإسلامي تحديداً، لأن الاحتلال كان يتهمها بالوقوف خلف تصاعد المقاومة في الضفة الغربية بالدرجة الأولى. وقد ردت حركة الجهاد على هذا العدوان بعملية "وحدة الساحات" لتؤكد على هذا المبدأ وأن محاولات الفصل لن تفلح، خاصة وأن التوتر تصاعد عقب اعتقال قوات الاحتلال للقيادي في حركة الجهاد في جنين الشيخ بسام السعدي، بطريقة قاسية ومهينة ترافقت مع شكوك باغتياله.⁷⁶

من ناحية أخرى، توجه الاحتلال لعرقلة دخول المنحة القطرية لقطاع غزة ووقفها لعدة أشهر خلال عام 2023 كنوع من الضغط على فصائل المقاومة لوقف دعمها للمقاومة في الضفة الغربية، من بين أسباب أخرى. وهو أمر أدى إلى ازدياد سوء الأوضاع الاقتصادية والإنسانية في قطاع غزة.⁷⁷ وعلى منحنى آخر وجه الاحتلال تهديدات باغتيال قيادات المقاومة في قطاع غزة ولبنان على خلفية تصاعد العمليات في الضفة الغربية، ودخلت هذه التهديدات مرحلة التخطيط الفعلي لتنفيذها. إذ عقد حكومة الاحتلال اجتماعاً، في شهر أغسطس/آب 2023، قررت فيه أن "تختار إسرائيل التوقيت والمكان لتوجيه ضربة إلى منفذي العمليات ومرسليهم، حماس وإيران"، خارج الضفة الغربية ولو أدى ذلك إلى اندلاع جولة تصعيد جديد.⁷⁸ من جانبها أبلغت فصائل المقاومة الوسطاء أنها سترد على أية عملية اغتيال "دون حساب الكلفة الناتجة عن هذا الرد". ورفعت مستوى جهوزيتها وأخلت مواقعها في قطاع غزة تحسباً لأيّة عملية غادرة من الاحتلال.⁷⁹

وإضافة إلى جهود الاحتلال في القضاء على مقاومة الضفة الغربية وكسر حالة وحدة الساحات التي تسعى فصائل المقاومة إلى تثبيتها، كانت السلطة الفلسطينية من جانبها أيضاً تعمل على تكثيف ملاحقة المقاومين واعتقالهم لإنهاء حالة المقاومة المتصاعدة.⁸⁰ وقد دخلت السعودية على الخط أيضاً في محاولة وأد المقاومة المتصاعدة في الضفة الغربية من خلال عرضها على السلطة الفلسطينية استئناف دعمها المالي لها مقابل الحصول على دعمها السياسي في مسار التطبيع السعودي، ولكن بشرط نجاح السلطة في السيطرة على الأوضاع الأمنية في الضفة الغربية،⁸¹ أي مواجهة المقاومة المسلحة المتنامية.

في ضوء المعطيات السابقة، من فشل كل محاولات كسر الحصار ووصول القضية الفلسطينية إلى مراحل خطيرة في ظل حكومة اليمين المتطرف التي ترفع لواء "حسم الصراع" والمساعي الإقليمية والدولية

⁷⁶ حسام الدجني، معركة وحدة الساحات: قراءة سياسية، دراسات فلسطينية عدد 132 (خريف 2022): <https://www.palestine-studies.org/ar/node/1653184>

⁷⁷ مها شهوان، المنحة القطرية تعين فقراء غزة و"إسرائيل" تعرقلها، نون بوست، 2023/5/29:

<https://www.noonpost.com/47230>

⁷⁸ نتنياهو منز عج من تسريبات بخصوص عملية أمنية إسرائيلية ضد "حماس" وإيران، العربي الجديد، 2023/8/23:

<https://2u.pw/FlYPrUu3>

⁷⁹ فصائل المقاومة ترفع حالة التأهب الأمني في غزة والخارج خشية هجوم إسرائيلي، العربي الجديد، 2023/8/23:

<https://2u.pw/SRQjDd8K>

⁸⁰ رجب المدهون، عباس ينتظر التسهيلات: ماضون في ضرب المقاومة، جريدة الأخبار اللبنانية، 2023/8/12: <https://al-akhbar.com/Palestine/368098>

⁸¹ "ول ستريت جورنال": السعودية تعرض استئناف تمويل السلطة الفلسطينية، عرب 48، 2023/8/29:

<https://linksshortcut.com/pulOP>

لإنهاء القضية الفلسطينية عبر "إدماج إسرائيل في المنطقة" وانشغال العالم عنها، ورفض السلطة الفلسطينية لأي تغيير في سياساتها ما أعاق عملية تطور المقاومة في الضفة الغربية؛ فإن حماس التجأت إلى عملية طوفان الأقصى. وكان هذا الخيار بمنزلة "الخيار النووي" لدى حماس الذي كانت تعد له منذ زمن كخيار أخير، إذ إنها لم تلجأ له إلا بعد استنفاد كل السبل والطرق الأخرى لمواجهة التحديات والأزمات التي تواجه القضية الفلسطينية، في مسعى لقلب الطاولة على الجميع داخليا وخارجيا، وإعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية بأنها قضية شعب له مطالب محقة بالحرية وتقرير المصير والعيش الكريم.

المحور الثاني

طوفان الأقصى (التفاعلات والتداعيات)

أ. سليمان بشارت

مدير مؤسسة يبوس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، رام الله

ملخص:

لم تعد الحرب على غزة الذي يشنها الاحتلال الإسرائيلي ما بعد معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، منفصلة عن التفاعلات السياسية والميدانية والأمنية والعسكرية والجيوسياسية والاستراتيجية لأبرز الفاعلين الدوليين والإقليميين في منطقة الشرق الأوسط، بل أصبحت ترتبط بشكل أكثر قوة مع استمرارية الحرب وتجاوزها للإطار الزمني الذي كان متوقعا في بداياتها إذا ما أخذنا بالاعتبار أن الحديث كان عن شهور محدودة يمكن أن تنتهي من خلالها الحرب، أما تجاوزها لكل الافتراضات الزمانية فقد حولها إلى حالة من الاصطفافات، وبنيت عليها الكثير من السيناريوهات التي يمكن أن تشكل واحدة من محطات التحول ليس على المشهد الفلسطيني فحسب، بل ارتداداته الإقليمية والدولية وشكل وطبيعة المحاور التي يمكن أن تتمخض عنها في ظل استمرارية الميدان وما قد يحمل من تطورات وتداعيات غير تلك التي كانت في الشهور الأولى من عمر المواجهة.

تنتقل هذه الدراسة، من هدف رئيس يقوم على محاولة فهم طبيعة وشكل التفاعلات والتداعيات التي يمكن أن تتركها معركة طوفان الأقصى على الحالة الفلسطينية الداخلية سواء أكان ذلك مرتبطا بقوى المقاومة أو بالنظام السياسي الفلسطيني، أو العلاقة البينية ما بين مكونات الحالة الفلسطينية الوطنية، وشكل وطبيعة هذه العلاقة في المدى المنظور لما بعد الحرب.

وتستعرض الدراسة في محاورها على محاولة فهم شكل وطبيعة التفاعلات والتداعيات على المستوى الإسرائيلي من حيث مرتكزات القوة التي تقوم عليها دولة الاحتلال، وصولا إلى الحالة الإسرائيلية الداخلية وشكل العلاقة البينية ما بين ما بات يعرف بإسرائيل الأولى المتمثلة بالمؤسسة العسكرية والقيادات التاريخية لها، وإسرائيل الثانية المرتكزة في بعدها الأيديولوجي على الصهيونية الدينية وبرنامجها الساعي للسيطرة على مفاصل الدولة وفرض برنامجها عبر هذه الحرب. إضافة إلى ارتدادات الحرب على التعريف بهوية الكيان وعلاقة الأفراد به وتأثيراتها على الهجرة العكسية سواء أكانت داخليا أو خارجيا.

كما تحاول فهم شكل وطبيعة الخارطة السياسية والجيوسياسية لتداعيات طوفان الأقصى في العلاقة مع الإقليم والمحيط والأدوار الشعبية والرسمية لدول المنطقة العربية والإسلامية باعتبارها امتدادا للهوية القومية، ومحاولات فصل القضية الفلسطينية عن عمقها العربي والإسلامي كما حاولت دولة الاحتلال والولايات المتحدة الأمريكية أن تعززها على مدار سنوات طويلة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. وتمتد هذه المحاولة لفهم التداعيات الدولية والمواقف التي تنطلق منها القوى الدولية المؤثرة ومدى انعكاسات ذلك أيضا على مكانتها الداخلية، خصوصا ما يرتبط بمفهوم القيم المتمثلة بالحرية والعدالة والقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، وازدواجية المعايير للمنظور الدولي تجاه إسرائيل مقابل التعامل مع الفلسطينيين، وما لذلك من انعكاساته أيضا على مفهوم القيم لدى الجماهير والشعوب العالمية.

وتطرق إلى محاولة تشخيص التداعيات والتفاعلات القيمية والثقافية والحضارية وشكل وطبيعة الأزمة التي يمكن أن تتشكل في مقاربة التفاعل مع الأزمات العالمية ومدى قربها أو بعدها عن الشرق الأوسط أو عن القضية الفلسطينية بشكل أخص، ومدى تأثير هذه الحرب على هذه القيم انطلاقاً من القانون الدولي الإنساني ومفاهيم العدالة التي تعمل على إرسائها المؤسسات الأممية على مدار قرون طويلة بينما تصطدم الآن مع قضية إنسانية مستعصية مرتحنة بالحسابات السياسية أكثر منها القيم الإنسانية والحقوقية.

وتخلص الورقة إلى أن طوفان الأقصى استطاع أن يحدث حالة من الوعي الجمعي على مستويات متعددة، وأن يكسر معادلات عملت المنظومة الغربية على ترسيخها بقدرة إسرائيل ومكانتها في بناء المعادلات السياسية والقيمية والثقافية في الشرق الأوسط، وأن هذه المعادلة التي باتت الآن إسرائيل تحاول أن ترممها باتت تصطدم بتحديات كثيرة تتمثل في عدم القدرة على حسم أي مواجهة، وأن قدرة إسرائيل التي كانت تقوم على التفوق السياسي والعسكري لم تعد بذات الكفاءة التي كانت عليها بالسابق باعتبار أن حالة المواجهة الآن تؤسس إلى ما يمكن أن يسمى بالمعادلة الوجودية، وهذا بحد ذاته يشكل واحدة من أكبر الرهانات الحالية والمستقبلية في المنقطة بشكل عام، وبالتالي فإن هناك متغيرات كثيرة تشهدها المنطقة في المدى المنظور ويمكن أن يبني عليها تغيرات في البعد الاستراتيجي وهو ما يعني أن معركة طوفان الأقصى أسست لمرحلة تحويل لا يمكن الجزم بشكلها وطبيعتها باعتبار أن التداعيات والتفاعلات لها ما زالت مستمرة.

تمهيد :

شكّلت العقليّة الانتقامية والوحشية منطلقاً للاحتلال الإسرائيلي لحربه على قطاع غزة ما بعد معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، باعتبار أن هذه الحرب من المنظور الإسرائيلي تسعى لتحقيق مجموعة من الأهداف في مقدمتها تغيير البيئة الاستراتيجية للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة على وجه الخصوص، والقضية الفلسطينية بشكل عام، انطلاقاً من القضاء على المقاومة، وتفكيك حاضنتها الشعبية عبر القتل والتدمير الممنهج والدفع بالفلسطينيين إلى التهجير، وصولاً إلى محاولة حصر الصراع داخل الجغرافيا الفلسطينية دون إعادة القضية إلى بيئتها العربية والإسلامية، ثم الانطلاق من ذلك لإعادة تفكيك وتركيب البنية الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط استناداً للرؤية اليمينية الإسرائيلية المتطرفة التي ترى في أن الظروف مواتية لما سمي بـ"شرق أوسط جديد" تكون إسرائيل هي الكيان المركز والفاعل. هذه الأهداف وإن حاولت إسرائيل تقديمها على أنها أهداف محصورة في الجغرافيا الفلسطينية بغزة، إلا أنها سرعان ما ارتبطت بشكل تلقائي ومباشر مع امتدادات في البعد الداخلي الإسرائيلي، والبعد الداخلي الفلسطيني، والبعد الإقليمي، والبعد الدولي، إضافة إلى بعد محور المقاومة الذي أرسى قاعدة وحدة الساحات ما بعد العام 2021.

بالتالي، لم تعد الحرب على غزة منفصلة عن التفاعلات السياسية والميدانية والأمنية والعسكرية والجيوسياسية والاستراتيجية لكل الأطراف التي ذكرت سابقاً، بل أصبحت ترتبط بشكل أكثر قوة مع استمرارية الحرب وتجاوزها للإطار الزمني الذي كان متوقفاً في بداياتها إذا ما أخذنا بالاعتبار أن الحديث كان عن شهور محدودة يمكن أن تنقضي من خلالها الحرب، أما تجاوزها لكل الافتراضات الزمانية فقد حولها إلى حالة من الاصطفافات، وبنيت عليها الكثير من السيناريوهات التي يمكن أن تشكل واحدة من محطات التحول ليس على المشهد الفلسطيني فحسب، بل ارتداداته الإقليمية والدولية وشكل وطبيعة المحاور التي يمكن أن تتمخض عنها في ظل استمرارية الميدان وما قد يحمل من تطورات وتداعيات غير تلك التي كانت في الشهور الأولى من عمر المواجهة.

تنتقل هذه الورقة، من هدف رئيس يقوم على محاولة فهم طبيعة وشكل التفاعلات والتداعيات التي يمكن أن تتركها معركة طوفان الأقصى على الحالة الفلسطينية الداخلية سواء أكان ذلك مرتبطاً بقوى المقاومة أو بالنظام السياسي الفلسطيني، أو العلاقة البينية ما بين مكونات الحالة الفلسطينية الوطنية، وشكل وطبيعة هذه العلاقة في المدى المنظور لما بعد الحرب. وفي المحور الثاني تسعى لمحاولة فهم شكل وطبيعة التفاعلات والتداعيات على المستوى الإسرائيلي من حيث مرتكزات القوة التي تقوم عليها دولة الاحتلال، وصولاً إلى الحالة الإسرائيلية الداخلية وشكل العلاقة البينية ما بين ما بات يعرف بإسرائيل الأولى المتمثلة بالمؤسسة العسكرية والقيادات التاريخية لها، وإسرائيل الثانية المرتكزة في بعدها الأيديولوجي على الصهيونية الدينية وبرنامجها الساعي للسيطرة على مفاصل الدولة وفرض برنامجها عبر هذه الحرب. إضافة إلى ارتدادات الحرب على التعريف بهوية الكيان وعلاقة الأفراد به وتأثيراتها على الهجرة العكسية سواء أكانت داخلياً أو خارجياً. أما المحور الثالث فهو يركز على محاولة فهم شكل وطبيعة الخارطة السياسية والجيوستراتيجية لتداعيات طوفان الأقصى في العلاقة مع الإقليم والمحيط والأدوار الشعبية والرسمية لدول المنطقة العربية والإسلامية باعتبارها امتداداً للهوية القومية، ومحاولات فصل القضية الفلسطينية عن عمقها العربي والإسلامي كما حاولت دولة الاحتلال والولايات المتحدة الأمريكية أن تعززها على مدار سنوات طويلة من الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. بينما يحاول المحور الرابع استكمال المشهد في التداعيات الدولية والمواقف التي تنطلق منها القوى الدولية المؤثرة ومدى انعكاسات ذلك أيضاً على مكانتها الداخلية، خصوصاً ما يرتبط بمفهوم القيم المتمثلة بالحرية والعدالة والقانون الدولي والقانون الدولي الإنساني، وازدواجية المعايير للمنظور الدولي تجاه إسرائيل مقابل التعامل مع الفلسطينيين، وما لذلك من انعكاساته أيضاً على مفهوم القيم لدى الجماهير والشعوب العالمية. ويركز المحور الخامس على التداعيات والتفاعلات القيمية والثقافية والحضارية وشكل وطبيعة الأزمة التي يمكن أن تتشكل في مقاربة التفاعل مع الأزمات العالمية ومدى قربها أو بعدها عن الشرق الأوسط أو عن القضية الفلسطينية بشكل خاص، ومدى تأثير هذه الحرب على هذه القيم من انطلاقة من القانون الدولي الإنساني ومفاهيم العدالة التي تعمل على إرسائها المؤسسات الأممية على مدار قرون طويلة بينما تصطدم الآن مع قضية إنسانية مستعصية مرتهنة بالحسابات السياسية أكثر منها القيم الإنسانية والحقوقية. أما المحور السادس والأخير فهو يعرج على التداعيات الاقتصادية لمعركة طوفان الأقصى وما يرتبط بها من تأثيرات على الحالة الاقتصادية البينية على المستوى الدولي، والإقليمي وصولاً إلى الحالة الاقتصادية الإسرائيلية والفلسطينية وشكلها المستقبلي.

أولاً: التفاعلات والتداعيات الفلسطينية

• شعبية حركة حماس وحركات المقاومة ودورها ومكانتها في منظومة العلاقات الفلسطينية الداخلية والإقليمية والدولية :

ما بعد الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية في يناير/كانون الثاني 2006، والتي فازت حركة حماس بغالبية مقاعد المجلس التشريعي وتشكيلها للحكومة العاشرة، ومن ثم تعثر المسار السياسي الفلسطيني الداخلي بعد حالة الانقسام وارتداداته، لم تجر انتخابات شعبية يمكن من خلالها قياس مدى تقدم أو تراجع الحضور الجماهيري والشعبي لحماس وقوى المقاومة، وذات الأمر بالنسبة لباقي الفصائل الفلسطينية وفي مقدمتها حركة فتح ممثلة بالسلطة الفلسطينية، وبقي الأمر ضمن السجلات في المواقف السياسية الداخلية، ومحاولة كل طرف من الأطراف الاعتماد على بعض من الظواهر والمحطات واستطلاعات الرأي لإبراز حضوره الميداني أو التعبير عن قدرة برنامجها على الثبات طيلة أعوام الانقسام التي زادت عن 17 عاماً. إلا أن المعيار الأوضح بقي طوال هذه الفترة، ولا يختلف عليه المراقبون، مدى الالتفاف الشعبي والجماهيري الفلسطيني على هدف مقاومة الاحتلال في ظل محاولة التفرد بالقضية الفلسطينية بل

وتصفيتهما ضمن ما بات يعرف بالدعم الدولي والأمريكي للمشروع الاستيطاني الاحتلالي في فلسطين، مقابل التنصل من الحقوق الفلسطينية التي أقرتها الاتفاقيات التي وقعت برعاية دولية من اتفاقية أوسلو عام 1993 حتى يومنا الحاضر.

فبات محدد الاستمراج للرأي الشعبي والتأييد للقوى والفصائل الفلسطينية يقوم من خلال معيار القرب أو البعد عن منهجية وأدوات المقاومة للاحتلال، ومن خلال القدرة على التأثير على الاحتلال ومخططاته عبر ما أدارته المقاومة من مواجهات وحروب ابتداء من الحرب على قطاع غزة عام 2008 وصولاً إلى معركة طوفان الأقصى. هذا في المنظور الزمني الحديث، أما في المنظور الزمني التاريخي فقد ثبت أن الحاضنة الشعبية الفلسطينية يتعزز تمسكها وثباتها ودعمها للقوى الفلسطينية في أعقاب محطات مفصلية من المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي، وهي ذات التجربة التي حظيت بها منظمة التحرير الفلسطينية في ثمانيات القرن الماضي ومحطات الثورة المسلحة التي اعتمدت عليها في ذلك الوقت، وعززتها في الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام 1987، وجاءت الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) لتضفي مزيداً من الشرعية والحضور القوي للحركات الإسلامية (حماس والجهاد الإسلامي) مع استمرار رفضيهما لمبدأ التسوية السياسية.

ويمكن أن نفهم محددات شعبية قوى المقاومة وتعززها في الحرب على قطاع غزة من خلال المنطلقات التالية:

- المؤشرات الرقمية التي تقدمها استطلاعات الرأي والمسوح الشاملة، وفي هذا الإطار

فقد أظهر استطلاع للرأي أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية، بين 26 مايو/أيار و1 يونيو/حزيران 2024، أن ثلثي الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة يؤيدون ما جرى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023. كما أن 80% يعتقدون أنه وضع القضية الفلسطينية في بؤرة الاهتمام العالمي، ونصفهم يتوقع انتصار حماس وعودتها لحكم غزة بعد الحرب. فسؤال لمعركة طوفان الأقصى طرح ثلاث مرات منذ بدء العدوان، ورغم ذلك ظل مستوى التأييد مرتفعاً. وفقاً لاستطلاعات المركز نفسه في ديسمبر/كانون الأول 2023، ومارس/آذار 2024، ويونيو/حزيران 2024، بقيت نسبة التأييد ثابتة عند 70%. وفي الضفة الغربية، وصلت نسبة التأييد إلى 82% في ديسمبر/كانون الأول 2023.

كما أن الشعب الفلسطيني يرفض أي انتقاص من أهمية 7 أكتوبر/تشرين الأول، ويعتبره إنجازاً محورياً في تاريخ نضالهم. و80% من الفلسطينيين لا يتفقون مع التصريح الذي أعلنه الرئيس الفلسطيني محمود عباس خلال القمة العربية التي جرت نوفمبر/تشرين الثاني 2023 في الرياض، الذي قال فيه إن "هجوم حماس في السابع من أكتوبر/تشرين الأول منح إسرائيل مبررات إضافية لمهاجمة قطاع غزة"، وكذلك تصريحه بأن موقف حماس لإنهاء الانقسام وقبول الشرعية الدولية يعزز المخطط الإسرائيلي لتكريس فصل قطاع غزة عن الضفة الغربية. على العكس من ذلك، يعتقد الشعب أن حدث 7 أكتوبر/تشرين الأول ليس فقط خطوة صحيحة، بل هو حدث استثنائي واستراتيجي على طريق التحرير⁸².

وفي المحصلة، هنا تبرز أولى تفاعلات الحرب في شعبية حركات المقاومة بعموميتها وحماس بشكل خاص، إذ أنه رغم محاولة إظهار أن الذهاب إلى معركة طوفان الأقصى شكل مغامرة من قبل حركات المقاومة كما حاول البعض أن يصوره بهذا الشكل⁸³، إلا أنه أعطاها زخماً وحضوراً

⁸² - محمود الرنتيسي، الفلسطينيون ملتحمون بمقاومتهم.. قراءة في استطلاعات الرأي، الجزيرة نت، 17-6-2024:

<https://2u.pw/w2PflYrC>

⁸³ - هدى الحسيني، ماذا أرادت «حماس» من 7 أكتوبر؟، صحيفة الشرق الأوسط السعودية، 2023/11/9: <https://2u.pw/fSYG0ipx>

أكبر على المستوى الشعبي والجهاديين فلسطينياً حتى في مخيمات اللاجئين خارج فلسطين، وقد عبرت عن ذلك صحيفة "الجارديان" البريطانية عن ذلك في أحد تقاريرها عندما قالت: "حتى وقت قريب كانت جدران البنايات المتداعية تحمل شعارات جدارية باهتة، كدليل على قضية أصبحت من الماضي، إلا أن عملية حماس وما أعقبها من حرب على غزة أحيى الآمال بدولة فلسطينية وحلم العودة إلى الأرض التي كانت تعيش فقط في الذكريات للجيل القديم"⁸⁴.

- **الثبات على المواقف والمنطلقات الوطنية والسياسية** : يقول المؤرخ البريطاني اليهودي آفي شليم في ورقة بحثية شاملة حول تاريخ قطاع غزة منذ النكبة في أيار/ مايو 1948 وحتى ما يسميها "حرب نكبة 2023" ويقصد بها الحرب على غزة الآن، إن "هجوم حماس أعلن بصوت مرتفع وواضح أن القضية الفلسطينية لم تمت، وأن المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي لم تنته"⁸⁵. هذه الحقيقة التي استطاعت فصائل المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة حماس الحفاظ عليها من خلال التمسك بالمقاومة كأداة وبالخطاب السياسي المقاوم كمنهج للتمسك بالمواقف والمنطلقات الوطنية ورفض القبول بالأطروحات السياسية التي تنتقص من حق الشعب الفلسطيني بالتحرك. فممنذ انطلاقة معركة طوفان الأقصى عادت الولايات المتحدة الأمريكية اجترار الحديث عن إمكانية العودة لحل الدولتين على الرغم من أن الاحتلال الإسرائيلي غير من الواقع الفلسطيني الديموغرافي والجغرافي بشكل كبير جداً على مدار 30 عاماً من مسار التسوية في أعقاب اتفاقية أوسلو وحتى الآن، ولم يعد بالإمكان تطبيق هذا الطرح الأمريكي، إلا أن الهدف أمريكي كان محاولة إحداث عملية إلهاء والدفع بالفلسطينيين للانخراط مرة أخرى بذات المسار الذي لم يفض إلى نتيجة، وبالتالي منح الاحتلال الإسرائيلي مساحة من الوقت لتثبيت واقع مستقبلي يمهّد لإقامة الدولة اليهودية وحرمان الفلسطينيين من إقامة بنية لدولة فلسطينية مستقبلية.

- **القرب من الحاضنة الشعبية** : منذ عام 2007، حاول الاحتلال الإسرائيلي أن يحول المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة إلى قوة كامنة يمكن أن تنثور على المقاومة الفلسطينية من خلال سياسة العقاب الجماعي التي فرضها على القطاع، إلا أن هذه السياسة التي لم يتوان الاحتلال من استخدام كل ما يعززها من حرمان وقتل وتدمير واستهداف، اكتشف على مدار شهور الحرب على غزة منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول لم تؤثر على هذا الاحتضان، وهذا ما يفسر سر الاستهداف الممنهج الذي عمل عليه الاحتلال على مدار شهور الحرب من عمليات قتل جماعي وإبادة وتدمير ممنهج في محاولة لتحقيق هدفين؛ الأول إما بالدفع بالسكان الفلسطينيين من أهالي القطاع للهجرة ومغادرة القطاع تحت لهيب القصف السجادي الواسع والمكثف. والثاني الدفع بالفلسطينيين إلى الانقلاب على المقاومة في ظل الحرب ومطالبتها بالرضوخ لمسار حاول الاحتلال أن يفرضه من خلال تسليم السلاح ومقاليد إدارة القطاع لجهات يرى الاحتلال أنها يمكن أن تشكل بديلاً لإدارة قطاع غزة وتنسجم مع رؤيته وأهدافه بالسيطرة على القطاع. بل ذهب الاحتلال أبعد من ذلك عندما بدأ الحديث عن طرح إمكانية توفير مسار آمن يسمح بقيادات المقاومة لمغادرة القطاع مقابل وقف الحرب وهو ذات المنهج الذي استخدمه في أعقاب حصار بيروت عام 1982 وإجبار منظمة التحرير الفلسطينية والمقاومة الفلسطينية آنذاك في بيروت للخروج إلى الجزائر مقابل وقف الحرب وفك الحصار عن بيروت، لكن يبدو أن الواقع الآن تغيير كثيراً من حيث وعي

⁸⁴ - بلال ياسين، الغارديان: طوفان الأقصى وحرب غزة قفزتا بشعبية حماس في مخيمات لبنان، عربي21، 2024/4/26:

<https://2u.pw/jyAXshXh>

⁸⁵ - Avi Shlaim, War on Gaza: Netanyahu, Hamas and the origins of the 2023 Nakba war, middleeasteye, 21/12/2023: <https://www.middleeasteye.net/big-story/gaza-war-israel-netanyahu-hamas-origins-2023-nakba>

المواطنين الفلسطينيين، وكذلك المقاومة التي استطاعت أن تثبت أن الصمود سيكون بحد ذاته انتصاراً حتى وإن كان حجم التدمير والإبادة في القطاع يفوق كل التوقعات كما حصل فعلياً، وأن تكرار التجارب السابقة هذا لا يعني أن الاحتلال سيتخلى عن هدف السيطرة والتدمير وإنما القبول بأي أطروحات لا تسند إلى الحقوق الفلسطينية سيكون بمثابة منح الاحتلال مزيداً من الوقت لتمير مشاريعه وتثبيت واقع يسعى له في إحكام السيطرة العسكرية على قطاع غزة. وكجزء من حماية الحاضنة الشعبية الفلسطينية، حاولت حماس وقوى المقاومة الاحتفاظ بحالة من الاتزان فيما يتعلق بالخطاب السياسي الداخلي رغم استمرار حالة الانقسام الفلسطيني وعدم القدرة على تجاوز هذه المعضلة، بل بقيت مساعي محاولة التقريب في وجهات النظر حاضرة من خلال اللقاء الذي عقد في بكين وخرجت به الفصائل الفلسطينية بموقف يؤكد على أهمية تعزيز الوحدة الفلسطينية وتفويت الفرصة على الاحتلال⁸⁶.

- **النسق الدبلوماسي إقليمي ودولياً** : منذ اليوم الأول للحرب على غزة، سعت الأذرع الدبلوماسية والسياسية والعسكرية التابعة للاحتلال الإسرائيلي للعمل على شيطنة المقاومة الفلسطينية وحركة حماس في محاولة لإلصاق تهمة "الإرهاب" بها عبر تمرير رواية لنزع الشرعية عن النضال الفلسطيني، وتقديم ما ستقوم به إسرائيل على أنه جزء من "الدفاع عن النفس"، وهو ما تلقفته الولايات المتحدة الأمريكية وكبرى شبكاتها الإعلامية في محاولة لإكساب الشرعية لعمليات الإبادة والقتل التي يمارسها الاحتلال، إلا أن إدراك حماس وفصائل المقاومة السريع دفع باتجاه كسر هذه السردية من خلال مجموعة من المحددات، أولاًها: الإفراج المباشر عن مستوطنة إسرائيلية وأطفالها بقرار من طرف المقاومة⁸⁷، ثم الإفراج عن مستوطنين لدواع إنسانية⁸⁸، وإصدار حركة حماس سلسلة من المواقف والتصريحات الإعلامية والحضور الإعلامي عبر المؤتمر الصحفي اليومي الذي كانت تعقده عبر عضو مكتبها السياسي أسامه حمدان من بيروت، وصولاً إلى إصدارها وثيقة تحت عنوان "لماذا طوفان الأقصى"⁸⁹. وثانياً؛ عمدت المقاومة الفلسطينية إلى التعاطي مع الجهود السياسية والدبلوماسية في محاولة احتواء الحرب التدميرية من خلال الوسيطين القطري والمصري، بل أبعد من ذلك من خلال اللقاءات والوفود التي جابت الكثير من العواصم العربية والإقليمية إضافة إلى روسيا، وهنا يمكن القول أن حماس استطاعت أن تكسر واحدة من الأهداف الأساسية لهذه الحرب وهو نزع الشرعية عنها باعتبارها عنواناً فلسطينياً، فجميع المفاوضات والمسارات السياسية جعلت من الجميع أن يتعامل مع حماس على عكس الرغبة الإسرائيلية منذ بداية الحرب ووضعها هدف إقصاء حماس عن القضية الفلسطينية وعن الساحة السياسية.

• شعبية السلطة الفلسطينية ودورها ومكانتها ومنظومة علاقاتها فلسطينياً وعربياً وإقليمياً :

في أعقاب السابع من أكتوبر/تشرين الأول، التزمت حركة فتح وقيادات منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية الصمت، ولم يصدر عنهما مواقف مؤيدة أو متضامنة عما جرى في ذلك اليوم، الأمر الذي دفع إلى صدور مواقف تعبر عن الأشخاص أكثر منها عن المرجعية للحركة كالتصريح الذي تحدثت به عضو

⁸⁶ - الجزيرة نت، لقاء بكين.. حماس وفتح تؤكدان على الوحدة ومواجهة العدوان، 2024/4/30: <https://2u.pw/xWYZnJKC>

⁸⁷ - قناة الغد الفضائية، 2023/10/12: <https://2u.pw/GJX6JHfo>

⁸⁸ - عربي 21، 2023/10/23: <https://2u.pw/qz1DNAMy>

⁸⁹ - الجزيرة نت، 2024/1/21: <https://2u.pw/PZ1sY1e>

اللجنة المركزية للحركة عباس زكي وشكر فيه المقاومة ومجد بطولاتها بعملية "طوفان الأقصى"، إلا أنه سرعان ما خرج موقف تحت مسمى "مصدر مسؤول"، ليشير إلى أن هذه المواقف تعبر عن الأشخاص وليس عن الإطار العام للمنظمة أو قيادات فتح والسلطة الفلسطينية⁹⁰. هذا الصمت والغياب في المواقف في بعض الأحيان، ومحاولة إلقاء اللوم على حركة حماس في أحيان أخرى لإعادة احتلال قطاع غزة وأن حركة حماس تقدم "ذرائع مجانية" لإسرائيل للاستمرار بعملية الإبادة التي تجري في القطاع⁹¹. هذا التباين بين المواقف وعدم وضوحها خلق جدالا داخل البيئة الفتحاوية أولا، وانتقلت إلى حالة الانتقاد من قبل الشارع الفلسطيني الذي يرى في أن المقاومة هي خيار المرحلة وأن أي حديث عن مسارات سياسية لا تلبى طموحات الشعب الفلسطيني لن تكون واقعية في ظل المأساة التي يقوم بها الاحتلال في القطاع⁹². فخرجت المسيرات المؤيدة للمقاومة والرافضة للعدوان بالعديد من مدن الضفة الغربية، وهو ما أظهر حركة فتح في موقع المتراجع من حيث البعد الشعبي.

وينطلق فهم التفاعلات والتداعيات لطوفان الأقصى على حركة فتح وتأثير ذلك على شعبيتها من خلال عدد من المنطلقات:

- **تناقضية المواقف** : لم تستطع الحركة تحديد رسم بياني واضح تجاه مواقفها من طوفان الأقصى، وحتى بعد مرور شهور طويلة وعام على الحرب، بقيت مترددة في التوحد على موقف واضح وصريح، وهو ما جعل منها مواقف هامشية أكثر من كونها مركزية، الأمر الذي انعكس على مكانة الحركة في مؤشرات استطلاعات الرأي.
- **طغيان الشخوص على المؤسسات والمرجعيات**: حاولت حركة فتح استحضار منظمة التحرير ومؤسساتها باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، إلا أنها لم تستطع أن تثبت هذا العنوان كمرجعية أساسية في المواقف تجاه الحرب على غزة، وبقي الحال محصورا في شخوص محددة تنصدر المشهد تارة وتراجع تارة أخرى، حتى بعد تشكيل حكومة فلسطينية جديدة برئاسة محمد مصطفى لم تستطع أن تقدم خطابا مقنعا أو توجهها حقيقيا للدور الذي يمكن أن تقوم به بإسناد قطاع غزة أو مواجهة الاحتلال الإسرائيلي.
- **الارتهان للموقف الأمريكي** : عادت إدارة بايدن للتحدث مرة أخرى إلى طرح حل الدولتين مطالبة السلطة الفلسطينية إلى إحداث إصلاحات داخلية متجددة، الأمر الذي فهم من قبل السلطة الفلسطينية أن هناك مساع أمريكية لإمكانية تفعيل مسار التسوية السياسية باعتباره الخيار الوحيد للقيادة الفلسطينية في هذا التوقيت ما جعل الموقف الرسمي الفلسطيني وحركة فتح تبقى رهينة للسقف السياسي الذي ترسمه واشنطن إزاء الحالة الفلسطينية، بل ربما إن تمسكها بهذا السقف جعلها تقع تحت تأثير العقوبات التي فرضها حكومة نتنياهو في استمرار اقتطاع أموال المقاصة، والاجراءات العقابية اليومية بحق الفلسطينيين بالضفة، والتهديد بسحب الامتيازات من قيادات فلسطينية كعقاب على أي مواقف يمكن أن تصدر تجاه تأييد المقاومة. كل ذلك أظهر أن خيارات فتح والسلطة الفلسطينية بقيت رهينة خيارات 30 عاما من المفاوضات التي لم تفض نتيجة حقيقية بمنح الفلسطينيين أي من حقوقهم السياسية.

⁹⁰ - وكالة قدس برس للأخبار، عباس زكي يشيد بـ"القسام" والمقاومة... ومصدر مسؤول في "فتح": "لا يمثل إلا نفسه"، 2023/10/15:

[/https://qudspress.com/86012](https://qudspress.com/86012)

⁹¹ - الجزيرة نت، الرئاسة الفلسطينية اعتبرت حماس "شريكا" في مجازر غزة.. كيف ردّت الفصائل؟، 2024/7/14:

<https://2u.pw/ud4EUAwT>

⁹² - ميدل ايست، لماذا تلتزم حركة فتح الصمت حيال العدوان على غزة؟، 2023/12/7: <https://2u.pw/1fJsQlno>

- **التعويل على اليوم التالي للحرب** : يبدوا أن حركة فتح ما زالت ترى في أن الحرب على غزة يمكن أن تؤثر على ميزان القوى السياسية الفلسطينية، وأن تعطيها أفضلية في إدارة المرحلة السياسية الفلسطينية المستقبلية أو ما يسمى باليوم التالي للحرب على غزة، انطلاقاً من أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الجهة المعترف بها دولياً أو الممثل الشرعي والوحيد، هذا المفهوم يعبر عن قصر نظر سياسي إذ أن الرؤية الإسرائيلية تقوم بعدم قبول السلطة الفلسطينية أو حركة فتح أو حركة حماس لأي مستقبل سياسي لإقامة دولة فلسطينية حيث ترجم ذلك من خلال المصادقة الإسرائيلية على قرار في الكنيست الإسرائيلي بأغلبية عدم الاعتراف بدولة فلسطينية، وكذلك الأمر تمرير مجموعة من القرارات المصادق عليها من حكومة الاحتلال قدمها وزير المالية سموتريش والتي شرعت عملية بسط السيطرة على الأراضي الفلسطينية المصنفة (ب) وفقاً لاتفاقية أوسلو لتصبح تحت الإدارة العسكرية الإسرائيلية.

من المنطلقات السابقة، فإن حركة فتح والسلطة الفلسطينية، وإن حاولا الابتعاد عن ما يمكن أن توصفان به أنهما داعماً للمقاومة وأن تحظيا بالرضى الأمريكي الإسرائيلي، إلا أنهما في نهاية المطاف وقعتنا ضحية حالة من الخداع السياسي الأمريكي والإسرائيلي الذي ينطلق من حماية المصالح الإسرائيلية وتحقيق رغبات المشروع الاستيطاني على الأرض الفلسطينية دون منح الفلسطينيين أي من الحقوق الوطنية، وهذا بالتالي يجعل من حركة فتح تخسر على المستوى الشعبي وال جماهيري لعدم قدرتها في تحقيق الأهداف السياسية والوطنية من جانب، ومن جانب آخر شعور المواطنين الفلسطينيين بأن هناك فجوة ما بين التمسك بالثوابت والمقاومة كخيار استراتيجي وبين الاستسلام للواقع الذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يعني أن الأفق الفلسطيني نحو مصالحة فلسطينية شاملة وتوحيد للمواقف الفلسطينية لن يكون قريباً باعتبار أن هناك تياران فلسطينيان يتعززا ويقوم كل منهما على منطلقات لا تتقاطع بشكل كبير مع الآخر.

ثانياً: التفاعلات والتداعيات الإسرائيلية

في مقابل تداعيات طوفان الأقصى على الحالة الفلسطينية، فإن الاحتلال الإسرائيلي بكل مكوناته ليس ببعيد عن هذه التداعيات والتفاعلات، فإرهاصات هذه المرحلة منذ صبيحة السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، ألفت بظلالها على التركيبة الإسرائيلية الداخلية، ابتداءً من قوة الردع المبنية على عقيدة الحسم المبكر لأي مواجهة، وتنفيذ الضربات الاستباقية من خلال التفوق في البعد الاستخباراتي والمعلوماتي، وصولاً إلى التفوق العسكري. فقراءة الحالة الإسرائيلية في ظل معركة طوفان الأقصى، يمكن أن تأخذ مجموعة من الأبعاد والمنطلقات باعتبارها محطة مفصلية أيضاً في مستقبل الاحتلال ككيان أقيم ضمن رؤية استعمارية استيطانية الهدف منها ليس فقط هدفاً مرتبطاً بالجغرافيا الفلسطينية، وإنما يتعداها لمنطقة الشرق الأوسط.

• قوة الردع الإسرائيلي وصورة الجيش :

سعت إسرائيل إلى بناء استراتيجية عسكرية أمنية للحفاظ على أمنها القومي ومنع أي تهديدات خارجية؛ فمنذ احتلالها للأراضي الفلسطينية عام 1948، تقوم بشكل أساس على ما يطلق عليه بـ"قوة الردع"، في محاولة لإحاطة نفسها بهالة من شأنها أن تقنع الأطراف المعادية بأن تكلفة الهجوم على إسرائيل ستكون عالية جداً، سواء من خلال الهجمات المضادة السريعة أو القوة العسكرية المدمرة التي قد تستخدمها.

تعتمد نظرية الردع الإسرائيلية على فرضية أن تحقيق نصر إسرائيلي واضح في كل مواجهة عسكرية مع العرب لا يؤدي فقط إلى إنهاء الحرب، بل يسهم أيضاً في إقناع الدول العربية بعدم جدوى

الخيار العسكري. لذا، فضّلت إسرائيل تبني سياسة الردع تجاه الدول العربية والفصائل الفلسطينية كبديل عن الحروب الشاملة. وقد طبقت نوعين من الردع: الردع العام والردع الخاص المحدود.

يركز الردع العام الإسرائيلي على إبراز امتلاك إسرائيل لقوة عسكرية فائقة، وكان الشعار المتداول: "العرب قد يختارون وقت الحرب، لكن نحن من يحدد نطاقها ومدى تأثيرها". هذه الرسالة كانت موجهة إلى الدول العربية لإثباتها عن المبادرة بالحرب، حيث أكدت إسرائيل أنها ستلحق بهم هزيمة تجعل تكلفة الحرب أعلى بكثير من أي مكاسب محتملة.

بناءً على ذلك، تم تحديد المهمة الرئيسية للجيش الإسرائيلي في ردع العرب عن الشروع في الحروب أو القيام بأعمال عدائية ضد إسرائيل. كما وضعت إسرائيل خطوطاً حمراء واضحة، وتجاوزت هذه الخطوط من قبل الدول العربية يؤدي إلى نشوب الحرب. من بين هذه الخطوط "إدخال جيش مصري كبير إلى سيناء بين عامي 1956 و1967، إغلاق مضائق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية، أو إجراء تغييرات جوهرية في الوضع في الأردن وإدخال جيوش عربية إليه".

وتقوم معادلة الردع الاستراتيجي الإسرائيلي على المرتكزات التالية:

- **القدرات النووية غير المعلنة** : حيث تمتلك إسرائيل أسلحة نووية غير معلنة رسمياً، هذه القدرة تمنحها رادعاً قوياً ضد أي تهديد وجودي.
- **الصناعات العسكرية المتقدمة تكنولوجياً** : حيث يعد الجيش الإسرائيلي من الجيوش العشر الأكثر تطوراً على مستوى العالم من خلال الطائرات الحربية المتطورة، والدفاعات الجوية مثل القبة الحديدية، والقدرات السيبرانية، واستطاعت أن توقع عشرات الصفقات لبيع الصناعات العسكرية بمليارات الدولارات.
- **الاستخبارات القوية** : جهاز المخابرات الإسرائيلي "الموساد" وأجهزة الاستخبارات الأخرى تلعب دوراً كبيراً في منع الهجمات الاستباقية وتحديد التهديدات المحتملة، وتنفيذ عمليات الاغتيال ضمن نطاقات جغرافية واسعة وفي عمق الكثير من الدول.
- **الدفاعات الجوية والصاروخية** : منظومة "القبة الحديدية" وغيرها من الأنظمة الدفاعية توفر حماية كبيرة من الهجمات الصاروخية، ما يضيف لعنصر الردع.
- **السياسة الخارجية والعلاقات مع الدول الكبرى** : تحالفات إسرائيل مع دول كبرى، خاصة الولايات المتحدة، تعزز من موقفها الردعي على الساحة الدولية.

هذه المرتكزات الردعية تعرضت لصدمة وهزة كبيرة في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، ليس لأنها فقط حدثت بخلاف جميع التوقعات الإسرائيلية، بل لأن قوى مقاومة فلسطينية هي من استطاعت أن تقلب هذه الموازين وتجعل من الحسابات الإسرائيلية تدخل بمرحلة إرباك مفاجيء بإمكانيات محدوده لهذه المقاومة وفي ظل توقعات إسرائيلية بأنها استطاعت أن تجعل من حماس والمقاومة الفلسطينية مردوعة، بل إن ما ذهب إليه الرئيس الأمريكي جو بايدن بالقول أن هجوم حماس أربك الكثير من الخطط الأمريكية التي كانت على الطاولة يظهر أن الأمر تعدى الحسابات الإسرائيلية إلى الحسابات الأمريكية⁹³، وهذا ما قد يفسر طبيعة الموقف الأمريكي الذي اتخذ منذ الدقائق الأولى في الحضور العسكري والسياسي واللوجستي والاستخباراتي لدعم الاحتلال في هذه الحرب ومشاركته، بل منحه كافة المقومات الأساسية.

⁹³ - الرسالة نت، طوفان الأقصى محطة مفصلية أحبطت مخطط تصفية القضية، 2024/9/22:

ومن هنا، فإن تداعيات طوفان الأقصى على معادلة الردع الإسرائيلي يمكن ملامسة ملامحها من خلال :

- **فقدان عنصر المفاجأة والضربة الأولى** : تركزت العقيدة العسكرية "الإسرائيلية"، منذ عهد "بن غوريون" على الدفاع وضرب العدو في قلب أرضه، كخطوة استباقية لتفادي هجومه أو رده من خلال المفاجأة والترويع⁹⁴؛ ففي مراجعة لأغلب الحروب التي خاضها الاحتلال كان يستخدم عنصر المفاجأة بهدف إرباك حسابات قوى المقاومة، إلا أن طوفان الأقصى جاء ليعكس الاستراتيجية وتحقق المقاومة الفلسطينية عنصر المفاجأة للاحتلال الذي جعل منه .
- **عدم القدرة على الحسم** : على الرغم من مرور عام على الحرب الإسرائيلية ضد المقاومة الفلسطينية بقطاع غزة، إلا أنها لم تستطع تحقيق ما تطلق عليه بالقدرة على الحسم، بل استطاعت فصائل المقاومة رغم حرب الإبادة الجماعية والتدمير الممنهج من سحب الاحتلال الإسرائيلي لحرب استنزاف طويلة ملحقة بالأضرار المتتالية في آلياته العسكرية وبين صفوف جنوده.
- **كسر النموذج الاستخباراتي وهيبة التكنولوجيا العسكرية** : فرضت الحرب اللامتناظرة على المقاومة تبني الهجوم كخيار تكتيكي، والدفاع كخيار استراتيجي. وخصوصاً في عملية طوفان الأقصى، اعتمدت "حماس" مزج الخداع الاستراتيجي بالمفاجآت على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي. وقد كشف هجوم 7 تشرين الأول/أكتوبر عن ضعف الاستراتيجية الإسرائيلية في مجال الردع التكنولوجي، حيث استطاع المهاجمون باستخدام تكتيكات بسيطة نسبياً اختراق السياج الإلكتروني وتعطيل بنيته التحتية⁹⁵. هذا الاختراق ضرب بشكل كبير الصورة التي حرصت إسرائيل على ترسيخها لسنوات، والتي تصوّر لها كدولة منيعة ومتفوقة تكنولوجياً وغير قابلة للاختراق.
- وكنيجة لهذا الفشل في استراتيجية الجيش الإسرائيلي، فقد طور من عقيدته وأضاف إليها ما يمكن أن يطلق عليه بـ"مبدأ الحرب بالوكالة"، حيث اثبتت الوقائع في الحرب التي ينفذها الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة منذ السابع من أكتوبر قام باستئجار واستجلاب مرتزقة من الموالين للاحتلال أو الشركات الأمنية الخاصة⁹⁶، وزجهم نحو الخطوط الأولى في وهو ما كشفت عنه كتائب القسام بالحرب، إضافة لما نشرته العديد من وسائل الإعلام في ظل عدم اعتراف إسرائيلي واضح بذلك.

• التركيبة الإسرائيلية الداخلية والعلاقة الناظمة :

منذ قيام الاحتلال الإسرائيلي عام 1948، برزت ملامح الصراع بين العلمانيين والمتدينين داخل الكيان، لكنه تصاعد بشكل ملحوظ بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين عام 1995 يد أحد المتدينين بسبب ما اعتبره "تنازلاً عن أرض يهودية" بعد توقيع اتفاقيات السلام مع الأردن والفلسطينيين ما أدى إلى تفاقم هذا الصراع واتساع الهوية المجتمعية، التي أصبحت تشكل تهديداً استراتيجياً خطيراً على استقرار إسرائيل⁹⁷.

ومنذ ذلك الحين، شهد المجتمع الإسرائيلي تحولات سياسية ومجتمعية، مع تصاعد الصراع بين التيارات اليمينية والدينية من جهة، ومؤسسات الدولة العميقة التي أنشأها حزب العمل وسيطر عليها اليهود

94 - نائل عبد الهادي، تأملات في العقيدة القتالية للجيش "الإسرائيلي"، وكالة قدس للأنباء، 2020/8/4:

<https://alqudsnews.net/p/156731>

95 - فادي نحاس، "طوفان الأقصى" والعقيدة الأمنية الإسرائيلية: مؤشرات الإخفاق والتحديات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية:

<https://www.palestine-studies.org/ar/node/165547>

96 - محمد وتد، كيف يستقطب الجيش الإسرائيلي المرتزقة ومزدوجي الجنسية؟، الجزيرة نت، 2023/12/24: <https://2u.pw/aP3Aijf>

97 - داوود سليمان، هل وضع طوفان الأقصى إسرائيل على حافة الهاوية؟، الجزيرة نت، 2024-9-13: <https://2u.pw/ZV7E561V>

العلمانيون الغربيون من جهة أخرى. تجلى هذا الصراع في محاولات إخضاع الجيش والأجهزة الأمنية للنفوذ الديني، والذي برزت ملامحه بشكل كبير في أعقاب تشكيل الحكومة الائتلافية اليهودية الحالية والإعلان عن بداية مشروع "الإصلاحات القضائية" التي أطلق عليها في إسرائيل الانقلاب القضائي⁹⁸، والتي على إثرها أقال رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو وزير الجيش يوآف غالنت في مارس 2023، لكن سرعان ما تراجع عن الإقالة تحت ضغط الشارع الإسرائيلي.

الصراع حول التعديلات القضائية التي سبقت طوفان الأقصى كانت جزءاً من هذا الانقسام والتحشيد الداخلي. وبعد الهجوم، زاد الاستقطاب بين القوى العلمانية والدينية، مما كشف عمق الصراع الداخلي في إسرائيل وما أطلق عليه صراع (إسرائيل الأولى متمثلة بالمؤسسة العسكرية والجنراليات) و(إسرائيل الثانية متمثلة بالتيارات والأحزاب اليمينية المتطرفة)، والذي أخذ أشكالاً متعددة، وأولها العلاقة ما بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الأمنية والعسكرية وفي مقدمتها الجيش الإسرائيلي الذي بات يتعرض لحملة تشويه داخل الأحزاب اليمينية المتطرفة وتحميله مسؤولية الفشل في السابع من أكتوبر/تشرين الأول، بينما كان يحاول الجيش الدفع باتجاه تحميل المستوى السياسي مسؤولية الفشل وعلى إثرها دارت الكثير من المناوشات ومحاولات الشيطنة والقطيعة في بعض الأحيان، والدعوة لإقالة وزير الجيش ورئيس هيئة الأركان، مهدت هذه الخلاقات لسلسلة من الاستقالات في صفوف قوات الجيش والضباط من بينهم رئيس وحدة الاستخبارات العسكرية، لتصبح هذه الاستقالات فرصة للأحزاب اليمينية بتعيين شخصيات محسوبة على اليمين وتجد فرصتها في إعادة هيكلة مؤسسات الجيش وفقاً لمنظور هذه الأحزاب⁹⁹.

أما على المستوى السياسي؛ فقد استطاع نتنياهو أن يعمل على إضعاف بل تحييد المنافسين السياسيين سواء من المعارضة التقليدية أو الشركاء في مجلس الحرب الذي تشكل في أعقاب الحرب على غزة، والذي لم يصمد بعد انسحاب غانتس وازكينوت من المجلس ما اضطر نتنياهو لإعلان حله.

• زعزعة المكانة الدبلوماسية والسرديّة الإسرائيلية :

في خضم حرب الإبادة الدائرة على غزة، انشغلت مراكز الأبحاث الإسرائيلية والكتاب والمفكرين بالبحث حول طبيعة التأثير العميقة التي يمكن أن تتركها معركة طوفان الأقصى المكانة الدبلوماسية الإسرائيلية أو الصورة الإسرائيلية وسرديتها أمام العالم انطلاقاً من حجم التدمير والقتل الممنهج وارتفاع أعداد الضحايا من الفلسطينيين لأرقام غير مسبوقة، إذ أنه وفقاً للنماذج الأكاديمية المستخدمة لقياس مؤشرات الصراعات الدولية، مثل مؤشر الصراعات "مشروع بيانات مواقع وأحداث النزاع المسلح (ACLED)"، تقيّم الصراعات بناءً على أربعة مؤشرات: مستوى الدمار، الخطر على المدنيين، الانتشار الجغرافي للصراع، وتعدد الجماعات المسلحة في النزاع الواحد. وقد أظهر هذا التصنيف أن قطاع غزة والضفة الغربية يصنفان ضمن أعلى أربع مناطق صراع في العالم بناءً على هذه المؤشرات، خاصة فيما يتعلق بانتشار الصراع جغرافياً وزيادة الخطر على المدنيين. هذا ما جعل معدل الضحايا في الحرب الإسرائيلية على غزة هو الأعلى عالمياً خلال القرن الحالي، وفقاً لإحصاءات منظمة أوكسفام، حيث بلغ المعدل اليومي حوالي 250 قتيلًا، وهو ما يعادل 5.7 أضعاف المعدل في الحرب الروسية الأوكرانية¹⁰⁰. إضافة

⁹⁸ - وكالة الأناضول التركية، تعديلات قانون القضاء في إسرائيل... إصلاح أم انقلاب؟، 2023/2/22: <https://2u.pw/VVCmkY>

⁹⁹ - تي آر تي التركية، ماذا يجري في جيش الاحتلال الإسرائيلي؟.. استقالات وخلافات على ملء الفراغ، 2024/4/29: <https://2u.pw/EqLR6atk>

¹⁰⁰ وليد عبد الحي، رؤية مراكز الدراسات الإسرائيلية لمرحلة ما بعد طوفان الأقصى، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت،

2024/3/4: <https://2u.pw/qowNmPi0>

إلى ذلك، بدأت صورة إسرائيل تظهر في تجاهلها لقرارات محكمة العدل الدولية التي تُدينها بانتهاكات حقوق الإنسان، ومحكمة الجنايات الدولية التي أوصى المدعى العام لها بإصدار مذكرات اعتقال بحق رئيس حكومة الاحتلال وزير جيشه لتورطهم في جرائم إنسانية، وهو ما جعل إسرائيل لأول مرة تكون في قفص المحاكمة أمام أعلى هيئة قضائية دولية. هذا انعكس بشكل مباشر على قدرة إسرائيل على تمرير سرديتها فيما يتعلق بالدفاع عن النفس، أو مواجهة "الاعداء" كما تسميهم، فيما بات الشارع الغربي وطلبة الجامعات ينخرطون في الفعاليات الاحتجاجية والضغط لسحب الاستثمارات الاقتصادية للجامعة العالمية من الجامعات الإسرائيلية، والمطالبة بتعزيز حملات المقاطعة على مستويات متعددة.

• الهجرة العكسية وفقدان الشعور بالأمان الفردي :

جاءت فكرة إقامة كيان للاحتلال الإسرائيلي على الأرض الفلسطينية من مبدأ إيجاد حيزا جغرافيا يمكن من خلالها تجميع يهود العالم، ولكسر هذه المبدأ اعتمدت حركة النضال والتحرر الفلسطيني على تحويل حالة الشعور بالأمان إلى حالة نقيضه، فالمقاومة لا تسعى إلى تحقيق نصر سريع وحاسم، نتيجة فارق القدرات والإمكانيات العسكرية أمام جيش الاحتلال، لكنها سعت إلى إيصال رسالة للاحتلال بأن وجوده مهدد دائماً، وأن تكلفة استمراره على الأرض تزداد بشكل مستمر، بما يعني أن حجم تكلفة البقاء أعلى بكثير. وهذا ما حاولت الثورة الفلسطينية أن تعززه عبر محطاتها المختلفة وصولاً إلى عملية طوفان الأقصى؛ فإلى جانب الخسارة الاستخباراتية والردعية، اهتزت المعادلة الاقتصادية والسياسية والهوية والعقائدية لدى مكونات الاحتلال مهدت لخلق موجة من عدم الشعور بالاستقرار داخل المجتمع الإسرائيلي. وحولت الشعور بالاستقرار لدى آلاف الإسرائيليين إلى شعور معاكس بأن إسرائيل لم تعد تمثل ذلك "الوطن الآمن" الذي وعدهم به مؤسسو دولة الاحتلال، وبدأ البعض يرون أن الخيار الأفضل لهم هو مغادرة هذه الأرض والعودة إلى الأماكن التي جاءوا منها. فقد كتب "خوان كول"، أستاذ التاريخ الأمريكي المتخصص في شؤون الشرق الأوسط ورئيس تحرير موقع "إنفورميد كومنت" المعني بالشؤون الخارجية مقالاً يقول فيه إلى أن عملية طوفان الأقصى جعلت ثلث الإسرائيليين يرغبون بالفعل في الهجرة، وأن نصف الجيل الحالي من أصحاب الجنسية الإسرائيلية الذين يعيشون في الخارج ليست لديهم خطط للعودة إلى دولة الاحتلال مرة أخرى¹⁰¹. هذا ما تؤكد الإحصائيات الصادرة عن المكتب المركزي للإحصاء الإسرائيلي، فبحسب المعطيات، فإن الـ 42185 إسرائيلياً غادروا بين أكتوبر/تشرين الأول 2023 ومارس/أذار 2024 ولم يعودوا، هذه زيادة تقدر بـ 12% مقارنة مع السنة الماضية. وفي مقارنة بين من غادروا في أكتوبر/تشرين الأول 2023، الشهر الذي حدثت به طوفان الأقصى، فقد غادر 12300 شخص أي بارتفاع 400% مقارنة أكتوبر/تشرين الأول 2022¹⁰².

• التحول في منظومة العلاقات الدولية :

خريطة العلاقات الإسرائيلية الدولية يمكن بناء ملامحها من خلال ثلاثة معايير رئيسية:

- العلاقة الإسرائيلية الأمريكية
- العلاقة الإسرائيلية الأوروبية
- المكانة الإسرائيلية في المجتمعات الغربية وثورة الوعي

101 - المرجع السابق.

102 - القدس العربي، تضاعف عددهم 400%... شهود وإحصاءات: يهود يهربون من إسرائيل بحثاً عن الأمن، 2024/9/11:

<https://2u.pw/EW21tB5N>

أولاً: العلاقة الإسرائيلية الأمريكية

أظهرت الولايات المتحدة الأمريكية دعماً غير مسبوق لإسرائيل منذ اليوم الأول لمعركة طوفان الأقصى، لم يُر مثله منذ حرب 1973. تجلّى هذا الدعم على المستويات العسكرية، الاستراتيجية، والدبلوماسية، مما عبّر عن التزام أمريكي بأمن ووجود إسرائيل. عملياً، تصرفت الولايات المتحدة كحليف متعاقد؛ هذا الدعم الاستثنائي يُعزى إلى الالتزام الشخصي العميق للرئيس بايدن تجاه إسرائيل، وإلى الطابع المؤسسي للعلاقات الاستراتيجية بين البلدين في العقود الأخيرة، بما في ذلك التخطيط المشترك بين المؤسسات الأمنية. وما يمكن أن يميز السلوك الأمريكي في هذه الحرب¹⁰³:

- **اتفاق استثنائي حول أهداف الحرب:** ظهر هناك اتفاق بين الطرفين على تدمير حركة حماس وخلق وضع أمني جديد في قطاع غزة والمناطق الحدودية. كما سعت الإدارة الأمريكية إلى تشكيل نظام إقليمي جديد يتضمن إقامة دولة فلسطينية، تطبيع العلاقات مع السعودية، وتوحيد الجهود ضد إيران.
- **غياب القيود الزمنية:** بخلاف التصريحات المتناقضة بين أركان الإدارة الأمريكية، إلا أنها لم تفرض حدوداً زمنية على إسرائيل لإنهاء الحرب، رغم الضغوط الدولية والمحلية المتزايدة، ولم تدع إلى وقف إطلاق النار، بل أبقت الحدود الزمنية فضفاضة آخذة بالاعتبار الاحتياجات الإسرائيلية لذلك، وهو ما ترك شكوكاً عميقة في كل الجهود الدبلوماسية التي ادعت إدارة بايدن أنها تقوم بها لوقف الحرب.
- **مشاركة أمريكية مباشرة:** منذ بداية الحرب، شارك كبار المسؤولين الأمريكيين، بما فيهم بايدن ووزيرا الخارجية والدفاع الأمريكي ومستشاري بايدن، في صنع القرار الإسرائيلي وتوجيه الحملة العسكرية على غزة، إلى جانب التنسيق المستمر بين المسؤولين العسكريين الأمريكيين ونظرائهم الإسرائيليين، حتى وصل الأمر لحضور ومشاركة العديد من جلسات مجلس الحرب في إسرائيل، فيما لم تفصح الولايات المتحدة عن كثير من المعطيات حول الأهداف الحقيقية التي قامت من خلالها بإقامة الميناء العسكري العائم على شاطئ غزة لشهور عدة قبل أن تقوم بتفكيكه، وكذلك الأمر الجهود الاستخباراتية التي تشارك بها عبر الطائرات المسيرة التي شكلت مع الطائرات الإسرائيلية بنكا للمعلومات حول كل ما يجري في القطاع.
- **مساعدة عسكرية مستمرة:** في 8 أكتوبر/تشرين الأول، أعلن بايدن ووزير الدفاع الأمريكي إرسال مساعدات عسكرية فورية لإسرائيل بقيمة مبدئية بلغت 2 مليار دولار وارتفعت لاحقاً إلى 14.3 مليار دولار. كما تم إنشاء جسرين جوي وبحري لإيصال المساعدات العسكرية، وتم تسليم عشرات آلاف الأطنان من الأسلحة والمعدات.
- **تعزيز الردع الإقليمي:** نشرت الولايات المتحدة مجموعتين من حاملات الطائرات وعدة أسراب مقاتلة، إلى جانب بطاريات باتريوت لاعتراض الصواريخ، وتم نشر قوات في الأردن والعراق وقطر، إضافة إلى إقامة التحالف الدولي أو ما أطلق عليه بـ"حارس الازدهار" لتنفيذ ضربات عسكرية مباشرة لأنصار الله الحوثي ولتأمين مرور السفن التجارية من خلال البحر الأحمر للموانئ الإسرائيلية والذي لم تستطع واشنطن تحقيق الهدف منه واستطاع أنصار الله الحوثي من فرض حصار تجاري عبر البحر الأحمر على إسرائيل.

¹⁰³ - محمد سالم، أمريكا بين قوس العهد وطوفان الأقصى.. لماذا تدعم واشنطن إسرائيل؟، عربي21، 2024/3/15:

- **الدفاع النشط** : تصدت السفن الأمريكية لصواريخ الحوثيين الموجهة ضد أهداف إسرائيلية. كما قادت الولايات المتحدة تحالفاً دولياً لحماية السفن المتجهة إلى إسرائيل تحت مسمى "حارس الازدهار"، ونفذت غارات جوية ضد الحوثيين والميليشيات الموالية لإيران في العراق وسوريا.
- **منع التصعيد الإقليمي وسياسة الاحتواء** : بذلت الولايات المتحدة جهوداً لمنع توسع الحرب في مسارح أخرى، من خلال الردع العسكري ضد إيران ووكلائها، والعمل دبلوماسياً في لبنان والبحر الأحمر للحيلولة دون انخراط حزب الله في النزاع.
- **تقسيم غير رسمي للعمل** : ركزت إسرائيل على حماس في غزة، بينما تعاملت الولايات المتحدة مع التهديدات الإقليمية مثل إيران وحزب الله والحوثيين.
- **دعم دبلوماسي قوي لإسرائيل** : قدمت الولايات المتحدة غطاءً دبلوماسياً كاملاً لإسرائيل، بما في ذلك في مجلس الأمن الدولي، حيث استخدمت حق النقض (الفيتو) ضد ثلاثة قرارات معادية لإسرائيل، وامتنعت عن دعم قرار يدعو لزيادة المساعدات الإنسانية لغزة. إضافة لعرقلة استصدار قرارات ملاحقة واعتقال من قبل محكمة الجنايات الدولية، ومحاولة الضغط على محكمة العدل الدولية للتخفيف من قراراتها والضغط على جنوب إفريقيا للعدول عن القضية التي رفعتها لمحكمة إسرائيل.

ثانياً: العلاقة الإسرائيلية الأوروبية

في الأسابيع الأولى من الحرب، اتجهت الخطابات السياسية والإعلامية في معظم الدول الأوروبية نحو تقديم الاحتلال الإسرائيلي كضحية، وتصوير هجوم المقاومة على أنه هجوم "إرهابي" تقليدي مشابه لأحداث صادمة شهدتها دول غربية. هذا الموقف الدعائي برر الهجوم الوحشي على قطاع غزة، حيث تم التركيز على استخدام مقولة "حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها" وتبني ادعاءات الاحتلال بأن المقاومة "تستخدم المدنيين كدروع بشرية"، مع إغفال التنكير بالقانون الدولي أو حقوق المدنيين الفلسطينيين¹⁰⁴.

اتخذت بعض الدول الأوروبية خطوات متهورة خلال هذه الحرب، مثل تعليق المساعدات المقدمة للسلطة الفلسطينية لبعض الوقت، ثم معاقبة وكالة أونورا بحجب التمويل عنها بعد مزاعم التحريض التي قدمتها قيادة الاحتلال ضد الوكالة، لتتراجع لاحقاً عن هذا القرار. ويمكن تقديم الاتجاهات الأوروبية وفق ثلاثة محاور:

- **الانحياز التام لإسرائيل** : أظهرت بعضا من الدول الأوروبية انحيازها التام وتبنيها للرواية والموقف الإسرائيلي وعبرت عن تمسكها المطلق بدعم الاحتلال وتصدرت هذا الموقف عدد من الدول الأوروبية في مقدمتها ألمانيا، والنمسا، والمجر، وتشيكيا.
- **انتقاد الحرب والدعوة لمنح الفلسطينيين حقهم بإقامة الدولة** : فعلى الرغم من محاولة الاحتلال تصدير مشهد الضحية، إلا أن عدد من الدول الأوروبية لم تتعامل مع طوفان الأقصى كسبب، بل كنتيجة لواقع الاحتلال وممارساته الممتدة لأعوام طويلة، وهذا دفع باتجاه المطالبة بضرورة الاعتراف بالحقوق الفلسطينية وإقامة الدولة الفلسطينية كمنطلق لإنهاء الصراع، وشكلت هذه المواقف إزاجاً للاحتلال الإسرائيلي الذي بات يضيق على بعثاتها الدبلوماسية لدى السلطة

¹⁰⁴ - حسام شاكر، المواقف الأوروبية تجاه معركة "طوفان الأقصى" والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، 2024/6/13:

<https://2u.pw/q9qwhoAq>

السلطة الفلسطينية وسحب الإقامات منهم، ومن أبرز الدول التي عبرت عن هذا الموقف إيرلندا، وإسبانيا، وبلجيكا، ومالطا، والنرويج، وسلوفينيا.

- **الموقف المتأرجح** : وتمثل في مواقف بعض الدول الأوروبية التي لم تستطع أن تخرج عن السقف الأمريكي في سياساتها تجاه القضية الفلسطينية، وبنفس الوقت كانت تعلم مدى خطورة تدهور الأوضاع في الشرق الأوسط وتبعات ذلك، فحاولت هذه الدول أن تقدم موقفا ليس داعما بشكل كامل، وليس رافضا بشكل كامل، بل حاولت أن تدعم اتجاه البحث عن مخارج للأزمة حيث برزت فرنسا في مقدمة هذه الدول التي استضافت لقاءات لبحث اطروحات لوقف الحرب أو التصويت على وقف إطلاق النار، وفرض عقوبات على المستوطنين، إضافة إلى إجراءات ضد السلطة الفلسطينية ووكالة الأونروا.

تباين المواقف بين الدول الأوروبية شكلاً تحدياً كبيراً أمام جوزيب بوريل، مفوض السياسة الخارجية للاتحاد الأوروبي، في صياغة موقف موحد يمثل الاتحاد. وعلى الرغم من الجهود الأوروبية، لم يتمكن الاتحاد الأوروبي من التوصل إلى قرار مشترك يدعم وقف إطلاق النار حتى مارس 2024، بسبب التعنت الذي أبدته العواصم المنحازة للاحتلال، مما عرقل هذه الخطوة لمدة نصف عام تقريباً¹⁰⁵.

كما أضعفت هذه المواقف الأوروبية مصداقيتها بسبب التناقض مع مواقفها في حرب أوكرانيا، حيث أثارت المواقف المنحازة لإسرائيل حرجاً كبيراً. وأبرز مثال على ذلك هو مثل ألمانيا أمام محكمة العدل الدولية بعد دعوى نيكاراجوا بتهمة "تسهيل الإبادة الجماعية" عبر إمدادات السلاح لإسرائيل. هذه المواقف كبدت الدول الأوروبية خسائر كبيرة على مستوى سمعتها الدولية وقوتها الناعمة.

وغابت خلال هذه المرحلة الجهود الدبلوماسية للاتحاد الأوروبي أو بعض دوله، كما اختفت دعوات الحل السلمي أو المطالبة بإنهاء الحرب. هذا الغياب يعود إلى التبعية الواضحة للإدارة الأمريكية في هذه المرحلة، بالإضافة إلى الاصطفاف وراء السردية الإسرائيلية.

ثالثاً: المكانة الإسرائيلية في المجتمعات الغربية وثورة الوعي

أحدثت معركة طوفان الأقصى ما يمكن أن يسمى بـ"ثورة الوعي" لدى المجتمعات الغربية والتي تمثلت في ثلاثة مسارات¹⁰⁶:

- **المسار الاستراتيجي** : تمثل في تسليط الضوء على فشل الحرب الإسرائيلية، عبثية محاولات الإبادة، واتجاه الكيان الصهيوني نحو التفكك والانهيار. كما أقرّ بشرعية المقاومة، وهو ما عبّر عنه العديد من المؤرخين والأكاديميين والمحليلين العسكريين الغربيين.

- **المسار الإنساني** : عبّر عنه سياسيون منتخبون ومنظمات حقوقية دولية وأممية، إضافة إلى الرأي العام العالمي. حيث شجب هؤلاء الإبادة الصهيونية في غزة، وقارنوها مباشرة بالمرحلة النازية والممارسات الفاشية. هذه الإدانات لاقت دعماً قضائياً بصدور قرارات من محكمة العدل الدولية، التي سلطت الضوء على مظاهر الإبادة الجماعية والتحريض عليها من أعلى مستويات السلطة في الكيان الصهيوني.

105 - المرجع السابق.

106 - مازن النجار، صحوة أم صدمة ثقافية؟.. "طوفان الأقصى" وتحولات الفكر الغربي، الجزيرة نت، 2024-4-28:

<https://2u.pw/MdTagb3W>

- **المسار الثقافي** : يُعد الأهم، حيث أحدثت هذه الحرب صدمة ثقافية واسعة النطاق، أدت إلى ثورة في الوعي شملت كل شيء. هذا الوعي الجديد شجعت المجتمعات الغربية للخروج إلى الشوارع للمطالبة بنشر وتطبيق قيم الحق والعدالة، وتعزيز التعاطف مع القضية الفلسطينية. هذه التحولات أسهمت في تراجع الإسلاموفوبيا ورفض العنصرية والثقافة الإمبريالية الاستيطانية الموجهة ضد العرب والمسلمين والجنوب العالمي. ويتضح هذا من آلاف مقاطع الفيديو والمنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي التي تعبر عن هذا الوعي الجديد.

هذه الحركات الشعبية يمكن القول أنه قد تشكل نواة لموجة جديدة من التحرر السياسي والتغيير الاجتماعي والاقتصادي، موجهة ضد الرجعية الغربية، واحتكار الثروة، والفساد السياسي، والظلم الاجتماعي. وقد تمهد لتحول في وجه الغرب الاستعماري الذي يسيطر على العالم منذ قرون. لأنها لم تكتفِ باستتار الإبادة والمطالبة بوقف إطلاق النار فقط، بل تجاوزت أكذوبة "حل الدولتين" وطالبت صراحة بتحرير فلسطين من النهر إلى البحر، ومراجعة في العلاقة مع إسرائيل، والدعوة إلى سحب الاستثمارات وتعزيز المقاطعة ضمن إطارات واسعة شملت الجامعات والشبكات التجارية الكبرى.

• **التفاعلات والتداعيات الإقليمية في بيئة مضطربة :**

يمكن القول أن السابع من أكتوبر/تشرين الأول، أظهر حالة مضطربة في البيئة الإقليمية سواء فيما يتعلق بالمواقف تجاه مجريات الأحداث في غزة، أو القدرة على تبني رؤية لمستقبل التعامل معها، إضافة لظهور حالة الضعف في التأثير في مجريات الأحداث، فالحرب الأكثر تدميراً وإبادة بحق الإنسانية لم تستطع الدبلوماسية الإقليمية أو ما تمتلك من أوراق قوة في الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية لوقف حالة الدعم المستمرة لإسرائيل للاستمرارية بها، كما أن الإقليم لم يستطع أن يوحد من موقفه تجاه الحرب فكل دولة عربية مجموعة فريدة من الفرص والتحديات المرتبطة بالحرب على غزة. بالنسبة للمملكة العربية السعودية، شكلت الحرب فرصة استراتيجية لإعادة تموضعها على الساحة الإقليمية، حيث حاولت الموازنة بين أولوياتها المختلفة. من جهة، قامت بتقريب العلاقات مع إيران بهدف تعزيز أمنها الداخلي، ومن جهة أخرى، لم تستبعد إمكانية التطبيع مع إسرائيل، شرط أن يتضمن هذا التقارب الثلاثي مع الولايات المتحدة التزاماً بإقامة دولة فلسطينية¹⁰⁷.

أما الدولتان العربيتان الواقعتان على خط المواجهة مع إسرائيل، وهما مصر والأردن، فقد اتخذتا مسارات مختلفة. فمصر استثمرت الصراع لتعزيز دورها الإقليمي واستعادة دورها السياسي في المنطقة من خلال محاولة التنسيق لإدخال المساعدات الإنسانية للقطاع ووساطتها في مسار المفاوضات إلى جانب الدوحة¹⁰⁸، فيما ركزت الأردن على الحد من المخاطر والمخاوف الكبيرة من تداعيات الحرب خصوصاً ارتداداتها على الضفة الغربية والخطر المتمثل في الدعوات الصهيونية المتطرفة لجعل الأردن وطناً بديلاً للفلسطينيين¹⁰⁹.

أما طهران، فقد حرصت منذ البداية على نفي أي تورط مباشر لها بطوفان الأقصى، وأكدت أنه كان قراراً فلسطينياً مستقلاً، حيث جاء النفي على لسان المرشد الأعلى علي خامنئي، وبشكل مواز لهذا الموقف، عبرت عن دعمها السياسي للمقاومة الفلسطينية، من خلال استقبال الوفود القيادية من حماس وفصائل

¹⁰⁷ - هشام العلوي، تداعيات الحرب على غزة. اتساع نطاق عدم الاستقرار، مجلة أوريان، 21، 2024/9/10:

<https://orientxxi.info/magazine/article7593>

¹⁰⁸ - عاطف الجولاني، ما هي محددات الموقف المصري تجاه "طوفان الأقصى" والعدوان على غزة؟، مركز الزيتونة للاستشارات والدراسات،

<https://2u.pw/974Onq0r> :2024/3/28

¹⁰⁹ - محمد غالي الجمل، الأردن وطوفان الأقصى.. أبعاد التأثير والتأثير، الجزيرة نت، 2024/1/17: <https://2u.pw/OoYUkSjO>

أخرى، ومواصلتها الدعم العسكري والمالي للمقاومة، رغم عدم وجود معطيات واضحة حول حجم أو كيفية وصول هذا الدعم.

وإلى جانب ذلك، حرصت على محاولة تعزيز المسار الدبلوماسي بهدف التوصل إلى وقف إطلاق النار بأسرع وقت ممكن. ورغبتها في تجنب الانخراط المباشر في المواجهة، وعندما تعرضت قنصليتها في دمشق لهجوم إسرائيلي في 1 أبريل/نيسان 2024، ردت بحذر وانضباط عبر هجوم عسكري محدود في 13 أبريل/نيسان، على إسرائيل دون تصعيد واسع. هذا الرد كان بمثابة استعراض للقوة بهدف تثبيت معادلة الردع، دون الانجرار إلى مواجهة مفتوحة.

أما على صعيد تداعيات هذا الموقف، فقد عادت التوترات بين إيران والغرب، حيث صوت مجلس النواب الأمريكي في 30 نوفمبر/تشرين الثاني 2023 لإعادة تجميد 6 مليارات دولار كانت قد أفرجت عنها سابقاً. كما فرضت الولايات المتحدة ودول أوروبية عقوبات جديدة على إيران بعد ضربها لإسرائيل. في حيث باتت تتعرض إيران لانتقادات شعبية عربية وإسلامية لتحفظها على الانخراط المباشر في المعركة، حيث اعتبرت بعض الأوساط الشعبية العربية والإسلامية أن موقفها أقل من المتوقع¹¹⁰، وهذا ربما ما تعزز ما بعد سلسلة الاستهداف الإسرائيلية في لبنان واغتيالها قيادات حزب الله بما فيهم الأمين العام للحزب حسن نصر الله.

• التفاعلات والتداعيات القيمية والثقافية والحضارية :

ينخرط الجهد العسكري الإسرائيلي لمحاولة تغيير البعدين الجغرافي والديموغرافي فيما يرتبط بالحالة الفلسطينية، وبموازاة ذلك يحاول أن يكرس جهده السياسي والدبلوماسي لتوفير ما يمكن أن يسمى بـ"شرعية الإبادة والحرب" مقابل "لا إنسانية فلسطيني" أو تحويل "المقاومة كمرتكز يقوم على القانون الدولي إلى حالة "إرهاب" مستفيداً بذلك من عملية إسقاط يمارسها لتغييب الوعي الجمعي لشعوب العالم، لكن ما بعد عام من حرب الإبادة، ورغم كل عمليات التبنّي الأمريكي للرواية الإسرائيلية، بدأت ملامح أخرى تبرز وتشكل تحدياً كبيراً أمام الاحتلال متمثلة في الضرر الذي يلحق بالإنجازات الثقافية التي حققها حلفاؤه الغربيين عبر قرون، مما يجعل التعافي منها أمراً صعباً على الأقل في المستقبل القريب. فقد أحدثت هذه الحرب ما يمكن أن يطلق عليه بـ"زلزال" السرديات الثقافية والقيمية طويلة الأمد، وأثارت موجة من التشكيك، ليس فقط بين مستوى النخب والمتقنين الغربيين فقط بل امتد الأمر إلى روح الشعوب والمجتمعات الغربية، إضافة إلى المتقنين والمنظرين الشرقيين من العرب الذين كانوا يعيشوا حالة من الانبهار بفلسفة القيم الحقوقية الأوروبية والغربية، وتحول الأمر إلى طرح تساؤلات جوهرية حول "القيم الغربية" ودورها الحضاري في ظل تواطؤ النظم السياسية الغربية ودعمها لاضطهاد الشعوب تحت مفاهيم ومسميات "الدفاع عن النفس" وحق الاحتلال الإسرائيلي بذلك، بينما تغييب ذات المنهجيات والمترادفات في جغرافيا وشعوب وصراعات لا تقل فتناً مما يقوم به الاحتلال الإسرائيلي ويتم المطالبة بملاحقتها أمام المحاكم الدولية، وأصبح النموذج الأوكراني الروسي نموذجاً لقياس الاختلال في ميزان القيم الغربية الذي يقوم عليه الغرب في توفير الحماية والدعم للشعب الأوكراني مقابل الصمت عما يتعرض له الشعب الفلسطيني¹¹¹.

¹¹⁰ - عاطف الجولاني، محددات السياسة الإيرانية تجاه معركة طوفان الأقصى والحرب على قطاع غزة، مركز الزيتونة للاستشارات والدراسات، 2024/5/9: <https://2u.pw/BTS817Vl>

¹¹¹ - أمل بوشارب، كيف هزت الحرب على غزة سرديات ثقافية وأخلاقية راسخة بالغرب؟، الجزيرة نت، 2024/12/23:

<https://2u.pw/c5tqKQCt>

• الموقف الأوروبي ومحاولة الانفكاك عن الموقف الأمريكي :

أحدث الموقف الأوروبي تجاه غزة والقضية الفلسطينية شرخاً كبيراً في جسور العلاقات الإنسانية مع الشعوب العربية، الأمر الذي بدأ يظهر على تحركات اوروبية لمحاولة الفصل ما بين الموقف الأوروبي والموقف الأمريكي، إما من خلال التصريحات أو الذهاب إلى خطوات عملية، فقد أدرك الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون من خلال تصريحاته الداعية إلى وقف الحرب وتقديم المساعدات الإنسانية للشعب الفلسطيني، محاولاً لإحداث بعض التوازن في صورة أوروبا أمام الشعوب الأوروبية ودول العالم الثالث¹¹².

في أوروبا، تصاعدت النقاشات حول ضرورة تقليل الاعتماد على واشنطن والتحرر تدريجياً من التبعية الأمريكية، بما في ذلك السعي نحو تأسيس نظام دفاع عسكري مستقل، لأنها الآن في مأزق حقيقي واختبار لمصداقيتها. الفشل السياسي والسقوط الأخلاقي باتا واضحين، كما عبّر عن ذلك مسؤول السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي جوزيف بوريل، الذي صرح أمام مؤتمر السفراء الأوروبيين في بروكسل بأن "الاتحاد الأوروبي ملزم أخلاقياً وسياسياً بالمساهمة في إيجاد حل سياسي للنزاع في المنطقة. وإذا لم ننجح، سنظل في دوامة من العنف والكراهية المتبادلة لأجيال"¹¹³.

هذا النقاش يجعل من أوروبا تواجه تحديات جوهرية مع جيرانها الحضاريين والتاريخيين في منطقة البحر المتوسط. إما أن تعيد تكريس نموذجها الأخلاقي والسياسي في التعامل مع قضايا المنطقة، أو أن تكون حرب الإبادة على غزة دليلاً واضحاً على الفشل السياسي لأوروبا وسقوطها الأخلاقي.

في خضم هذا النقاش الأوروبي الداخلي، ذهبت بعض الدول لاتخاذ خطوات أحادية بالاعتراف بدولة فلسطين، وهذا ما حدث بإعلان كل من أيرلندا وإسبانيا والنرويج وسلوفينيا ومالطا اعترافهما رسمياً بدولة فلسطين، وهو ما اعتبر ثغرة في جدار الصد الأوروبي للحقوق الفلسطينية ولو بعدها الأدنى، وتجاوزاً لاستخدام الولايات المتحدة الفيتو في مجلس الأمن الدولي في 18 أبريل/نيسان 2024 لمنع صدور قرار يفتح الباب أمام منح دولة فلسطين العضوية الكاملة في الأمم المتحدة¹¹⁴.

يشكل هذا الاعتراف بداية تفكك الموقف الأوروبي الداعم لإسرائيل، وهو الذي تمثل أيضاً بمطالبة عدد من هذه الدول بوقف الحرب على غزة، على عكس الموقف الذي تشكل إثر 7 أكتوبر/تشرين الأول، وأن عدد الدول التي ستعترف بفلسطين مرشح للارتفاع. وهذا يعني أن علاقات إسرائيل مع الجانب الأوروبي ستذهب إلى أزمات متتالية، خصوصاً مع استعداد حكومة الاحتلال لاتخاذ إجراءات دبلوماسية ضد الدول المعترفة¹¹⁵، إضافة إلى ما يمكن أن يفتحه هذا الاعتراف من نقاشات على المستويات السياسية والشعبية داخل هذه الدول، وبالتالي العمل على بلورة موقف شعبي أكثر اتساقاً وتماسكاً تجاه دعم القضية الفلسطينية من جانب، ومن جانب آخر يرتكز على كسر الرواية الإسرائيلية وعدم القبول باعتبارها الرواية الصادقة بل ستكون محل تشكيك دائم.

ما يهم في هذا المحور نقاشة ثلاثة من المحددات الأساسية لمحاولة فهم المعادلة القيمية والثقافية التي اهتزت في ظل حرب الإبادة المستمرة:

¹¹² - بي بي سي عربي، ماكرون في المقابلة: حان الوقت لوقف إطلاق النار في غزة، 2023/11/13:

<https://www.bbc.com/arabic/articles/cljp4dn0k83o>

¹¹³ - عادل السنهوري، أوروبا في ورطة. الفشل السياسي والسقوط الأخلاقي في غزة، صحيفة اليوم السابع المصرية، 2023-11-14:

<https://2u.pw/DFBfonMB>

¹¹⁴ - ماجد إبراهيم، الاعتراف بدولة فلسطين.. السياقات والدلالات والمكاسب المحتملة، الجزيرة نت، 2024/5/29:

<https://2u.pw/fb0JQkjV>

¹¹⁵ - المرجع السابق.

- الجامعات الغربية ومنظومة العلاقة الإسرائيلية.
- فجوة العلاقة ما بين القيم والمبادئ وما بين التطبيق.
- المنظومة القانونية والحقوقية الدولية وعدم القدرة على الصمت.

أولاً: الجامعات الغربية ومنظومة العلاقة الإسرائيلية

في العقود الأخيرة، شهد التعاون الأكاديمي والتعليمي بين إسرائيل والولايات المتحدة نموًا كبيرًا، خاصة في مجالات الابتكار العلمي والتكنولوجي؛ فمنذ عام 2006 نشر الأكاديميون الأمريكيون والإسرائيليون أكثر من 40 ألف دراسة مشتركة في هذه المجالات. كما لعبت الجامعات الإسرائيلية دورًا محوريًا في دعم سياسات الفصل العنصري، مع إقامة علاقات وثيقة مع الجيش الإسرائيلي كمؤسسة. فعلى سبيل المثال، طورت جامعة تل أبيب العديد من أنظمة الأسلحة التي يستخدمها الجيش في تنفيذ جرائم حرب ضد المدنيين الفلسطينيين¹¹⁶.

ورغم الجهود التي بذلتها حركة مقاطعة إسرائيل (BDS) على مدار السنوات الماضية، لم تستجب الجامعات الأميركية لهذه الدعوات أو تقلل من تعاونها مع المؤسسات الإسرائيلية. بل على العكس، أقامت العديد من الجامعات الأميركية شراكات ومشاريع مشتركة مع الجامعات والشركات الإسرائيلية.

على سبيل المثال، تعاونت فرق من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا وجامعة تل أبيب لتطوير ألياف بصرية متقدمة تعمل بالأشعة تحت الحمراء، فوفقًا لبيانات وزارة التعليم الأميركية فإن أكثر من 100 جامعة في الولايات المتحدة أبلغت عن منح أو عقود مع إسرائيل، بقيمة إجمالية تبلغ 375 مليون دولار على مدى العقدين الماضيين.

في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT)، نشر بعض الطلاب أسماء أساتذة يتلقون تمويلًا من وزارة الجيش الإسرائيلية لمشاريع تتعلق بتطوير تقنيات للطائرات بدون طيار وحماية الصواريخ حيث تلقى المعهد أكثر من 11 مليون دولار من مقابل ذلك خلال العقد الأخير فقط.

هذا يقودنا إلى استعراض سريع لتاريخ نشأة الحركة الطلابية في الجامعات الأميركية التي تعود إلى الستينيات، للمطالبة بحرية التعبير في الجامعات، والدفاع عن حقوق الطلاب من أصول أفريقية، إضافة إلى دعوات لتضمين المناهج موضوعات تتعلق بتاريخ وثقافة الأمريكيين من أصول أفريقية. وقد وضعت بصمتها مع تصاعد التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام، ولعب الحراك الطلابي دورًا كبيرًا في الضغط لإنهاء الحرب في فيتنام، حتى أن البعض يرى أنه كان أحد العوامل الرئيسية في إنهاء الصراع، إلى جانب صمود الشعب الفيتنامي ومقاومته الشرسة. ومثلما كانت الجامعات الأميركية مراكز للاحتجاج ضد الحرب في فيتنام، تكررت نفس التحركات مع كل تدخل عسكري أمريكي خارج الحدود، سواء في أفغانستان بعد هجمات 11 سبتمبر، أو في العراق تحت ذريعة أسلحة الدمار الشامل¹¹⁷.

يمكن فهم الحراك الطلابي في الجامعات الأميركية اليوم كامتداد لوعي نضالي راسخ لطالما تبنى مواقف مبدئية تجاه القضايا العالمية، خاصة تلك التي تكون الولايات المتحدة متورطة فيها؛ وهو ما يدفع الطلاب الأمريكيين إلى التعبير عن موقفهم بشأن هذه القضايا.

¹¹⁶ - محمد المنشاوي، تفاصيل الاستثمارات والتعاون بين الجامعات الأميركية وإسرائيل، الجزيرة نت، 2024/5/5:

<https://2u.pw/wNv03FeU>

¹¹⁷ - شبكة الميادين، "غزة جامعة العالم".. كيف أعاد الحق الفلسطيني إحياء النبض الثوري في الحركة الطلابية؟، 2024/4/27:

<https://2u.pw/mSL5igFd>

التورط الأمريكي في العدوان على غزة لا يقل وضوحاً عن تدخلاتها السابقة في العراق، أفغانستان، أو فيتنام. وبالتالي، يأتي خروج الطلاب الأمريكيين اليوم نتيجة شعورهم بالمسؤولية عن حرب الإبادة المستمرة ضد الشعب الفلسطيني في غزة.

أهمية هذا الحراك الطلابي مقارنة بالتحركات السابقة تكمن في كونه يحدث بعد فترة طويلة من الركود، حيث ظن ما يُسمى بـ"العالم الحر" أنه نجح في تشكيل وعي الأجيال الجديدة وفق رغبته، لكن إطلاق عملية "طوفان الأقصى" أظهر أن هذا الرأي كان مغايراً للواقع.

هذا الحراك يتجاوز في ظاهره الدعوة لوقف إطلاق النار وتحسين أوضاع سكان غزة، فهو في جوهره يمثل بداية "ثورة عالمية"، تعيد رسم معالم العالم وتفرض واقعاً جديداً على القوة العظمى المهيمنة. الولايات المتحدة تدرك هذه المعطيات جيداً، وتتفاعل مع التظاهرات على هذا الأساس، مما يفسر استخدامها للعنف المفرط في مواجهتها، وهو نهج ليس جديداً على الإدارات الأمريكية في التعامل مع الحركات الطلابية.

المفارقة تكمن في أن الجامعات التي تقود هذه التحركات، مثل "كولومبيا" و"ييل" وغيرها من نخبة الجامعات الأمريكية، تُعد من جامعات النخبة في الولايات المتحدة، وهذا لا ينفى تهمة "الغوغائية" فحسب؛ بل يعزز حجم الخسارة بالنسبة للاحتلال الإسرائيلي والإدارة الأمريكية، حيث أن هذه الجامعات أنشئت لتخرج النخب الحاكمة وليس المعارضين، فمن بين خريجي جامعة كولومبيا على سبيل المثال؛ هناك 30 مسؤولاً بارزاً في إدارة الرئيس جو بايدن، مثل وزير الخارجية أنتوني بلينكن، ومن بين خريجي "ييل" مستشار الأمن القومي جيك سوليفان، ووزيرة التجارة جينا ريموندو، ووزيرة الخزانة جانيت يلين، والمبعوث الرئاسي لشؤون المناخ جون كيري.

ثانياً: فجوة العلاقة ما بين القيم وتطبيقها

تم تأسيس الاحتلال الإسرائيلي من خلال محاولة إعادة هندسة منظومة القيم والمبادئ التي يحاول العالم الغربي على تغييرها في منطقة الشرق الأوسط، فإسرائيل كمنظومة احتلال تقدم على أنها "الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، وأن الاحتلال لديه مرجعية قانونية من شأنها أن تجري المراجعات والتحقيقات الداخلية فيما يسمى بـ"الانتهاكات الفردية" التي يعمل على تنفيذها بحق الفلسطينيين، وأن القيم والمبادئ التي يعمل عليها الاحتلال تأتي ضمن حماية القيم والمبادئ الغربية. هذه الصورة التي رسمت للاحتلال الإسرائيلي مكنته من استخدام جميع منهجيات الاضطهاد والقتل بحق الفلسطينيين تحت إطار "الدفاع عن النفس" وحماية "المواطنين الإسرائيليين". إضافة إلى استخدام سرديّة المحرقة التي تعرض لها اليهود في ألمانيا للجم أي انتقاد لعمليات الاضطهاد والإبادة بحق الفلسطينيين وهذا ما بات يعرف بمعاداة السامية كذريعة لكبح جماح حالة الانتقاد أو الاتهام التي تطلق باتجاه إسرائيل.

لكن الأخطر في الجدل الحاصل يتمثل في التحول من الدفاع عن القيم والمبادئ إلى الدفاع عن المصالح، فالدول الغربية التي تدور في فلك الولايات المتحدة الأمريكية، ما زالت تنظر إلى منطقة الشرق الأوسط كواحدة من المرتكزات المهمة في مصادر الطاقة والهيمنة الاستعمارية على المقدرات التي يحتفظ بها إضافة إلى الموقع الجيوسياسي المتمثل في الأسواق العالمية وخطوط التجارة الدولية، وترى في إسرائيل كقوة عسكرية مدعومة غربياً تمثل حارساً لهذه المقدرات التي لا يستطيع العالم أن يفصل عنها¹¹⁸، وهنا تبرز المعضلة الأساسية بمدى قدرة الاستمرارية على إقناع الشعوب الغربية بمنطلقات الحماية والدفاع عن إسرائيل في ظل حالة الانتهاك المباشرة للقيم الحقوقية والإنسانية التي يتغنى بها الغرب ويحاول أن

118 - حسين شبكشي، صراع قيم وليس صراع حضارات!، صحيفة الشرق الأوسط، 2023/11/14: <https://2u.pw/wuR5VZU0>

يروج لها على أنها قيم يصدرها إلى دول العالم، بينما هو لا يستطيع أن يدافع عن هذه القيم عندما تخترقها إسرائيل.

ولهذا تعتبر إسرائيل معركة الوعي جزء لا يتجزأ من كل مواجهة استراتيجية وعسكرية، وفي السنوات الاخيرة بدأ هذا الصراع يشغل حيزاً أكبر بكثير من قبل المؤسسة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية في محاولة تثبيت قدرتها على صياغة الوعي في المجتمعات الغربية بما يعزز سرديتها، إلا أنها باتت غير قادرة على الإبقاء على هذه المعادلة، وتفوق الوعي الجمعي للجماهير الغربية من خلال ما وفرت مواقع التواصل الاجتماعي إضافة إلى استمرارية الاحتلال في انتهاج سياسة الكذب وتزييف الواقع.

ثالثاً: المنظومة القانونية والحقوقية الدولية وعدم القدرة على الصمت :

تم إنشاء المنظومة القانونية والحقوقية الدولية بالاستناد إلى حماية مصالح الدول العظمى التي أسستها وتغلبها بمبادئ وقيم إنسانية مثل العدل والسلم وحقوق الإنسان، وحاولت هذه الأطراف تمثل السلطة العليا التي تفرض تطبيق هذه القواعد بطريقة انتقائية تخدم مصالحها. هذا يتجلى بشكل واضح في منح مجلس الأمن سلطة تنفيذ قرارات الهيئات القضائية الدولية، حيث تمتلك تلك الدول حق النقض الذي يرتبط بخمسة من الدول الأعضاء في مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية¹¹⁹.

نتيجة لهذا الترتيب، أصبح الكيان الإسرائيلي يشعر بأنه فوق النظام القانوني الدولي، مستفيداً من حصانة مطلقة تجعله بمنأى عن أحكام القضاء الدولي. ولذلك، يُظهر مقاومة قوية عندما يتعرض لأحكام العدالة الدولية، حيث يعتقد أن النظام الدولي ومؤسساته يجب أن تخدم مصالحه، وهذه المصالح ليست إلا امتداداً لمصالح الدول الكبرى التي تدعمه وتحميه، إذ يعتبر وجوده جزءاً من مصالحها الحيوية التي يجب على المؤسسات الدولية خدمتها¹²⁰.

وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، فإن الولايات المتحدة تكون دائماً في مقدمة المدافعين عن الكيان الإسرائيلي في المؤسسات الدولية، مما يحصّنه من أي مساءلة، بل إنها تذهب إلى حد إنكار جرائمه، كما فعل المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي، جون كيربي، حين قال إنه لم يجد أي دليل يشير إلى أن جيش الاحتلال انتهك القانون الدولي الإنساني في عدوانه على غزة، رغم أن عدد الضحايا المدنيين فاق 40 ألف شهيد.

وتجسد هذا بوضوح في ردود الأفعال العنيفة التي صدرت عن سياسيين في الولايات المتحدة ضد قرار محكمة العدل الدولية، وممارسة الضغوط على مدعي عام الجنايات الدولية كريم خان بهدف منعه من إصدار مذكرات اعتقال بحق قيادات الاحتلال الإسرائيلي.

لكن، وعلى الرغم من هذا النظام القانوني الأبوي الذي يوفر الغطاء والحماية لإسرائيل، بدأت صورتها في القضايا الحقوقية تهتز وتتكشف أكثر أمام الشعوب الغربية، وبذلك يمكن القول أن البناء على هذه الصورة المهترزة يمكن أن يتحول في مرحلة معينة قدرة على ممارسة الضغط باتجاه تفعيل المؤسسات الدولية لدورها الحقيقي المتمثل في ملاحقة مجرمي الحرب، ليس رغبة في تطبيق القانون الذي يخدم المصالح السياسية للدول العظمى وإنما خشية من يتحول النظام القضائي كجزء من أدوات شرعنة الإبادة والقتل والانتهاكات وبذلك يتحول النظام الدولي إلى نظام مختل من شأنه أن يطال ذات الدول التي تعطله

119 - مركز الجزيرة للحريات العامة وحقوق الإنسان، ازدراء إسرائيل للعدالة الدولية وأثره على النظام العالمي، 2024/8/7:

<https://2u.pw/jCBgdrVI>

120 - المرجع السابق.

في هذا التوقيت، وهذا ما يمكن أن يشكل بداية التحويل الفعلي والحقيقي باتجاه تغيير المواقف تجاه النظر للاحتلال وميزان العدالة الدولي.

خاتمة :

لا شك، إن الوقوف على الجزئيات المرتبطة بالتفاعلات والتداعيات لطوفان الأقصى لا يمكن حصره في محطات أو محاور محددة، باعتبارها عملية أحدثت هزة متكاملة الأركان تجاه كل المكونات السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية، وامتدت في أبعادها لما بعد الجغرافيا الفلسطينية لتتخطى ذلك البعدين الإقليمي والدولي باعتبار أن القضية الفلسطينية تبقى مركزا للأحداث لا اعتباراتها في الموقع الجيوسياسي والقومي والعروبي والإسلامي، ولا اعتبارات ترتبط بالاحتلال الإسرائيلي باعتباره أيضا امتدادا لمشروع استعماري غربي تسعى من خلاله الدول الراعية له إلى حماية مصالحها الاقتصادية والأمنية وأطماعها العسكرية في منطقة الشرق الأوسط.

إلا أن اللافت في خضم البحث في هذه التداعيات والتفاعلات ومحاولة فهم، هو طبيعة مراحل التحول وأشكاله التي بات أيضا واحدة من المتغيرات التي يمكن أن تؤسس لمحطة جديدة إما على شكل الخارطة السياسية وخارطة التحالفات الإقليمية والدولية، أو في التحول إلى النظرة للاحتلال الإسرائيلي التي بدأت تتغير على المستوى الشعبي الجماهيري الدولي والتي قد تؤسس لمرحلة تحول في السياسات الدولية في المنظور البعيد والاستراتيجي وهو ما عبر عنه كثير من صناع القرار الغربيين، لأن الاحتلال الإسرائيلي استمر على مدار سنوات وجودة على قدرته في تسويق نفسه كواحدة من مكونات القيم والمبادئ الغربية والآن بدأت هو من يعمل على هدمها وبذلك يتحول الصراع من أشكاله السياسية إلى صراع في محاولة حماية المبادئ والقيم التي لطالما تغنى بها العالم وحاول أن يسوقها على أنها هي من أسس إرساء العدالة الاجتماعية والاستقرار على صعد عدة.

المحور الثالث :

معركة طوفان الأقصى (التحديات والفرص)

د. إياد أبو زنيط

أستاذ الدراسات المستقبلية ، مؤسسة يبوس للإستشارات والدراسات الاستراتيجية

ملخص :

تُعالج الدراسة موضوعاً مهماً، يتعلق بمعرفة التحديات والفرص التي أعقبت معركة طوفان الأقصى لدى كل الأطراف المنخرطة فيها، فلسطينياً وإسرائيلياً، وعربياً وإقليمياً ودولياً، ويستدعي الموضوع البحث والتحليل، واستخدام مناهج الاستشراف في معرفة المتغيرات والتعامل معها، وقد هدفت الدراسة إلى معرفة كل عامل ومتغير مؤثر وقياس مدى تأثيره في كونه تحدٍ أو يخلق فرصةً لدى طرف من الأطراف.

وقد استخدمت الدراسة منهجاً بحثياً متعدد التخصصات (multi-disciplinary approach)، فالمنهج متعدد التخصصات، هو الاتجاه السائد في الدراسات المستقبلية، حيث يتم من خلال المنهج توقع التطورات طويلة المدى بعد تحليل الوضع الحالي، لتحديد الاتجاه الملحوظة، وبذور التغيير، وهذا المنهج يؤدي بالنهاية إلى صياغة سيناريوهات مختلفة للحالة الراهنة المتعلقة بمعركة طوفان الأقصى، مع تقييم أثارها عبر مستويات وأطر زمنية مختلفة.

وقد توصلت الدراسة إلى تحديد مجموعة من المتغيرات التي ساهمت بشكل كبير في خلق فرصٍ للتوحش الإسرائيلي الحالي في المنطقة، معتبرة أن العامل الأكثر أهمية يتعلق باعتبار إسرائيل جزءاً من السياسة الداخلية الأمريكية، فيما اعتبرت أن التحدي الأهم بالنسبة لإسرائيل كيفية المحافظة على استدامة وجودها، وتوصلت إلى أن معركة طوفان الأقصى شكلت بدايةً لتنفيذ مشروع استعماري جديد في المنطقة يقوم على ترتيبها ضمن رؤية أمريكية جديدة، مُستخدمة بذلك إسرائيل كاحتلالٍ وكيل.

وفيما يتعلق بالتحديات التي واجهت المقاومة الفلسطينية، توصلت الدراسة إلى أن أهمها يتعلّق بحالة عدم انخراط محور المقاومة منذ اليوم الأول للمعركة فيها مبادراً، واتباعه الصبر الاستراتيجي في المواجهة، وهذا ما منح إسرائيل وقتاً للاستفراد بغزة، بالإضافة إلى ضعف الموقف العربي الرسمي الذي لم يكن فعالاً في إيقاف الحرب أو العمل على وقفها، وعدم استخدامه لأي من أوراق الضغط المتاحة لديه في مواجهة إسرائيل، أما فيما يتعلق بالفرص، فاعتقدت الدراسة أن الفرصة الأهم اليوم تتمثل في إنهاء حالة الانقسام الفلسطيني، وتثبيت الفلسطينيين على أرضهم في غزة، منعاً لمشروع التهجير الذي شكل هدفاً إسرائيلياً استراتيجياً وما زال قائماً.

المقدمة :

أحدثت عملية طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، زلزالاً عظيماً في منظومة الأمن الإسرائيلي؛ أدى إلى خلخلة نظرية الردع الإسرائيلي وتآكلها، وأعدت العملية الاعتبار إلى الخيار العسكري كخيار رئيسي في عملية حسم الصراع مع الاحتلال، وبالقدر نفسه أعدت الاعتبار للقضية الفلسطينية بعد أن تراجع الاهتمام بها، ورسمت معالم جديدة في كيفية التعامل مع الاحتلال، وانبثق عنها العديد من النتائج والدروس والعبر.

ففي لحظة حاسمة من التاريخ وبعمق استراتيجي لا يُصاهى، استيقظ العالم على وقع عملية "طوفان الأقصى" التي أذهلت الجميع بجرأتها وتأثيرها. بلغت هذه العملية مستوى لم يكن متوقعاً، حيث كشفت عن هشاشة الجيش الإسرائيلي بصورة لم يتخيلها الكثيرون. ربما حتى منظمو العملية لم يتوقعوا الانعكاسات الكبيرة التي أفرزتها، وكان أهم تجلياتها استسلام مواقع عسكرية إسرائيلية بالكامل للمقاومة الفلسطينية.

هذه العملية التي جاءت كتعبير عن حالة الاحتقان التي سادت ما قبل نقطة التحول هذه؛ وتراكم الغضب نتيجة للجرائم الصهيونية المتكررة بحق المدنيين والمقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس، خصوصاً بعد فشل جميع الوساطات والتفاهات لوقف الانتهاكات ضد حرمة المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين، ضمن سياسة ممنهجة لفرض التقسيم الزمني والمكاني، وفشل كل اتفاقات التهدئة في لجم التغول الصهيوني، وفي ظل هذا الواقع وغياب الخيارات السياسية البديلة، في ضوء قلّة الحلفاء الجديين والأصدقاء الحقيقيين، وفي ضوء محاولات تجاوز الحقوق التاريخية الفلسطينية تارةً بمسار التطبيع الإقليمي ومرةً بالتوظيف السياسي لنضالات وتضحيات الشعب الفلسطيني بدون مردود ملموس لمصلحة الفلسطينيين وتأثير كل ذلك على مستقبل ومكانة القضية الفلسطينية إقليمياً ودولياً، مما وضع المقاومة أمام لحظة الحقيقة إما أن تبقى ساكنة وتتفادى مواجهة قادمة لا محالة حيث يتسارع معها المشروع الصهيوني في كلّ الأرض الفلسطينية ويفرض الحقائق والوقائع من تهويد في القدس واستيطان في الضفة وحصار على غزة وتواصل سياسات تعزيز الانقسام واستراتيجيات عزل الفلسطينيين ليتوج في نهاية المطاف بتصفية القضية الفلسطينية وإخضاع الفلسطينيين بشكل نهائي وفقاً للتصورات والأفكار التي تعتنقها هذه الحكومة الأكثر تطرفاً وفاشية في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي، وإما أن تطلق مبادرة استراتيجية تغير المعادلات العسكرية والسياسية بعمل غير مسبوق على مدار حركة النضال الفلسطيني ليعيد الاعتبار للشعب الفلسطيني ويضع قضيته على رأس أجندة السياسة الإقليمية والدولية ويفتح الباب لكافة الاحتمالات لحل الصراع وفقاً لتطلعات الشعب الفلسطيني في نيل الحرية والعودة والاستقلال، فكانت عملية طوفان الأقصى بعدما أيقنت المقاومة أن تكلفة استمرار الوضع الراهن للقضية الفلسطينية أعلى من كسر حالة الجمود السياسي والميداني السائد في المنطقة والمتضرر الأول منه الفلسطينيون¹²¹.

تُجادل الدراسة في أن معركة طوفان الأقصى، قد خلقت مجموعة من التحديات لدى كل الأطراف المنخرطة فيها، أو ذات الصلة عربياً وإقليمياً ودولياً، وهي تحديات أعادت صياغة الرؤى حول تصوراتٍ وحلول جديدة للقضية الفلسطينية، مثلما أعادت منطق التفكير العربي بكيفية التعامل مع الشرق الأوسط

¹²¹ التداعيات والمآلات المحتملة لعملية طوفان الأقصى، مجموعة الحوار الفلسطيني، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط التالي:

<https://paldg.co/?p=2344>

برمته، وجعلت حكومات كثير من الدول، تُعيد التفكير في علاقتها مع الاحتلال مثلما أعادت دول أخرى التأكيد على موقفها الداعم له. ومثلما كانت التحديات تُفرز واقعاً جديداً، أوجدت المعركة مجموعة من الفرص أمام كل الأطراف، استغلها كل منهم مثلما رأى أنّها الأكثر ملائمة له.

مشكلة الدراسة :

تُعالج الدراسة مشكلة أساسية تتعلق بالتحديات والفرص التي نتجت عن معركة طوفان الأقصى، وكيف شكلت تلك الفرص والتحديات مجالاً لترتيباتٍ جديدة في المنطقة بأكملها، وكيف انعكس ذلك على القضية الفلسطينية.

تساؤلات الدراسة :

تُحاول الدراسة الإجابة على مجموعة من الأسئلة يتمثل أهمها في التالي:

- ما هي أبرز التحديات التي تواجه الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية وفلسطيني 1948 سياسياً وعسكرياً وأمنياً واجتماعياً ومدنياً وقانونياً، جراء معركة طوفان الأقصى وسبل مواجهتها؟
- ما هي التحديات التي تواجه الاحتلال على كافة المستويات؟
- ما هي انعكاسات تلك التحديات على مسار التسوية، والتطبيع والممر الهندي الأوروبي؟
- ما هي الفرص المتاحة لدى الفلسطينيين وكيفية استثمارها؟
- ما طبيعة الفرص التي بإمكان الاحتلال الاستثمار فيها؟
- كيف يمكن استثمار الفرص من قبل الجاليات العربية والاسلامية؟

المنهج المستخدم :

تنتهي هذه الدراسة إلى حقل الدراسات المستقبلية ذات المنهج متعدد التخصصات القائمة على دراسة الحالة. والتي تهدف الى تحديد السيناريوهات المستقبلية إثر معركة طوفان الأقصى، في فلسطين في ظل ظروف سياسية واقتصادية، ويعرف المنهج متعدد التخصصات بأنه منهج بحثي يمزج بين مختلف التخصصات العلمية والأكاديمية.

المحور الأول : التحديات التي تواجه الفلسطينيين في غزة والضفة الغربية وفلسطيني 1948، في المجالات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية.

بعد عامٍ كامل على انطلاق عملية طوفان الأقصى، تلك العملية التي هزت أركان الكيان الصهيوني وأعدت القضية الفلسطينية إلى صدارة المشهد العالمي يُمكن استعراض أبرز ما حققه الفلسطينيون من مكاسب، وما واجهوه من صعوبات وعقبات على كافة الأصعدة

ما حققه الفلسطينيون :

أولاً: إعادة القضية الفلسطينية إلى الواجهة العالمية

نجحت عملية طوفان الأقصى في كسر حالة الجمود التي كانت تعيشها القضية الفلسطينية، فعادت فلسطين لتتصدر عناوين الأخبار العالمية وتشغل الرأي العام الدولي. هذا الاهتمام المتجدد فتح الباب أمام نقاشات جادة حول حقوق الفلسطينيين وشرعية المقاومة، وفضح المشروع الصهيوني أو توقفه وتعطيله في هذه البقعة من الأرض.

ثانياً : محاولة توحيد الصف الفلسطيني

شكّلت العملية نقطة تحول في مسار الانقسام الفلسطيني، فقد التحمت مختلف فصائل المقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان الإسرائيلي، مما أظهر إمكانية تجاوز الخلافات الداخلية في سبيل القضية الأم.

ثالثاً : كشف هشاشة منظومة الأمن الإسرائيلية

أثبت طوفان الأقصى أن "جيش الاحتلال الذي لا يقهر" هو مجرد أسطورة. فقد تمكنت المقاومة من اختراق أكثر المناطق تحصيناً وهي مركز التجسس في منطقة ريعيم وإلحاق خسائر فادحة بالعدو وأسر أكثر من 250 أسيراً، منهم شخصيات كبيرة داخل جيش الاحتلال، مما زرع ثقة المجتمع الإسرائيلي بقدرات جيشه وأجهزته الأمنية.

رابعاً : تعزيز الدعم الشعبي العربي والعالمي

شهدت الساحة العربية والدولية موجة غير مسبوقة من التضامن مع الشعب الفلسطيني. تجلّى ذلك في المظاهرات الحاشدة التي عمت العواصم العالمية، وحملات المقاطعة التي استهدفت الشركات الداعمة للاحتلال.

خامساً : إحياء روح المقاومة في الأراضي المحتلة

انتشرت شرارة المقاومة من غزة إلى الضفة الغربية والقدس والأراضي المحتلة عام 1948. هذا التصاعد في العمليات والمواجهات الشعبية أربك حسابات الاحتلال وأثبت أن المقاومة خيار استراتيجي للشعب الفلسطيني، فليس معنى السكون في فترة زمنية أن القضية قد ماتت بل هي حالة هدوء يعود الشعب بعدها إلى المقاومة

التحديات والعقبات

أولاً : العدوان الإسرائيلي الوحشي

واجهت المقاومة والشعب الفلسطيني عدواناً إسرائيلياً غير مسبوق في وحشيته. استهدف هذا العدوان المدنيين بشكل ممنهج، خلفاً عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى ودماراً هائلاً في البنية السكنية والتحتية حتى قال بعض الخبراء إن الركام في غزة يحتاج أعواماً لإزالته، وهذا يرجع إلى الهجمة البربرية على غزة.

ثانياً: الحصار الخانق على غزة

منذ عام 2006 شدد الاحتلال حصاره على قطاع غزة، فمن دخول الشاحنات المحملة بالطعام والاحتياجات الأساسية إلى حالة مماثلة من شيعب أبي طالب، مانعاً دخول الغذاء والدواء والوقود. هذا الحصار فاقم من المعاناة الإنسانية وشكل تحدياً كبيراً أمام صمود الشعب الفلسطيني.

ثالثاً : التواطؤ الدولي مع الاحتلال

واجهت المقاومة موقفاً دولياً منحازاً للاحتلال، خاصة من قبل الولايات المتحدة والدول الغربية. هذا الانحياز تجلى في الدعم العسكري والسياسي اللامحدود لإسرائيل، وفي عرقلة أي جهود دولية لوقف العدوان.

رابعاً: محاولات تشويه صورة المقاومة

منذ اللحظة الأولى في الحرب شنت وسائل الإعلام الغربية والإسرائيلية حملة تشويه ممنهجة ضد المقاومة الفلسطينية، محاولة نزع الشرعية عن نضالها وتصويرها كحركة إرهابية.

خامساً: استنزاف القدرات البشرية والمادية

أدى العدوان المتواصل إلى استنزاف كبير في صفوف المقاومة، سواء على مستوى الكوادر البشرية أو الإمكانيات المادية والعسكرية

سادساً : الظروف الاقتصادية الصعبة

في أحدث تقرير لها عن حالة الاقتصاد الفلسطيني والذي صدر بتاريخ 2024/9/12، وجدت الأونكتاد¹²² أن حجم الدمار الاقتصادي المذهل والانحدار غير المسبوق في النشاط الاقتصادي، تجاوز بكثير تأثير جميع المواجهات العسكرية السابقة في القطاع منذ عام 2008. وقالت إن الناتج المحلي الإجمالي لغزة

¹²² الأونكتاد، الاقتصاد الفلسطيني في حالة خراب بعد الحرب على غزة، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط: <https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134396>

انخفض بنسبة 81 في المائة في الربع الأخير من عام 2023، مما أدى إلى انكماش بنسبة 22 في المائة للعام بأكمله، وبحلول منتصف عام 2024 انكمش اقتصاد غزة إلى أقل من سدس مستواه في عام 2022. وأشار التقرير إلى أن ما بين 80 و96 في المائة من الأصول الزراعية في القطاع - بما في ذلك أنظمة الري ومزارع الماشية والبساتين والآلات ومرافق التخزين قد تضررت، مما أدى إلى شل القدرة على إنتاج الغذاء وتفاقم مستويات انعدام الأمن الغذائي المرتفعة بالفعل .

وبالإضافة إلى ذلك، أكد التقرير أن 82 في المائة من الشركات في غزة، التي تشكل محركا رئيسيا للاقتصاد، قد دمرت في حين يستمر الضرر الذي يلحق بالقاعدة الإنتاجية وسط العمليات العسكرية الإسرائيلية المستمرة. وبالتوازي مع ذلك، تمر الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية، بتدهور اقتصادي سريع ومثير للقلق، حيث أشار التقرير إلى أن 80 في المائة من الشركات في القدس الشرقية توقفت عن العمل جزئيا أو كليا.

وقد فقدت حوالي ثلثي جميع الوظائف، التي كانت موجودة قبل الحرب في غزة، بحلول شهر كانون الثاني/يناير من هذا العام، مما دفع عمليا جميع سكان القطاع تقريبا إلى الفقر - حيث كان 80 في المائة منهم يعتمدون على المساعدات الدولية حتى قبل الحرب .

وفي الضفة الغربية، فقد الفلسطينيون ما مجموعه 306 آلاف وظيفة، مما دفع معدل البطالة من 12.9 في المائة إلى 32 في المائة، ليؤدي إلى خسارة يومية تقدر بنحو 25.5 مليون دولار في دخل العمل. بالإضافة إلى ذلك، تعطلت الأنشطة التجارية بشدة بسبب القيود المتزايدة على حركة الأشخاص والبضائع.

ووفقا للتقرير، فإن ما يزيد من تفاقم هذا الوضع هو الضغوط الهائلة على الاستقرار المالي للحكومة الفلسطينية. ففي عام 2023، انخفض دعم المانحين الدوليين إلى أدنى مستوياته عند 358 مليون دولار، مقارنة بملياري دولار في عام 2008 .

ومنذ تشرين الأول/أكتوبر 2023، تصاعدت عمليات خصم الإيرادات وحجبها من قبل إسرائيل لتتجاوز 1.4 مليار دولار بين عامي 2019 ونيسان/أبريل 2024. وقد أعاققت هذه التحديات المالية قدرة الحكومة على دفع رواتب الموظفين، وخدمة الديون، والحفاظ على الخدمات العامة الحيوية مثل الرعاية الصحية والتعليم.

سابعا: خطر التهجير

رأى قادة الاحتلال في عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول الماضي ضربة إستراتيجية، قد يخفف أثرها إحداث تغيير إستراتيجي في وضع القطاع، على صعيد الأرض أو السكان أو كليهما. وذلك بخلق منطقة عازلة داخله، أو احتلال شماله بالكامل وتفريغ سكانه، أو تهجير أهالي القطاع، أو نسبة كبيرة منهم، إلى خارج فلسطين، طوعا أو كرها، برا أو بحرا.

ويضاف هذا إلى الدوافع التقليدية، كتحقيق الهدف الصهيوني في الاستيلاء على الأرض بعد التخلص من السكان، والرغبة في التخلص من المقاومة، أو تقليل خزانها البشري على الأقل، وهذا مما يعزز فرصتها في الاستيلاء على حقول الغاز في مياه غزة، وتحييد التهديد لمشاريعها لاستخراج الغاز من البحر المتوسط. وفي الحرب الجارية على القطاع، اعتمد جيش الاحتلال سياسة الترويع من خلال تشديد الحصار ليصبح حصاراً شاملاً، أوقف بموجبه الماء والغذاء والوقود والكهرباء، إضافة إلى القصف الهادف إلى إيقاع أعداد كبيرة من القتلى ونطاق واسع من الدمار، بما يشمل تفويض المرافق المدنية، وكل ما يلزم لاستمرار الحياة، كالمستشفيات والمدارس والمساجد، مع إبداء أصناف الوحشية في اعتقال الفلسطينيين. ومن أهداف هذا السلوك دفع أهل القطاع إلى الهجرة، وهذا استنساخ أكثر إجراماً وقسوة لنموذجي التهجير في 1948 و1967¹²³.

الفرص الممكنة الاستثمار فيها جراء معركة طوفان الأقصى:

أولاً : تنامي الوعي العالمي

شهدت الحرب الأخيرة على غزة تزايداً ملحوظاً في الوعي بحقيقة الصراع الفلسطيني الإسرائيلي في أصقاع الأرض. هذا الوعي المتنامي يشكل فرصة ذهبية للمقاومة لكسب المزيد من التأييد الدولي وفضح ممارسات الاحتلال.

ثانياً : تصدع الجبهة الداخلية الإسرائيلية

لطالما أظهر الإعلام قوة الاحتلال التي لا تقهر وتماسك المجتمع الداخلي، فأظهرت الأحداث الأخيرة هشاشة التماسك الداخلي في المجتمع الإسرائيلي. الانقسامات السياسية والاجتماعية المتزايدة تضعف قدرة إسرائيل على مواصلة احتلالها على المدى الطويل.

ثالثاً : تطور قدرات المقاومة

أثبتت المقاومة أنها تملك القدرة على تطوير قدرتها العسكرية والسياسية وأساليب التكتيك والاستراتيجيات، ورغم بعض الخسائر إلا أن هذا التطور المستمر يجعل من الصعب على الاحتلال التنبؤ بخطواتها القادمة أو احتوائها.

¹²³ الجزيرة، تهجير سكان غزة وجولة من صراع الديمغرافيا، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط التالي:

<https://www.aljazeera.net/politics/2024/3/2/%D8%AA%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%B1-%D8%B3%D9%83%D8%A7%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9>

رابعاً : تعزيز التضامن الدولي والعربي والإسلامي

يجب على المقاومة الاستفادة من حالة التضامن المتزايدة من العالم عامة والعالمين العربي والإسلامي خاصة. هذا التضامن يجب الدفع به إلى أن يترجم إلى دعم سياسي واقتصادي أكبر للقضية الفلسطينية.

خامساً : تغيرات في النظام العالمي

أصبحت التحولات الجيوسياسية العالمية تدفع إلى تصغير حجم الهيمنة الأمريكية مما يفتح آفاقاً جديدة للقضية الفلسطينية، وينعكس على الدعم الدولي اللامشروط لإسرائيل.

سادساً : استمرار الصمود الشعبي

يشكل صمود الشعب الفلسطيني وتمسكه بأرضه وحقوقه عاملاً حاسماً في إطالة أمد المقاومة وإرهاق الاحتلال.

سابعاً : تزايد الضغوط الاقتصادية على إسرائيل

أخفق الاقتصاد الداخلي للاحتلال على مدار ما يقرب من العام الآن في النهوض مما خسره في الشهور الماضية منذ بداية الطوفان، كما تحقق حركات المقاطعة العالمية والدعوة إلى سحب الاستثمارات ضغطاً اقتصادياً متزايداً على إسرائيل، مما قد يدفعها للتراجع عن سياساتها القمعية والمدمرة لشعب فلسطين. رغم التحديات الهائلة، تظل فرص انتصار المقاومة الفلسطينية قائمة. يتطلب تحقيق هذا الانتصار استراتيجية شاملة تجمع بين الصمود الميداني، والعمل الدبلوماسي، وكسب التأييد الشعبي العالمي. إن عاماً على طوفان الأقصى قد أثبت أن إرادة الشعب الفلسطيني لا تلتين، وأن المقاومة قادرة على تحقيق ما كان يُعتبر مستحيلاً بالأمس.

لقد أعاد طوفان الأقصى رسم خريطة الصراع، وفتح صفحة جديدة في تاريخ المقاومة الفلسطينية. وبينما يستمر الصراع، يبقى الأمل في تحقيق الحرية والعدالة للشعب الفلسطيني حياً، مدفوعاً بإرادة شعب لا يعرف الاستسلام، ومقاومة تواصل الكفاح رغم كل الصعاب.

المحور الثاني : التحديات التي تواجه الإسرائيليين سياسياً وعسكرياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً وقانونياً وقيماً، جرّاء معركة طوفان الأقصى

بعد معركة طوفان الأقصى، واجهت إسرائيل تحديات سياسية كبيرة قد تعيد تشكيل المشهد السياسي الداخلي والإقليمي. فيما يلي استعراض لأبرز التحديات السياسية التي تواجه الإسرائيليين في أعقاب تلك معركة طوفان الأقصى:

أولاً : التحديات السياسية التي تواجه الإسرائيليين

الانقسامات الداخلية وتحديات القيادة السياسية

إسرائيل تواجه انقسامات سياسية عميقة داخل المجتمع، خاصة في ظل الانقسام الحاد حول أداء الحكومة، وخاصة أداء رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو. الحرب فاقت حالة الاستقطاب بين التيارات المختلفة في إسرائيل:

- **أزمة الثقة** : الحرب أدت إلى انخفاض الثقة بالحكومة، خصوصاً في كيفية إدارتها للأزمة الأمنية، حيث تعرضت الحكومة لانتقادات حادة بشأن عدم الجاهزية الأمنية¹²⁴.

- **الاحتجاجات ضد التعديلات القضائية** : الحرب جاءت في وقت تشهد فيه إسرائيل احتجاجات داخلية واسعة بسبب التعديلات القضائية التي طرحها نتنياهو، مما زاد من تعقيد الوضع الداخلي¹²⁵.

- التحديات الأمنية الطويلة الأمد

الهجوم المفاجئ الذي شنته المقاومة الفلسطينية في 7 أكتوبر كشف ضعفًا في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية وترك تساؤلات كبيرة حول قدرة الجيش الإسرائيلي على الاستعداد لمواجهة تهديدات متعددة الجبهات:

- **التهديدات من غزة** : الفصائل الفلسطينية أثبتت قدرتها على تنفيذ هجمات نوعية على إسرائيل، مما يستدعي إعادة النظر في استراتيجيات الأمن القومي.

- **الجبهات المتعددة** : إسرائيل تواجه تهديدات ليس فقط من غزة، بل من الشمال (حزب الله في لبنان) والجنوب (سوريا واليمن)، وهو ما يعزز من التحديات الأمنية التي تتطلب إعادة تقييم استراتيجيات المواجهة.

ثانياً: تراجع الدعم الدولي

رغم استمرار الدعم الدولي لإسرائيل، خاصة من الولايات المتحدة، فإن العدوان الإسرائيلي على المدنيين الفلسطينيين وما تبعها من انتقادات دولية شكلت ضغطاً على إسرائيل. هناك تزايد في الدعوات من داخل المجتمع الدولي لوقف العمليات العسكرية والمضي قدماً نحو الحل السياسي:

- **الانتقادات الأوروبية** : دول الاتحاد الأوروبي أعربت عن قلقها من استمرار التصعيد العسكري، وطالبت بحاسبة إسرائيل على الانتهاكات بحق المدنيين الفلسطينيين¹²⁶.

¹²⁴ <https://www.arab48.com/الإخفاق-الكبير-وبداية-الأزمات-الداخلية-في-إسرائيل/26/10/2023/>

¹²⁵ <https://www.aljazeera.net/news/2023/9/10/تجدد-الاحتجاجات-ضد-التعديلات>

¹²⁶ <https://www.wafa.ps/pages/details/98252>

- **مواقف الدول العربية المطبوعة:** الدول العربية التي وقعت اتفاقيات التطبيع، مثل الإمارات والبحرين، تواجه ضغوطاً شعبية تدين العمليات الإسرائيلية في غزة، مما قد يؤثر على استمرارية هذه الاتفاقيات¹²⁷.

- **التحديات الاقتصادية :** ألقت الحرب بظلالها على الاقتصاد الإسرائيلي، فالتكاليف الباهظة للحرب والتأثيرات السلبية على القطاعين التجاري والاستثماري أدت إلى تفاقم المشكلات الاقتصادية التي كانت قائمة بالفعل:

- **الركود التضخمي في إسرائيل :** توقعات بتباطؤ النمو الاقتصادي وارتفاع معدل التضخم بسبب الإنفاق العسكري الكبير وتعطل الأعمال التجارية¹²⁸.

- **انخفاض الاستثمار الأجنبي في إسرائيل :** عدم الاستقرار السياسي والعسكري أدى إلى تراجع ثقة المستثمرين الأجانب في السوق الإسرائيلي، وهو ما يشكل تهديداً لبقاء النظام البيئي المحلي، حذر معهد RISE Israel في تقرير بحثي¹²⁹.

تحديات التطبيع الإقليمي

بعد توقيع اتفاقيات التطبيع مع دول عربية في السنوات الأخيرة، أثارت معركة طوفان الأقصى في 7 أكتوبر شكوكاً حول استمرارية هذه الاتفاقيات، خاصة مع تزايد الانتقادات العربية لإسرائيل:

- **ضغوط شعبية في الدول المطبوعة :** الدول العربية التي أقامت علاقات مع إسرائيل تواجه ضغوطاً داخلية من شعوبها التي تعارض العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، مما يضع تلك الحكومات في موقف حرج¹³⁰.

- **الانعكاسات على المشاريع الاقتصادية المشتركة :** التصعيد العسكري قد يؤثر على المشاريع الاقتصادية التي تم الاتفاق عليها بين إسرائيل وبعض الدول العربية، مثل مشاريع الطاقة والبنية التحتية¹³¹.

¹²⁷ <https://thenewkhalij.news/article/312595/ما-هو-مستقبل-التطبيع-الإسرائيلي-مع-دول-الخليج-بعد-حرب-غزة/>

¹²⁸ <https://www.haaretz.com/israel-news/2024-09-16/ty-article/.premium/yom-kippur-war-2-0-slow-growth-high-inflation-israel-is-facing-a-1970s-future/00000191-fbbc-da06-ab91-ffbfa080000>

¹²⁹ <https://www.timesofisrael.com/decline-in-investors-negative-sentiment-over-gaza-war-extremely-concerning-study/>

¹³⁰ <https://apnews.com/article/israel-palestinians-arab-normalization-agreements-0c4707ff246c0c25d1ca001f8b1e734a>

¹³¹ <https://www.chathamhouse.org/2024/01/economic-case-gaza-ceasefire>

الخلاصة :

تشكل معركة طوفان الأقصى لحظة مفصلية في تاريخ إسرائيل، حيث تواجه تحديات كبيرة تشمل الانقسامات الداخلية، والضغوط الاقتصادية، والتهديدات الأمنية، وتراجع الدعم الدولي، بالإضافة إلى مخاطر على مسار التطبيع الإقليمي.

ثانياً : التحديات العسكرية التي تواجه الإسرائيليين بعد معركة طوفان الأقصى

شكلت معركة طوفان الأقصى تصعيداً غير مسبوقاً في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، حيث تواجه إسرائيل عدة تحديات عسكرية جوهرية تؤثر على أمنها واستراتيجيتها الدفاعية:

- **تعدد الجبهات والتهديدات :** الهجوم الذي شنته الفصائل الفلسطينية كشف عن قدرة هذه الفصائل على تنفيذ عمليات نوعية ضد إسرائيل، مع احتمال تصاعد تهديدات من جبهات أخرى مثل حزب الله في لبنان، أو المجموعات المدعومة من إيران في سوريا واليمن. هذا يفرض على الجيش الإسرائيلي الاستعداد لمواجهة متعددة الجبهات¹³².
- **نقاط الضعف في الاستخبارات :** الفشل في رصد التحضيرات للهجوم أظهر ضعفًا استخباراتيًا خطيرًا. إسرائيل بحاجة لإعادة بناء قدراتها الاستخباراتية لتفادي مثل هذه المفاجآت مستقبلاً، مع تحسين التنسيق بين الأجهزة الأمنية.
- **إدارة الموارد العسكرية :** الضغط على الموارد العسكرية الإسرائيلية، سواء من حيث العنادر أو القوى البشرية، أصبح أكبر بسبب الحروب المتعددة. الحفاظ على جاهزية عسكرية عالية يتطلب تحسين إدارة الموارد وتوسيع عمليات التجنيد والاحتياط¹³³.
- **الضغط الدولي وتحديات الحرب المحدودة :** التحديات العسكرية لا تقتصر على الساحة القتالية فحسب، بل تشمل أيضاً إدارة الضغوط الدولية التي تفرض على إسرائيل قيوداً على استخدام القوة. الحرب المحدودة تُجبر إسرائيل على تحقيق أهدافها دون تصعيد مفرط يؤدي إلى إدانات دولية واسعة¹³⁴.

هذه التحديات تتطلب من إسرائيل تطوير استراتيجيات جديدة لمواجهة المخاطر المتزايدة، وضمان تفوقها العسكري في المنطقة.

¹³² <https://www.france24.com/en/live-news/20240603-israel-army-stretched-as-fighting-rages-on-multiple-fronts>

¹³³ <https://www.france24.com/en/middle-east/20240619-israeli-army-urgent-need-troops-amid-rising-casualties-in-gaza>

¹³⁴ <https://edition.cnn.com/2024/05/24/middleeast/israel-isolation-deepens-icj-gaza-rafah-analysis-intl/index.html>

التحديات الأمنية التي تواجه الإسرائيليين بعد معركة طوفان الأقصى

تعرضت إسرائيل بعد معركة طوفان الأقصى لتحديات أمنية معقدة تهدد استقرارها الداخلي والخارجي. وأبرز هذه التحديات تشمل:

- **الهجمات المتكررة من غزة والضفة الغربية** : قدرة الفصائل الفلسطينية على تنفيذ عمليات عسكرية نوعية ضد أهداف إسرائيلية، رغم الحصار والتحديات العسكرية، أظهرت ثغرات في المنظومة الأمنية الإسرائيلية. هذا يتطلب تعزيز الأمن على طول الحدود وإعادة تقييم استراتيجيات الردع¹³⁵.
- **تزايد التهديدات من الجبهة الشمالية** : في ظل اشتراك حزب الله في معركة طوفان الأقصى من خلال عمليات الإسناد التي قام بها في اليوم التالي من العملية، وبعد عملية اغتيال الأمين العام للحزب حسن نصر الله، تواجه إسرائيل خطر تصاعد الهجمات الصاروخية على مدن الشمال، مما يستدعي تكثيف الجهود الأمنية والاستخباراتية لرصد أي تحركات تهدد الأمن القومي.
- **الأمن الداخلي وارتفاع التوترات بين العرب واليهود داخل إسرائيل** : معركة طوفان الأقصى أثارت توترات بين المواطنين الفلسطينيين داخل الخط الأخضر والإسرائيليين، مما يزيد من خطر اندلاع أعمال شغب وأحداث عنف داخلي. هذا يتطلب من إسرائيل تعزيز أجهزة الأمن الداخلي والعمل على تهدئة الأوضاع بين السكان.
- **التهديدات الإلكترونية والهجمات السيبرانية** : تصاعدت الهجمات السيبرانية على البنية التحتية الحيوية لإسرائيل من قبل جهات غير حكومية ودول معادية. الحاجة إلى تعزيز أمن الفضاء الإلكتروني باتت أولوية للحفاظ على استقرار البنية التحتية والخدمات العامة¹³⁶.

هذه التحديات الأمنية تتطلب من إسرائيل إعادة هيكلة أنظمتها الأمنية والاستخباراتية لمواجهة المخاطر المتزايدة والحفاظ على أمنها في ظل بيئة إقليمية متوترة.

ثالثا : التحديات الاجتماعية والقانونية والقيمية التي تواجه الإسرائيليين بعد معركة طوفان الأقصى

واجهت إسرائيل بعد معركة طوفان الأقصى عدة تحديات اجتماعية وقانونية وقيمية أثرت على نسيجها الداخلي:

¹³⁵ <https://strategiecs.com/en/analyses/what-does-the-development-of-the-palestinian-armed-factions-capabilities-reflect>

¹³⁶ <https://www.darkreading.com/ics-ot-security/iran-oilrig-cyberattackers-target-israel-critical-infrastructure>

- التحديات الاجتماعية :

الحرب أدت إلى تفاقم الانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي. ازداد التوتر بين الفئات المختلفة مثل اليهود والعرب داخل إسرائيل، وظهرت خلافات بين المتدينين والعلمانيين حول سياسات الحكومة. كما أن الضغط النفسي الناتج عن الحرب والهجمات المتبادلة أدى إلى تصاعد القلق والخوف بين المواطنين، مما يزيد من تعقيد الوضع الاجتماعي.

- التحديات القانونية :

العدوان الإسرائيلي على غزة وعمليات جيش الاحتلال الإسرائيلي أثارت انتقادات دولية وداخلية تتعلق بانتهاك حقوق الإنسان. تواجه إسرائيل ضغوطاً قانونية من المجتمع الدولي ومنظمات حقوق الإنسان بسبب الاستخدام المفرط للقوة. بالإضافة إلى ذلك، تبرز تحديات قانونية داخلية تتعلق بمساءلة الحكومة والجيش حول القرارات المتعلقة بالحرب وإدارة الأزمة.

- التحديات القيمية :

الحرب وضعت المجتمع الإسرائيلي أمام تساؤلات حول قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان. ازدياد العمليات العسكرية والهجمات على المدنيين الفلسطينيين أثار جدلاً حول التوازن بين الأمن والإنسانية. كما تزايدت الأصوات التي تطالب بإعادة النظر في سياسات الحكومة تجاه الفلسطينيين وأثرها على القيم الديمقراطية التي يقوم عليها المجتمع الإسرائيلي.

هذه التحديات تتطلب مواجهة شاملة تأخذ في الاعتبار الحفاظ على التماسك الاجتماعي، التعامل مع الضغوط القانونية، وتوضيح القيم التي يجب أن تحكم العلاقة بين الأمن والعدالة.

المحور الثالث : التحديات التي تواجه مسار التسوية الفلسطينية، ومسار التطبيع، ومشروع الممر الهندي جزاء معركة طوفان الأقصى

أثرت معركة طوفان الأقصى على المشهد السياسي والاقتصادي في المنطقة بشكل عميق، متسببة في تحديات كبيرة لمسارات التسوية الفلسطينية، والتطبيع العربي-الإسرائيلي، والمشاريع الاقتصادية الكبرى مثل مشروع الممر الهندي الأوروبي. في هذا السياق، نستعرض أهم التحديات التي تواجه هذه المسارات نتيجة لهذه الحرب.

أولاً : التحديات التي تواجه مسار التسوية الفلسطينية

- انهيار الثقة بين الأطراف

بعد الحرب التي شنتها إسرائيل على قطاع غزة بعد طوفان الأقصى، انهارت الثقة بين الأطراف المشاركة في مسار التسوية الفلسطينية. فالهجمات المتبادلة بين المقاومة الفلسطينية في غزة وإسرائيل عززت الشكوك حول إمكانية التوصل إلى حل سلمي. الجانب الفلسطيني يرى أن إسرائيل تواصل سياسات الاستيطان والقمع، في حين ترى إسرائيل أن الفلسطينيين لا يمكن الوثوق بهم في أي عملية سلام.

- تزايد الانقسام الداخلي الفلسطيني

الحرب أدت إلى تعميق الانقسامات بين الفصائل الفلسطينية، وخاصة بين حركة حماس التي تقود قطاع غزة، والسلطة الفلسطينية التي تدير الضفة الغربية. هذا الانقسام يضعف أي موقف فلسطيني موحد يمكن أن يقود إلى مفاوضات جدية مع إسرائيل، ويجعل عملية التسوية أكثر تعقيداً.

- رفض الشارع الفلسطيني للتسوية

في أعقاب العدوان الإسرائيلي على غزة، تزايدت الأصوات في الشارع الفلسطيني الراضية لأي شكل من أشكال التسوية مع إسرائيل، خاصة في ظل استمرار الإبادة الجماعية التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما يعقد جهود السلطة الفلسطينية للعودة إلى طاولة المفاوضات ويجعل من الصعب تسويق أي تسوية قد تُقدم لاحقاً.

- التغيرات الدولية والإقليمية

الدعم الدولي للفلسطينيين، خاصة من الدول العربية وبعض الأطراف الدولية، بات متغيراً وغير مستقر بعد الحرب. في الوقت الذي تحاول فيه بعض الدول الضغط لإنهاء الصراع، فإن الدعم العملي للمفاوضات بات أقل تأثيراً.

ثانياً : التحديات التي تواجه مسار التطبيع العربي-الإسرائيلي

- ضغط الشارع العربي

رغم اتفاقيات التطبيع التي وقعتها إسرائيل مع عدد من الدول العربية، مثل الإمارات والبحرين والمغرب، فإن معركة طوفان الأقصى وضعت هذه الدول في موقف صعب. الشعوب العربية لا تزال تتعاطف مع القضية الفلسطينية، وأدى تصاعد العنف في غزة إلى احتجاجات وضغوط شعبية كبيرة على الحكومات العربية المطبوعة لإعادة النظر في علاقاتها مع إسرائيل¹³⁷.

الشرق-الأوسط/20240430-غزة-حكومات-عربية-تطبيع-مظاهرات-شعبية-فلسطينيون-حرب-<https://www.france24.com/ar/> دبلوماسية-إسرائيل

- تراجع التعاون الاقتصادي

أدت معركة طوفان الأقصى إلى تراجع ملحوظ في مستوى التعاون الاقتصادي بين إسرائيل والدول المطبوعة. الاستثمارات والمشاريع المشتركة قد تواجه تعثرًا بسبب عدم استقرار الوضع الأمني والسياسي في المنطقة. كما أن المستثمرين قد يترددون في المضي قدمًا في تنفيذ مشاريع طويلة الأمد في ظل تهديدات متزايدة للنزاع¹³⁸.

- تضرر العلاقات الدبلوماسية

الحرب ألحقت ضررًا بالعلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل والدول العربية التي وقعت اتفاقيات التطبيع. قد تسعى بعض الدول إلى تخفيف وتيرة التعاون الدبلوماسي، أو تجميد بعض المشاريع المشتركة، في محاولة للتعامل مع الضغوط الداخلية واحتواء الغضب الشعبي¹³⁹.

- تأثير الحروب المتكررة على استدامة التطبيع

التصعيدات العسكرية المستمرة، مثل حرب 7 أكتوبر، تشكل تهديدًا لاستدامة مسار التطبيع. كلما تجددت المواجهات العسكرية بين إسرائيل والفلسطينيين، ازداد الضغط على الدول العربية للتراجع عن تطبيعها مع إسرائيل، مما يهدد بانتهاء هذا المسار على المدى الطويل.

ثانيًا : التحديات التي تواجه مشروع الممر الهندي الأوروبي

- عدم استقرار المنطقة

مشروع الممر الهندي الأوروبي، الذي يهدف إلى ربط الهند بأوروبا عبر الشرق الأوسط، يتطلب استقرارًا سياسيًا وأمنيًا في المنطقة لتنفيذه بنجاح. الحرب بين إسرائيل وحماس أدت إلى تصاعد التوترات في المنطقة، مما قد يؤثر على خطط تنفيذ هذا المشروع. كما أن عدم استقرار الأوضاع الأمنية في الشرق الأوسط يجعل من الصعب جذب الاستثمارات والمضي قدمًا في مثل هذه المشاريع الكبرى¹⁴⁰.

- تأثير النزاعات على البنية التحتية

الدمار الذي نتج عن الحرب في البنية التحتية في غزة وأجزاء أخرى من فلسطين قد يعطل التخطيط لمشاريع النقل والطاقة التي يُفترض أن يشملها الممر الهندي الأوروبي. أي مشروع نقل كبير يتطلب بنية تحتية مستقرة وأمنة، وهو أمر يصعب تحقيقه في ظل تصاعد الصراعات الإقليمية.

¹³⁸ <https://www.alhurra.com/israel-hamas-war/2023/10/25/?التطبيع-العربية>

¹³⁹ <https://www.aljazeera.net/politics/2023/11/2/كيف-أصابت-الحرب-على-غزة-الدبلوماسية>

¹⁴⁰ <https://dimensionscenter.net/storage/mshroaa-almmr-alhndy-alaoroby-alnsha-oalttor-oaldor-alasrayly/2-ممر-الهند-compressed.pdf>

- التأثير السلبي على الشركاء الإقليميين

الدول المشاركة في مشروع الممر الهندي الأوروبي، مثل الإمارات والسعودية، تواجه تحديات في الاستمرار في التعاون مع إسرائيل في ظل تصاعد الغضب الشعبي ضد الهجمات على الفلسطينيين. قد يؤدي هذا إلى تأجيل أو إلغاء بعض المشاريع المشتركة المرتبطة بالممر، مما يقلل من فعالية المشروع ويحد من نجاحه.

- تقلبات العلاقات الدولية

التوترات الإقليمية الناتجة عن حرب 7 أكتوبر تجعل من الصعب على الدول الكبرى، مثل الولايات المتحدة والهند، الحفاظ على استقرار العلاقات مع الأطراف المعنية في المشروع. هذه التقلبات في العلاقات الدولية قد تعيق التقدم في تنفيذ المشروع أو تأجيله لفترات طويلة.

الخلاصة:

معركة طوفان الأقصى أحدثت تغييراً جوهرياً في المشهد السياسي والاقتصادي في الشرق الأوسط، مما أثر بشكل كبير على مسار التسوية الفلسطينية، التطبيع العربي-الإسرائيلي، ومشروع الممر الهندي الأوروبي. التحديات السياسية والاجتماعية والقانونية التي نتجت عن الحرب تعقد جهود تحقيق السلام والتعاون الإقليمي، وتتطلب حلولاً مبتكرة وشاملة لمواجهتها.

الفرص المتاحة لدى الفلسطينيين جرّاء معركة طوفان الأقصى وإمكانيات تعزيزها

شكلت معركة طوفان نقطة تحول كبيرة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي. رغم التحديات الكبيرة التي واجهها الفلسطينيون خلال هذه الحرب، إلا أن هناك مجموعة من الفرص السياسية والإستراتيجية التي يمكن استثمارها لتعزيز الموقف الفلسطيني على المدى القريب والبعيد.

تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية

واحدة من أبرز الفرص التي أتاحتها الحرب هي تعزيز الوحدة الوطنية. رغم الانقسامات السياسية بين حركتي فتح وحماس وباقي الفصائل الفلسطينية، إلا أن الحرب أكدت ضرورة الوحدة في مواجهة التحديات. المقاومة الفلسطينية في غزة استطاعت كسب تأييد كبير في الشارع الفلسطيني في الضفة الغربية وداخل الأراضي المحتلة عام 1948. هذه اللحظة توفر فرصة لجمع الفصائل الفلسطينية المختلفة حول موقف موحد يخدم المصالح الوطنية الفلسطينية.

كيفية تعزيزها:

- إطلاق حوار وطني شامل بين الفصائل الفلسطينية لإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية على أسس جديدة تضم جميع الأطراف.

- وضع إستراتيجية موحدة تجمع بين المقاومة المسلحة والعمل السياسي والدبلوماسي.

زيادة الدعم الدولي للقضية الفلسطينية

خلال الحرب، شهد العالم تصاعدًا في الاهتمام الدولي بالقضية الفلسطينية، سواء من خلال التغطية الإعلامية أو الحراك الشعبي الداعم للفلسطينيين في العديد من الدول. التصعيد الإسرائيلي ضد المدنيين الفلسطينيين دفع بعض الدول والمنظمات الدولية إلى مطالبة إسرائيل بوقف الاعتداءات، مما يفتح المجال لتعزيز التحرك الفلسطيني على الساحة الدولية.

كيفية تعزيزها:

- تفعيل الدبلوماسية الفلسطينية في الأمم المتحدة والمحافل الدولية لتقديم ملف جرائم الحرب الإسرائيلية للمحكمة الجنائية الدولية.
- تكثيف العمل مع المنظمات الحقوقية الدولية لتوثيق الانتهاكات الإسرائيلية.
- استثمار الزخم الشعبي العالمي لفرض عقوبات أو ضغوط دبلوماسية على إسرائيل.

إعادة طرح القضية الفلسطينية على الأجندة الإقليمية

عركة طوفان الأقصى أعادت القضية الفلسطينية إلى صدارة الاهتمام الإقليمي، خاصة في ظل التطورات المرتبطة باتفاقيات التطبيع بين إسرائيل وعدد من الدول العربية. الشعوب العربية، التي ظلت متعاطفة مع القضية الفلسطينية، أبدت ردود فعل قوية ضد التطبيع أثناء الحرب، مما يمثل فرصة لإعادة تقييم هذه العلاقات والضغط على الحكومات العربية لمراجعة مواقفها.

كيفية تعزيزها :

- العمل على توحيد الصف العربي والإسلامي من خلال استثمار الغضب الشعبي ضد الاحتلال الإسرائيلي.
- دعوة الدول العربية المطبوعة إلى إعادة النظر في اتفاقياتها مع إسرائيل وربطها بتحقيق تقدم ملموس في القضية الفلسطينية.
- تعزيز التنسيق مع الدول الداعمة للقضية الفلسطينية مثل الجزائر وقطر، واستثمار دور هذه الدول في التحركات السياسية الإقليمية.

- تقوية المقاومة الشعبية والمسلحة

أظهرت معركة طوفان الأقصى قوة المقاومة الفلسطينية المسلحة، وهو ما أعاد الثقة لدى الكثير من الفلسطينيين والعرب بقدرة المقاومة على مواجهة الاحتلال. هذا الأمر يفتح الباب أمام تعزيز المقاومة الشعبية، سواء من خلال المظاهرات والاحتجاجات أو حملات المقاطعة.

كيفية تعزيزها :

- تنظيم حملات مقاطعة اقتصادية لإسرائيل على المستويين المحلي والدولي.
- دعم المقاومة الشعبية السلمية في الضفة الغربية من خلال التنسيق بين الفصائل والنشطاء.
- تعزيز الروح النضالية لدى الشباب الفلسطيني وتدريبهم على وسائل المقاومة المدنية والحقوقية.

الخلاصة :

حرب السابع من أكتوبر وقرت للفلسطينيين فرصًا استراتيجية لتعزيز وحدتهم الوطنية، وزيادة الدعم الدولي لقضيتهم، وإعادة طرح قضيتهم في المحافل الإقليمية، وتقوية المقاومة بمختلف أشكالها. لتعظيم هذه الفرص، ينبغي توحيد الجهود السياسية والدبلوماسية والميدانية، والعمل على صياغة استراتيجية فلسطينية شاملة تستجيب للتحديات والمتغيرات الراهنة.

المحور الرابع : الفرص المتاحة لدى الإسرائيليين (الحكومة والمعارضة) جرّاء حرب السابع من أكتوبر 2023

شكلت معركة طوفان الأقصى تحديًا كبيرًا للحكومة الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلي ككل. ومع ذلك، فإن الحرب أتاحت مجموعة من الفرص السياسية والعسكرية التي يمكن لكل من الحكومة الإسرائيلية والمعارضة استغلالها لتعزيز مواقعهم وتحقيق أهدافهم.

- تعزيز الوحدة الوطنية وتجاوز الانقسامات الداخلية

الحرب وفرت فرصة للحكومة الإسرائيلية لتعزيز الوحدة الوطنية في مواجهة عدو مشترك، بعد فترة طويلة من الانقسامات السياسية الحادة، خاصة حول الإصلاحات القضائية المثيرة للجدل التي اقترحتها حكومة بنيامين نتنياهو. التصعيد العسكري الكبير وقرّ للحكومة إمكانية تحويل الأنظار عن الصراعات الداخلية وتوجيه الرأي العام نحو التركيز على القضايا الأمنية.

- تحسين صورة الحكومة على الصعيد الداخلي

رغم الانتقادات التي وجهت للحكومة الإسرائيلية بسبب عدم جاهزيتها الكاملة للتعامل مع الهجمات المباغتة، إلا أن حكومة نتنياهو يمكن أن تستغل هذه الحرب لتعزيز صورتها كمدافع أول عن أمن إسرائيل. العمليات العسكرية الواسعة قد تمنح الحكومة فرصة لاستعادة دعم الجمهور الذي يعوّل على القادة في تحقيق الأمن والاستقرار.

- إعادة تأكيد الردع الإسرائيلي

إسرائيل تسعى دائماً إلى الحفاظ على تفوقها العسكري وردع أعدائها. وفرت طوفان الأقصى فرصة لإسرائيل لإعادة تأكيد هذا الردع أمام المقاومة الفلسطينية وحلفائها الإقليميين مثل حزب الله وإيران. النجاح في إدارة هذه الحرب يمكن أن يعزز صورة إسرائيل كقوة عسكرية إقليمية قادرة على التعامل مع التهديدات المتزايدة.

- تقوية العلاقات الدولية والإقليمية

رغم الانتقادات الدولية لحرب السابع من أكتوبر، فإن الحكومة الإسرائيلية ترى في هذا التصعيد فرصة لتعزيز علاقاتها مع الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، التي تدعم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها. كما أن الحرب قد تفتح المجال لتقوية التعاون الأمني مع الدول العربية المطبوعة، التي تشترك مع إسرائيل في القلق من التهديدات الإقليمية المشتركة.

- فرص المعارضة لتقديم بدائل سياسية

الحرب تتيح للمعارضة الإسرائيلية فرصة لتقديم بدائل سياسية وأمنية للحكومة الحالية، خصوصاً إذا استمرت الانتقادات حول فشل الحكومة في التنبؤ بالهجمات أو التعامل معها بفعالية. يمكن للمعارضة استخدام الحرب لتعزيز حضورها كصوت معارض قوي يقدم حلولاً أمنية وسياسية بديلة.

الخلاصة:

رغم الصعوبات التي واجهتها إسرائيل في حرب السابع من أكتوبر، إلا أن هذه الحرب تفتح عدة فرص للحكومة لتعزيز وحدتها الداخلية، وللمعارضة لتقديم بدائل سياسية. كما أنها توفر لإسرائيل فرصة لتعزيز الردع العسكري وتقوية علاقاتها الدولية والإقليمية.

النتائج:

تُشير الدراسة إلى وجود مجموعة من التحديات التي واجهت الفلسطينيين جراء معركة طوفان الأقصى والتي تمثل أهمها في الهجوم الإسرائيلي الوحشي ضد الفلسطينيين في كافة أماكن تواجدهم، مثلما كان هناك حالة من الخذلان العالمي رغم وجود بوادر للدعم لكنها كانت غير قادرة في التأثير على صانع القرار الداعم لإسرائيل في أمريكا وأوروبا، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي عانى منها الفلسطينيون في غزة والضفة والخط الأخضر.

لكن ورغم ما سبق هنالك مجموعة من الفرص يمكن الاستثمار فيها، وما زالت متاحة في الحالة الفلسطينية، كوجود حالة من التضامن الشعبي العالمي التي يمكن من خلالها تعزيز وجود القضية الفلسطينية، كما أكدت معركة طوفان الأقصى على حتمية الصراع التاريخي مع الاحتلال حتى التحرر.

أما بالنسبة لإسرائيل، فرغم تفوقها العسكري والتكنولوجي إلى أن الإشارة التي يُمكن التقاطها بعد هذه الحرب تمثلت بالقلق الوجودي الذي تعاني منه، وعدم قدرتها حتى رغم كل وحشيتها على إثبات استقرارها بعد عقودٍ طويلة من تأسيسها، وأنها دولة محض رعاية أمريكية، وهذا يطرح تساؤلاً مهماً إلى أي مدى يُمكن أن تبقى الولايات المتحدة الأمريكية حامية لإسرائيل؟ وماذا إذا تغيرت المعادلة الدولية.

المراجع

- التدايعات والمآلات المحتملة لعملية طوفان الأقصى، مجموعة الحوار الفلسطيني، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط التالي: <https://paldg.co/?p=2344>
- الاونكتاد، الاقتصاد الفلسطيني في حالة خراب بعد الحرب على غزة، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط: <https://news.un.org/ar/story/2024/09/1134396>
- الجزيرة، تهجير سكان غزة وجولة من صراع الديمغرافيا، لمزيد من المعلومات، أنظر الرابط التالي:
<https://www.aljazeera.net/politics/2024/3/2/%D8%AA%D9%87%D8%AC%D9%8A%D8%B1-%D8%B3%D9%83%D8%A7%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9-%D8%AC%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%85%D9%86-%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9>
- * <https://www.arab48.com/-/بداية-الكبير-الإخفاق-26/10/2023/> مقالات-وآراء/أرأي/26/10/2023/الأزمات-الداخلية-في-إسرائيل
- * <https://www.aljazeera.net/news/2023/9/10/تجدد-الاحتجاجات-ضد-التعديلات>
- * <https://www.wafa.ps/pages/details/98252>
- * <https://thenewkhalij.news/article/312595/-/ما-هو-مستقبل-التطبيع-الإسرائيلي-مع-دول-الخليج-بعد-حرب-غزة>
- * <https://www.haaretz.com/israel-news/2024-09-16/ty-article/.premium/yom-kippur-war-2-0-slow-growth-high-inflation-israel-is-facing-a-1970s-future/00000191-fbbc-da06-ab91-ffbfa080000>
- * <https://www.timesofisrael.com/decline-in-investors-negative-sentiment-over-gaza-war-extremely-concerning-study/>
- * <https://apnews.com/article/israel-palestinians-arab-normalization-agreements-0c4707ff246c0c25d1ca001f8b1e734a>
- * <https://www.chathamhouse.org/2024/01/economic-case-gaza-ceasefire>

- * <https://www.france24.com/en/live-news/20240603-israel-army-stretched-as-fighting-rages-on-multiple-fronts>
- * <https://www.france24.com/en/middle-east/20240619-israeli-army-urgent-need-troops-amid-rising-casualties-in-gaza>
- * <https://edition.cnn.com/2024/05/24/middleeast/israel-isolation-deepens-icj-gaza-rafah-analysis-intl/index.html>
- * <https://strategiecs.com/en/analyses/what-does-the-development-of-the-palestinian-armed-factions-capabilities-reflect>
- * <https://www.darkreading.com/ics-ot-security/iran-oilrig-cyberattackers-target-israel-critical-infrastructure>
- * [الشرق-الأوسط/20240430-غزة-حكومات-عربية-تطبيع-إسرائيل-مظاهرات-شعبية-فلسطينيون-حرب-دبلوماسية-إسرائيل](https://www.france24.com/ar/الشرق-الأوسط/20240430-غزة-حكومات-عربية-تطبيع-إسرائيل-مظاهرات-شعبية-فلسطينيون-حرب-دبلوماسية-إسرائيل)
- * [الحرب-ما-مصير-اتفاق-إبراهيم-وموقف-دول-التطبيع-العربية؟](https://www.alhurra.com/israel-hamas-war/2023/10/25/-الحرب-ما-مصير-اتفاق-إبراهيم-وموقف-دول-التطبيع-العربية؟)
- * [كيف-أصابت-الحرب-على-غزة-الدبلوماسية](https://www.aljazeera.net/politics/2023/11/2/-كيف-أصابت-الحرب-على-غزة-الدبلوماسية)
- * <https://dimensionscenter.net/storage/mshroaa-almmr-alhndy-alaoroby-alnsha-oalttor-oaldor-alarayyly/2-الهند-ممر-compressed.pdf>

المحور الرابع طوفان الأقصى: ملامح المعركة وآفاقها

أ. كريم قرط

باحث في مؤسسة بيوس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، رام الله

ملخص :

تنقسم هذه الورقة إلى قسمين أساسيين، يركز أولها على دراسة ملامح معركة طوفان الأقصى لفهم طبيعتها واختلافها عن سابقتها مع جولات الصراع مع العدو الإسرائيلي.

ويناقش هذا القسم، الأثر العسكري والأمني والمعنوي الذي أوقعته العملية في دولة الاحتلال، وأسباب تحول المعركة إلى حرب إبادة جماعية ضد الشعب الفلسطيني من جانب، وتحولها إلى حرب استنزاف طويلة الأمد على الاحتلال من جانب آخر.

إذ إن الاحتلال يسعى إلى تحقيق عدة أهداف من وراء حملة الإبادة الجماعية والحصار والتدمير في قطاع غزة، وهي أهداف غير الأهداف المعلنة للحرب، ومن أهمها تحويل صورة إسرائيل المهزومة في السابيع من أكتوبر إلى صورة إسرائيل الباطشة التي على الجميع الخوف منها، وأيضا محاولة تهجير الفلسطينيين في قطاع غزة من خلال إنهاء أي مقوم من مقومات الحياة، وكي وعي الشعب الفلسطيني لترك المقاومة والقبول بكل الخطط الإسرائيلية لتصفية القضية الفلسطينية.

من ناحية أخرى، مع عجز الاحتلال عن القضاء على المقاومة الفلسطينية ودخول جبهات الإسناد على خط المواجهة فقد تحولت الحرب إلى حرب استنزاف للاحتلال باهظة التكاليف المادية والاقتصادية والمعنوية. وقد كان دخول جبهات الإسناد أحد العلامات الفارقة في مسار المواجهة مع الاحتلال في هذه المعركة، فهو أمر غير معهود في كل جولات الصراع السابقة، وهي ذات تأثير كبير في مجريات الحرب، غير أنها لم تكن كفيلة بوقف الإبادة الجماعية في قطاع غزة. ويعود السبب في ذلك إلى أن المعركة قد تحولت إلى صراع على مستقبل الإقليم وليس فقط حول قطاع غزة.

أما القسم الثاني من الورقة فقد خصص لمحاولة استشراف آفاق معركة طوفان الأقصى، مع توضيح الكاتب أن محاولة الاستشراف تظل مسألة نسبية لأسباب كثيرة منها أن الحرب ما زالت مستمرة وتتوسع أكثر فأكثر مع مرور الوقت. غير أن هناك بعض الآفاق التي يمكن تلمسها من أهمها الأثر المتوقع لانتهيار السردية الإسرائيلية في العالم وتحول النظرة إليها من واحة الديمقراطية في المنطقة إلى كيان استعماري يمارس الإبادة الجماعية خاصة في المجتمعات الغربية وهو ما سيكون له أثر مستقبلي واضح.

وأیضا بات واضحا أن الصراع أصبح على مستقبل المنطقة بين تيارين، تيار تقوده الولايات المتحدة وتستخدم دولة الاحتلال لتنفيذه، وتيار آخر عريض رافض للمشروع الأمريكي يشمل عددا من الدول وحركات المقاومة وحركات شعبية وسياسية وتوجهات فكرية مختلفة.

وضمن ذلك، فقد تراجع زخم الخلاف السني الشيعي، وقد عادت القوى الثورية والإسلامية لتكتسب ثقة الشارع العربي لانحيازها للقضية الفلسطينية ودعمها، وهذا الأمر قد يكون له انعكاسات مهمة على عدد من القضايا في المنطقة والإسهام في حلها.

تمهيد :

قبل الخوض في البحث ومحاولة استشراف المستقبل، لا بد من الإشارة إلى أن هذه الدراسة تكتب بعد عام على عملية "طوفان الأقصى"، وما زالت رحي الحرب دائرة منذ 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، وبطبيعة الحال فإن التطلع إلى النتائج النهائية والتحويلات المستقبلية المترتبة عليها هي عملية صعبة وغير يقينية والحرب لم تضع أوزارها بعد. ولذلك، فإن تناول هذا الموضوع هو أشبه بالسير في الرمال المتحركة، فالتحويلات متسارعة ومتغيرة بشدة وبعضها يناقض بعضا.

فبالمقارنة مع معارك سابقة خاضتها المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي، كان يمكن الخروج باستشراف معقول لقادم الأحداث، وذلك لقصر مدة المواجهة ومحدودية نطاقها ومداهما وتطوراتها. وهذا ما كان صحيحا فيما يتعلق بعملية "سيف القدس" في مايو/أيار 2021، التي استمرت 11 يوما فقط وانحصر نطاقها، عسكريا، في قطاع غزة واقتصر فقط على عمليات قصف صاروخي في الغالب وعمليات استهداف لأليات الاحتلال على تخوم القطاع دون الوصول إلى عملية برية وقتال مباشر. غير أن تلك المعطيات لم تحل دون التوصل إلى استشرافات خاطئة فيما يتعلق بمستقبل المواجهة مع الاحتلال، خاصة فيما يتعلق بفكرة "وحدة الساحات الفلسطينية". فقد أثبتت المواجهة الحالية أن تلك الوحدة لم تكن تحصيل حاصل، وأن ما حدث عام 2021 من هبة شعبية فلسطينية في أراضي 48 والقدس، والصفة الغربية إلى حد ما، لم يتكرر مع عملية طوفان الأقصى، وأن تلك الحالة كانت لها سياقات خاصة مرتبطة بحالة التصعيد التي كانت تتخمر منذ أشهر.

لذلك، فإن عملية استشراف المستقبل وتلمس ملامح المراحل القادمة تظل عملية نسبية تخضع للتغير والمراجعة تبعا لتغير الظروف والعوامل التي تبنى عليها التحليلات. وهذه النسبية تتضاعف، في حالة "طوفان الأقصى" تحديدا، لأن الحرب ما زالت مستمرة بشكل أساسي، ولأن التطورات المرتبطة بها شديدة الحركية. لمزيد من التوضيح، عقب عملية "الوعد الصادق" الإيرانية في 13 إبريل/نيسان 2024، ردا على استهداف الاحتلال الإسرائيلي للقنصلية الإيرانية في دمشق، كانت التحليلات تشير إلى أن إيران قد هيمنت على مسار التصعيد وحققت توازن الردع،¹⁴¹ خاصة عقب الرد الإسرائيلي الباهت جدا على العملية. غير أن هذا الاستنتاج قد تغير كلية بعد إقدام الاحتلال على اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في طهران في 31 يوليو/تموز 2024، وتراجع إيران "تكتيكيا" عن الرد على عملية الاغتيال، بعد أن كانت هددت به. وهنا انقلب الحال، بحيث أصبحت دولة الاحتلال هي من تهيمن على التصعيد وعدلت ميزان الردع لكفتها (هذا الكلام صحيح حتى تاريخ كتابة الورقة في شهر سبتمبر/أيلول 2024). ولكن إن أقدمت إيران على الرد، فإن التحليلات ستتغير بناء على حجم الرد وتأثيره ورد الفعل الإسرائيلي.

هذا مجرد مثال على البيئة المتحركة والمتقلبة التي تحيط بعملية التحليل والاستشراف التي ترافق عملية "طوفان الأقصى" منذ بدايتها. ولذلك فإن ما سيرد في هذه الورقة سيمتاز بالنسبية المتأثرة بعوامل عدة من أهمها استمرارية الحرب ومدى توسعها والتحويلات المرتبطة بسلوك الفاعلين فيها.

تهدف هذه الورقة، إلى محاولة فهم المآلات التي ستترتب على عملية طوفان الأقصى، بناء على المعطيات المتوفرة حتى اللحظة، فيما يتعلق بمستقبل القضية الفلسطينية ومستقبل المقاومة والصراع العربي –

¹⁴¹ مايكل يونغ، إيران تشن هجوماً على إسرائيل ردًا على قتلها قادة في فيلق القدس، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، 2024/4/15:

<https://linkshortcut.com/pblkq>

الإسلامي مع العدو الإسرائيلي، والتحولت التي أفرزتها على مستوى الاحتلال داخليا ومكانته إقليميا وعلى مستوى الإقليم والمنطقة. وضمن ذلك، وكقدمة له، سنتطرق الورقة إلى محاولة مفهمة "طوفان الأقصى" كمعركة فلسطينية عربية لها سمات ومميزات خاصة ضمن سياق إقليمي ودولي يشهد صراعا على مستقبل المنطقة.

سمات عملية "طوفان الأقصى" وملامحها

كان لعملية طوفان الأقصى وما تلاها من حرب إبادة جماعية في قطاع غزة ارتدادات على مستوى الإقليم والعالم، مع تحول القضية الفلسطينية وحرب الإبادة في غزة إلى قضية الساعة التي يتجاذبها الناس في العالم كله. ورغم أن كيان الاحتلال منذ نشأته قد خاض حروبا وشن اعتداءات متواصلة ضد الدول العربية والشعب الفلسطيني، إلا أن عملية "طوفان الأقصى" تختلف عن كل ما سبقها من جولات في إطار الصراع العربي - الإسرائيلي. فهي المعركة الأولى التي تبادر لها قوة عربية غير نظامية من خلال ضربة استباقية خاطفة تستهدف أراض داخل عمق أراضي عام 1948 المحتلة. وهذا الأمر لا سابقة له في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، حتى في حرب 1973، لم تهاجم الجيوش العربية أراضي العمق الفلسطيني المحتل، وإنما أراضي سورية ومصر المحتلة عام 1967، وظل العمق الإسرائيلي بعيدا عن الحرب.

بعيدا عن عدد قتلى الاحتلال في يوم السابع من أكتوبر، الذي ادعى الاحتلال في البداية أنه كان 1400 قتيلا ثم عاد ليخفض الرقم إلى 1200 لأن أكثر من 200 جثة متفحمة كانت لشهداء فلسطينيين،¹⁴² وبعيدا عن سيل الأكاذيب التي صاغها الاحتلال حول الحدث كحوادث الاغتصاب وقتل الأطفال وما إلى ذلك،¹⁴³ فإن الضربة الأقسى التي تلقاها الاحتلال، التي كانت هي أيضا محفز الرغبة في الانتقام الممزوج بالقلق الوجودي؛ هي فكرة تمكن بضعة مئات من المقاومين الفلسطينيين من هزيمة التفوق العسكري والتكنولوجي الإسرائيلي الذي هو صمام أمان المشروع الصهيوني واستمراريته في العقل الجمعي الصهيوني.

ولعل هذا الأمر أحد أسباب حرب الإبادة الجماعية التي تشنها دولة الاحتلال ضد قطاع غزة وأهله، عقب عملية طوفان الأقصى، فالهجوم الذي استهدف أراضي 48 قد شكل سابقة وبعث بارقة أمل بإمكان هزيمة الاحتلال وتحرير الأراضي العربية تحريرا حقيقيا بالقوة العسكرية، وغير المتفوقة أيضا. ولذلك تريد أن تبدل صورة الهزيمة النكراء في السابع من أكتوبر بصورة التدمير والإبادة في قطاع غزة، حتى لا يجرأ أحد على تكرار ذلك الحدث.

ويرى ساري عرابي أن عملية طوفان الأقصى كانت ثورة، تشكل امتدادا للثورة الفلسطينية المعاصرة. غير أنه يرى أنها تختلف عنها من ناحية أنه "كانت هنالك دوما قواعد وسقوف حرصت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية على عدم تجاوزها بحجة عدم منح «إسرائيل» ذرائع للهجوم على الفلسطينيين، وأن تبقى دائما نوافذ للحوار مع الأمريكيين ومع النظام العربي الرسمي". ولكنه يرى أن ما حصل في السابع من أكتوبر "كان كسرا لكل هذه القواعد وتجاوزا لكل المخاوف من الذرائع وتجاوزا لكل الحرص على أي علاقات مع النظام الدولي أو مع النظام الإقليمي العربي لأن كل تلك القواعد سواء أكانت قواعد النقاش السياسي أو قواعد الفعل النضالي لم تفض إلا إلى تكبير الفلسطينيين والوصول بنا إلى حالة الانسداد التاريخي".¹⁴⁴

¹⁴² إسرائيل تخفض حصيلة القتلى جراء هجوم حماس في 7 أكتوبر إلى 1200 شخص، القدس العربي، 2023/11/10:

<https://linksshortcut.com/DPVFN>

¹⁴³ أبرز أكاذيب الاحتلال حول المقاومة الفلسطينية، العربي الجديد، 2023/11/21: <https://linksshortcut.com/pzUoI>

¹⁴⁴ ساري عرابي، ثورة السابع من أكتوبر: غزة وأفاق المعركة، حبر، 2024/1/14: <https://linksshortcut.com/LLvTR>

أي بمعنى آخر، لم تؤدي كل التنازلات الفلسطينية والتعويل على أطراف دولية وإقليمية إلا إلى مزيد من الخسائر الفلسطينية، سواء من الناحية الفعلية عبر القضم المستمر للأراضي والاستيطان والسير في عملية الضم لما تبقى من الأراضي الفلسطينية، أم من الناحية السياسية حيث وصلت القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة إلى مرحلة من الاندثار والتجاوز والتهميش بفضل التطبيع العربي مع إسرائيل وانشغال العالم كله عن مأساة الشعب الفلسطينية. وقد كنا وضحنا هذه الأمور في المبحث الأول من هذا البحث الذي يناقش سياقات عملية طوفان الأقصى. ولذلك، فإن طوفان الأقصى كانت ثورة شعب وانفجاره بعد ما وصل إلى مرحلة من انسداد الأفق وهو يشاهد تسارع محاولات تصفيته وإنهاء وجوده ماديا وسياسيا.

ما جعل هذه العملية تشكل ضربة استراتيجية لدولة الاحتلال، سواء على المستوى المادي أم على مستوى الوعي، هو أنها حطمت أسطورة "الجدار الحديدي"، لدى الاحتلال التي بنيت عليها عقيدته الأمنية والعسكرية في مواجهة الدول العربية والشعب الفلسطيني. وتعود هذه الفكرة إلى زئيف جابوتنسكي الأب الروحي لليمين الإسرائيلي، في مقاله "الجدار الحديدي" الذي خطه عام 1923، وفي مقدمته اعترف جابوتنسكي بأن الشعب الفلسطيني لن يسلم بوجود الاستعمار، معتبرا أنه حتى أكثر الشعوب بدائية لا تقبل بوجود الاستعمار، والشعب الفلسطيني لا يختلف عن هذه القاعدة. كما عارض الزعم الصهيوني القائل بأنه يمكن تحقيق المشروع الصهيوني بالتفاهم مع الدول العربية، وتجاوز الشعب الفلسطيني، لأن المشكلة تظل هي معارضة الشعب الفلسطيني للمشروع الصهيوني. لذلك يرى أنه لا يمكن تنفيذ المشروع الصهيوني دون القضاء على معارضة الشعب الفلسطيني، الذي لن يكف عن مقاومة المشروع الصهيوني إلا إذا اقتنع أنه لا يمكن مقاومته¹⁴⁵. إذ أن الشعب الفلسطيني حسب ما قال جابوتنسكي لا يمكن أن يصل إلى هذه القناعة إلا بوجود قوة عسكرية فائقة، تكون بمنزلة "الجدار الحديدي"، الذي يعجز الفلسطينيون عن مقاومته. والمهم في هذا الإطار هو الأثر النفسي للجدار الحديدي، فقناعة الفلسطينيين بعدم قدرتهم على مواجهة دولة الاحتلال ستشكل قوة ردع إسرائيلية تجاههم، تجعلهم يتوقفون ذاتيا عن مقاومة المشروع الصهيوني.¹⁴⁶ وقد ظل المشروع الصهيوني يسير على هدي هذه الفكرة في تعامله مع الدول العربية والشعب الفلسطيني، ومن ذلك اهتمام دولة الاحتلال في مسألة التفوق العسكري النوعي على الدول العربية مجتمعة، ولذلك مثلا عارضت امتلاك أي من الدول العربية، سواء المعادية لها أم المتجهة للتطبيع معها، للسلاح النووي أو حتى مشروع نووي مستقل.¹⁴⁷

في عملية طوفان الأقصى هدمت المقاومة أسطورة الجدار الحديدي من عدة نواح، أهمها أنها أثبتت أن الشعب الفلسطيني متمسك بالمقاومة حتى استرجاع حقوقه ولا تشكل القوة العسكرية الإسرائيلية الفائقة رادعا له. وسبب ذلك أن الخيارات المتاحة أمامه قليلة جدا، فإما أن يستسلم كلية للمشروع الصهيوني ويقبل بتصفية القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني وإما أن يقاوم في سبيل منع ذلك المصير.

من ناحية أخرى، تمكنت المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى من إسقاط العقيدة الأمنية الإسرائيلية بأركانها الأساسية الثلاثة، من ردع، وإنذار مبكر، والحسم أيضا. إذ أن جيش الاحتلال، رغم عدواناته المتكررة ضد قطاع غزة لم يتمكن من ردع المقاومة عن تطوير قدراتها العسكرية ولم يمنعها من تنفيذ عملية طوفان الأقصى. كما أنه فشل في توقع الهجوم أو معرفته، سواء من حيث توقيتته أو طبيعته، قبل حدوثه. وأيضا خلال أشهر الحرب الطويلة فشل الاحتلال في مبدأ الحسم السريع، فما زالت المقاومة الفلسطينية تقاوم وتقاتل وتقاوم بعد مرور سنة كاملة على الحرب، وما زال العدو غير قادر على حسم المعركة. إضافة إلى ذلك، فإن المقاومة الفلسطينية تمكنت من إسقاط وهم التفوق التكنولوجي لدى الاحتلال

¹⁴⁵ ينظر: نبيه بشير، قراءة جديدة لعقيدة الجدار الحديدي، قضايا إسرائيلية، قضايا إسرائيلية ع 69 (2018)، ص ص. 40.

¹⁴⁶ المرجع السابق، ص 51.

¹⁴⁷ شادي محسن، صراع الحسابات: الموقف الإسرائيلي من المشروع النووي السعودي، المركز المصري للفكر والدراسات الاستراتيجية،

[/https://ecss.com.eg/37122](https://ecss.com.eg/37122): 2023/10/8

بتمكنا، عبر استخدام أدوات بسيطة، من خداعه وتعميته عن استعداداتها وأهدافها والتغلب على كل منظوماته التكنولوجية، التي أحاط بها قطاع غزة والتي يستخدمها في إطار الرقابة والتجسس.¹⁴⁸

حرب إبادة واستنزاف

سرعان ما تحولت المواجهة مع الاحتلال إلى حرب إبادة جماعية يشنها جيش الاحتلال على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، أدت، حتى أواخر شهر سبتمبر/أيلول 2024، إلى استشهاد ما يربو على 41 ألف شهيد، جلهم من الأطفال والنساء، وأدت أيضا إلى إصابة ما يقارب 100 ألف جريح، خلال ما يقارب السنة منذ بداية العدوان.¹⁴⁹ إضافة إلى تدمير ما يقارب 59% من المباني، كليا أو جزئيا، وفي المنطقة الحدودية بلغت نسبة التدمير 90%، فضلا عن تدمير القطاع الصحي والتعليمي،¹⁵⁰ إضافة إلى تدمير ما نسبته 67% من البنية التحتية ومرافق المياه والصرف الصحي، حتى شهر يونيو/حزيران 2024.¹⁵¹

صحيح أن الاحتلال لم يتمكن من تحقيق الأهداف المعلنة المتمثلة في القضاء على المقاومة الفلسطينية واستعادة أسراه وتأمين عودة مستوطني "غلاف غزة".¹⁵² ولكن على عكس الشائع من أن الاحتلال لم يتمكن من تحقيق أي من أهدافه في الحرب، فإن ما يفعله الاحتلال بغزة وأهلها من إبادة وتدمير هو جزء لا يتجزأ من أهداف الحرب العاجلة والأجلة، التي لا يستهدف فيها قطاع غزة وحده، وإنما كل المنطقة. **ومن أهم الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من وراء الإبادة والتدمير:**

1. **التهجير**، عبر جعل غزة مكانا غير صالح للحياة، وتدمير المجتمع الفلسطيني في قطاع غزة، وليس بالضرورة أن يكون التهجير فوريا وجماعيا، وإنما سيؤدي هذا التدمير والإبادة إلى هجرة فردية بحثا عن الحياة والعلاج والعمل. وهذا ما يسميه قادة الاحتلال "هجرة طوعية".
2. **إجبار المقاومة على الاستسلام**، ودفعها إلى تقديم تنازلات، وإطلاق الأسرى دون مقابل، أو بمقابل بخس، ونزع سلاحها وترك خيار المقاومة، نتيجة التكلفة الباهظة التي أنزلها الاحتلال بالشعب الفلسطيني.
3. **الردع**، إذ أن الاحتلال يهدف من خلال مشاهد التدمير والإبادة إلى ردع أي أحد يفكر بمهاجمة دولة الاحتلال مذكرا إياه بنموذج غزة، وهو الذي كان سابقا يهدد غزة ولبنان وغيرهما بما سمّي "عقيدة الضاحية"، أي ضاحية بيروت الجنوبية التي شهدت تدميرا واسعا في حرب 2006.
4. **محو صورة إسرائيل المهزومة في 7 أكتوبر**، وتحويلها إلى صورة إسرائيل باطشة على الجميع الخوف منها.
5. **تهينة الشعب الفلسطيني لقبول المخططات الإسرائيلية الهادفة لتصفية القضية**، عبر تطبيق "عقيدة الصدمة" عليه، ما يؤدي إلى انهياره وجعل وعيه قابلا لإعادة التشكيل بما يوافق المخططات الإسرائيلية.

¹⁴⁸ طارق دعنا، سقوط الجدار الحديدي: أزمة العقيدة العسكرية الإسرائيلية بعد عملية طوفان الأقصى، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023/10/25: <https://linksshortcut.com/cNXOB>

¹⁴⁹ صحة غزة: ارتفاع حصيلة الشهداء إلى 41 ألفا و467 منذ 7 أكتوبر، وكالة الأناضول، 2024/9/25:

<https://linksshortcut.com/eBqni>

¹⁵⁰ عام من الدمار في غزة بالأرقام، جريدة الأيام الفلسطينية، 2024/9/25: <https://linksshortcut.com/HTjWR>

¹⁵¹ أونروا: 67 بالمئة من البنية التحتية بغزة مدمرة أو متضررة، وكالة الأناضول، 2024/6/20:

<https://linksshortcut.com/bVMgl>

¹⁵² زين خليل، الأمن القومي الإسرائيلي: لم نحقق أيا من أهداف الحرب في غزة، وكالة الأناضول، 2024/5/23:

<https://linksshortcut.com/JLxZX>

ولكن على الجانب الآخر، فإن الحرب قد تحولت إلى حرب استنزاف لدى الاحتلال، إذ أصبحت أطول حرب في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، مع عجز الاحتلال عن القضاء على المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، رغم ادعاءاته المتكررة بأنه تمكن من القضاء على كتائب حماس، وعجزه عن إيجاد بديل لحماس في القطاع، أو دفع الغزيين للهجرة وتفريغ شمال غزة تحديداً من سكانه. وقد تحولت رويدا رويدا إلى حرب استنزاف على جبهات مختلفة، لا سيما في غزة ولبنان، وهذا الاستنزاف يومي مستمر، سواء من ناحية المواجهة العسكرية أم ناحية التأثيرات الاقتصادية. إذ، حتى شهر سبتمبر/أيلول 2024، بلغت تكلفة الإنفاق الحربي لدى الاحتلال نحو 100 مليار دولار، ونحن هنا نتحدث عن الإنفاق الحربي فقط دون اشتغال الخسائر الاقتصادية والمادية والتكاليف غير المباشرة للحرب. وقد رافق ذلك ارتفاع في غلاء المعيشة والتضخم وسعر الفائدة وتقليصات في الموازنة.¹⁵³ ومن ناحية أخرى، فقد دفعت الحرب نحو حدوث موجة هجرة أدمغة لدى الاحتلال، شملت أطباء وأكاديميين ومستثمرين وأصحاب رؤوس أموال، إضافة إلى مخاوف من اضطراب أكثر من 60 ألف شركة إلى الإغلاق مع نهاية عام 2024.¹⁵⁴

وهذا الأمر سيكون له تأثير كبير على مستقبل دولة الاحتلال، فمسألة التقدم الاقتصادي والأمن هما جوهران أساسيان في استمرار المشروع الصهيوني وجاذبيته ليهود العالم للهجرة إلى فلسطين وعدم الهجرة منها. إذ إن الصهيونية قائمة على فكرة إيجاد وطن آمن لليهود، ومع استمرار الحروب وتوسعها وانتقال تأثيرها إلى "الجبهة الداخلية" لدى الاحتلال، فإن فكرة الوطن الآمن لم تعد قائمة. ومن ناحية الاقتصاد فالمشروع الصهيوني مجبر على أن يكون متقدما اقتصاديا حتى يغري اليهود بالقدوم إليه، وإلا فما الذي سيدفعهم لترك البلاد الغربية المتقدمة اقتصاديا والاستقرار في فلسطين، وحتى أولئك القادمون من دول غير متقدمة، فإنهم إن قرروا ترك بلادهم ما الذي سيدفعهم لاختيار دولة غير متقدمة اقتصاديا وترك البلاد الغربية المتقدمة؟

أحد العوامل المهمة في تحول الحرب إلى حرب استنزاف طويلة الأمد هو الاختلاف في طبيعة الحروب التي تخوضها دولة الاحتلال مع فصائل المقاومة الفلسطينية والعربية عن الحروب السابقة التي كانت تخوضها مع جيوش الدول العربية النظامية. وهذا النمط من الحروب يطلق عليه "الحروب غير المتماثلة"، أي تلك الحروب التي ينخرط فيها جيش نظامي ضد جماعة "دون الدولة، تنتهج أسلوب حرب العصابات.

ويرى عدد من الباحثين أن أهم سمات عدم التماثل في هذا النمط من الحرب يتمثل في: عدم التماثل في التكنولوجيا، وعدم التماثل في الأسلوب، وعدم التماثل في المصالح، وعدم التماثل في الثقافة والقيم.¹⁵⁵ وهذه التمايزات تبدو جلية في حالة المقاومة الفلسطينية في صراعها مع الاحتلال الإسرائيلي، ونتيجة لذلك فإن الجيوش النظامية تفقد ميزة التفوق التكنولوجي والتفوق في العدة والعتاد، وهي الأمور ذاتها التي تمكنها من حسم المعارك مع جيوش نظامية أخرى. وهذا ما حدث في الحروب بين الجيوش العربية وجيش الاحتلال الإسرائيلي، التي نتج عنها هزيمة الجيوش العربية في زمن قياسي نظرا إلى حالة التفوق العسكري النوعي الإسرائيلي.

منذ مطلع الألفية الثانية عموما تحولت كل المواجهات الفلسطينية والعربية مع الاحتلال إلى نمط الحروب غير المتكافئة أو حرب العصابات. وفعليا فقد جيش الاحتلال ميزة التفوق النوعي في هذا النمط من الحرب، وفقد القدرة على تنفيذ المبادئ الأساسية التي حكمت عقيدته الأمنية طوال العقود السابقة، الضربة

¹⁵³ إسرائيل على أبواب أزمة اقتصادية عميقة بسبب الإنفاق الحربي، الجزيرة نت، 2024/9/20: <https://linksshortcut.com/IEpxO>

¹⁵⁴ هجرة واسعة للأدمغة من دولة الاحتلال.. الحرب تثير مخاوف بشأن المستقبل، عربي 21، 2024/9/23: <https://linksshortcut.com/wxJdg>

¹⁵⁵ Antulio Echevarria, Fourth Generation War and Other Myths, Strategic Studies Institute. Vol. 17, (November 2005).

الاستباقية، نقل المعركة إلى أرض العدو، الحرب الخاطفة.¹⁵⁶ فلا توجد للمقاومة معسكرات ومستودعات ذخيرة ومطارات عسكرية يستطيع الاحتلال تدميرها بضرية استباقية ما يؤدي إلى حسم المعركة قبل أن تبدأ، ويكون مضطرا إلى مواجهة مجموعات قتالية ذات تسليح خفيف ومتوسط تعتمد أسلوب "اضرب واهرب". كما أن الميزة التي تمتعت بها المقاومة في قطاع غزة هي الأنفاق التي بنتها طيلة سنوات واستخدمتها كنقاط للاختفاء والهجوم والتحصن والتخفي عن عين العدو، وهي الميزة التي لم يجد لها العدو حلا.¹⁵⁷

وإضافة إلى صمود المقاومة في قطاع غزة، فإن الدعم العسكري من أطراف "محور المقاومة" كان له دور فعال في تحويل المعركة مع الاحتلال إلى حرب استنزاف طويلة الأمد تؤثر، لا على العدو وحده، وإنما على داعميه، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما سناقشه باستفاضة فيما يلي.

جبهات الإسناد

جبهات الإسناد، وهو المفهوم الذي تطور خلال الحرب ولم يكن دراجا قبلها، ولعل ظروف المعركة هي التي فرضت هذا النوع من الانخراط في المعركة. فمن ناحية المبدأ لم تشهد أي جولة قتال سابقة بين قوى المقاومة سواء الفلسطينية، تحديدا في قطاع غزة، أو اللبنانية، كحالة حرب تموز 2006، أي انخراط لجبهة أخرى في القتال. وما كان يحدث، خاصة في معركة سيف القدس التي أطلقت فيها بعض الصواريخ من جنوب لبنان واعترف العدو بأنه أسقط مسيرة كانت قادمة من العراق، هي أمور رمزية.

وهذا لا ينفي أن هناك تنسيقا من نوع ما خلال المعركة كان بين حزب الله والحرس الثوري الإيراني وكثائب القسام، وهو ما كشف عنه برنامج ما خفي أعظم الذي بثته قناة الجزيرة في 27 مايو/أيار 2022، الذي أفاد أنه خلال المعركة شكلت غرفة عمليات مشتركة بين الأطراف المذكورة وكان لها دور في إحباط خدعة الغزو البري.¹⁵⁸

غير أن ما شهدته الحرب الحالية هو أمر مختلف تماما، إذ إن الانخراط على مستوى أطراف محور المقاومة كان غير مسبوق وغير معهود، وهي المرة الأولى التي تشارك فيها أطراف أخرى إلى جانب المقاومة الفلسطينية في مواجهة مفتوحة مع الاحتلال. وقد أظهرت هذه المشاركة عجز دولة الاحتلال عن التعامل مع عدة جبهات في آن واحد، حتى ولو كانت هذه الجبهات تقاتل بالحد الأدنى.

وهذا على خلاف ما دأب قادة الاحتلال على ادعائه من أنهم يقاتلون على سبع جبهات،¹⁵⁹ وهو ادعاء يكثر قادة الاحتلال من ترداده بصيغ مختلفة ولأسباب مختلفة أيضا، كثير منها متعلق بحالة الاستقطاب الإسرائيلي الداخلي. غير أن الحقيقة هي أن دولة الاحتلال ركزت كل مجهودها الحربي ضد قطاع غزة، وحافظت على وتيرة منخفضة من التصعيد في جبهة لبنان ولم تفعل شيئا في جبهات أخرى لعجزها عن ذلك. كما أن الجبهات التي يتحدث عنها قادة الاحتلال، بعضها لم يشارك في القتال، مثل سورية وإيران،

¹⁵⁶ انظر: راند أحمد سليم الحلاق، تطور العقيدة الأمنية "الإسرائيلية" (1948-1982م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة. ص 53-73.

¹⁵⁷ علي الطائي، الاحتلال يغرق بالفشل أمام أنفاق غزة.. لا حلول لفك شيفرة المقاومة، عربي 21، 2024/7/28:

<https://linksshortcut.com/nkhei>

¹⁵⁸ القسام يكشف عن تشكيل غرفة أمنية مشتركة مع محور المقاومة ومحاولة تنفيذ عملية أسر خلال الحرب الأخير، وكالة شهاب الإخبارية،

<https://linksshortcut.com/OLmMz>: 2022/5/27

¹⁵⁹ سعيد عموري، ننتياهو: نخوض حربا على عدة جبهات رغم الضغوط الدولية، وكالة الأناضول، 2024/6/7:

<https://linksshortcut.com/RtiPw>

وحتى عندما هاجمت إيران دولة الاحتلال فإنها احتاجت إلى تحالف دفاعي بقيادة الولايات المتحدة، وبمشاركة دول عربية، لحمايتها.¹⁶⁰

على أية حال، كان لهذه الجبهات أثر مهم في دعم المقاومة في قطاع غزة وزيادة التوترات والتهديدات الإقليمية، التي أثرت، ليس فقط في الاحتلال، وإنما في مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ومصالح عدد من القوى الإقليمية الأخرى.

ففي الثامن من أكتوبر/تشرين الثاني بدأ حزب الله اللبناني في تنفيذ عمليات ضد مواقع الاحتلال في شمال فلسطين المحتلة، انحصرت بشكل أساسي في المنطقة الحدودية، ليعلن الأمين العام للحزب، حسن نصر الله، في الخطاب الذي ألقاه في 3 نوفمبر/تشرين الثاني 2023، أن جبهة لبنان هي "جبهة مساندة وإشغال واستنزاف".¹⁶¹ وقد استمرت هذه الجبهة طيلة استمرار العدوان على غزة، وشهدت خلال هذه المدة لحظات تصعيد وشد وجذب ووصولاً إلى مرحلة حافة الهاوية. وقد تمكن حزب الله من الحفاظ على عمل الجبهة ومفعولها كجبهة إسناد دون الانجرار إلى حرب شاملة متجاوزاً في كثير من الأحيان لحظات التصعيد. غير أن هذه الجبهة ظلت جبهة حرب محتملة، وأكثر الجبهات ضغاً وتأثيراً على الاحتلال، وهذا الأمر قد أدى إلى تصاعد الأوضاع إلى لحظة الانفجار في شهر سبتمبر/أيلول 2024.

وفي 31 أكتوبر/تشرين الثاني خرج العميد يحيى السريع، الناطق العسكري باسم جماعة أنصار الله في اليمن، ليعلن انطلاق جبهة الإسناد التي افتتحت بتوجيه ضربة صاروخية نحو الأراضي الفلسطينية المحتلة، لتتوالى بعدها الضربات وتتخذ أشكالاً أخرى.¹⁶² وفي 19 نوفمبر/تشرين الثاني دشّن الحوثيون معركتهم البحرية ضد العدو الإسرائيلي بالسيطرة على غلاكسي ليدر الإسرائيلية، ثم مهاجمة السفن الإسرائيلية والسفن المتجهة إلى الموانئ الإسرائيلية بصالواروخ والمسيرات.¹⁶³ وقد أدت هذه المواجهة البحرية إلى فرض حصار جزئي حقيقي على الاحتلال، إذ أصبح ميناء إيلات، الواقع على البحر الأحمر، على وشك الإفلاس مع انخفاض حركة الشحن فيه بنسبة 85% منذ بداية الهجمات الحوثية.¹⁶⁴ ومع أن هذا الميناء ليس الأكبر لدى الاحتلال، إلا أنه يحظى بأهمية بالغة في مجال استيراد السيارات وأيضاً هو الميناء الوحيد الذي لا يقع على البحر الأبيض المتوسط.¹⁶⁵ صعدّ الحوثيون من هجماتهم تباعاً مع تحول المواجهة إلى مواجهة بحرية بالدرجة الأساس، إذ لم يكتفوا بمهاجمة السفن الإسرائيلية، وإنما وصل الأمر إلى مهاجمة السفن التابعة لشركات نقل بحرية تتعامل مع الاحتلال بغض النظر عن وجهة السفينة المهاجمة.

ومنذ مجزرة المعمداني، في 17 أكتوبر/تشرين الأول 2023، التي راح ضحيتها مئات الشهداء الفلسطينيين، بدأ عدد من الفصائل العراقية، تحت مسمى "المقاومة الإسلامية العراقية" في استهداف القواعد الأمريكية في سورية والعراق، وتوجيه بعض الضربات بالصواريخ بعيدة المدى والمسيرات نحو مواقع الاحتلال الإسرائيلي، وصولاً إلى استهداف قاعدة البرج 22 في الأردن في 28 يناير/كانون الثاني 2024، الذي أدى إلى مقتل وإصابة عدد من الجنود الأمريكيين، الذي أعلنت عقبه عن هدنة لإتاحة

¹⁶⁰ هبة مخلوفي، كيف شكلت واشنطن تحالفاً شرق أوسطياً لصد الهجوم الإيراني على الاحتلال؟، عربي 21، 2024/4/16:

<https://linkshortcut.com/uEmiX>

¹⁶¹ في خطاب نصر الله: لبنان جبهة إسناد والخيارات مفتوحة، BBC عربي، 2023/11/4:

<https://www.bbc.com/arabic/articles/c042exe7zmro>

¹⁶² الحوثيون يعلنون إطلاق مسيرات نحو إسرائيل رداً على حرب غزة، العربي الجديد، 2023/10/31:

<https://linkshortcut.com/WqZdl>

¹⁶³ الحوثيون: سنستهدف كل سفينة متجهة لإسرائيل أياً تكن جنسيتها، الجزيرة نت، 2023/12/9:

<https://linkshortcut.com/FsEWm>

¹⁶⁴ محمد وتد، هل يتجه ميناء "إيلات" الإسرائيلي نحو الإفلاس؟، الجزيرة نت، 2024/7/17: <https://linkshortcut.com/mFhHi>

¹⁶⁵ المصدر السابق.

المجال للحكومة العراقية للتفاوض مع الولايات المتحدة للانسحاب من العراق.¹⁶⁶ غير أنها عادت واستأنفت علمياتها ضد الاحتلال الإسرائيلي، مع التهديد بعودة استهداف القواعد الأمريكية.¹⁶⁷

تمكنت جبهات الإسناد من خلق أزمات إقليمية ودولية وأزمات في وجه الولايات المتحدة وأيضا أزمة داخلية عميقة لدى الاحتلال. وهذا ما دعا مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى القول في مقال له في مجلة فورين أفيرز: "لقد أمضيت معظم العقود الأربعة الماضية أعمل في الشرق الأوسط، ونادراً ما رأيته أكثر تشابهاً أو انفجاراً من الوقت الحالي". على خلفية عملية طوفان الأقصى وتفاعل جبهات الإسناد معها، التي رأى أنها تذكير مؤلم للولايات المتحدة بتعقيد الخيارات التي لا تزال هذه المنطقة تفرضها عليها.¹⁶⁸

فجبهة لبنان، قد أصبحت جبهة استنزاف عسكري واقتصادي للاحتلال، فضلا عن أثرها في تهجير ما يقارب 100 ألف مستوطن من 43 مستوطنة على الحدود الفلسطينية اللبنانية بعمق 5 كم، بقرار إخلاء رسمي من سلطات الاحتلال، علاوة على أولئك الذين نزحوا من تلقاء أنفسهم. وهذا الأمر يظل يشكل مأزقا حقيقيا لدى الاحتلال، إذ يرفض المستوطنون العودة، خاصة والحرب مستمرة واستهداف مستوطناتهم بالصواريخ مستمر يوميا، وفي المقابل لم يتمكن الاحتلال من توجيه جهد عسكري ضخم ضد حزب الله في محاولة لإعادة المستوطنين، لتجنب القتال على جبهتين في آن واحد.¹⁶⁹ وفي تقديرنا، نتيجة للقيود الديمغرافية والجغرافية والاقتصادية التي تتميز بها دولة الاحتلال، فإن المأزق الذي فرضته جبهة الإسناد اللبنانية، كان كفيلا بالضغط على الاحتلال لتسريع إيقاف الحرب على قطاع غزة.

من ناحية أخرى كان لجبهة الإسناد اليمنية أثر عالمي وإقليمي كبير، خاصة على الصعيد البحري والتأثير الكبير على حركة الملاحة في البحر الأحمر وبحر العرب، وحتى في عمق المحيط الهندي، من حيث أن البحر الأحمر هو ممر لقرابة 30% من حاويات الشحن، فقد أدت المواجهات فيه إلى تراجع حركة السفن وارتفاع تكاليف الشحن مع اضطرار السفن إلى الإبحار عبر رأس الرجاء الصالح وارتفاع تكاليف التأمين.¹⁷⁰ وإن هذا الأمر كان كفيلا أيضا بأن يضطر القوى الإقليمية والدولية للضغط لوقف العدوان على غزة.

وفيما يتعلق بجبهة الإسناد العراقية، فإن الضربات التي كانت تنفذ على القواعد الأمريكية في سورية والعراق وعلى مواقع الاحتلال الإسرائيلي قد وضعت المنطقة على حافة الانفجار مرتين على أقل تقدير. المرة الأولى بعد استهداف قاعدة البرج 22 في الأردن في 28 يناير/كانون الثاني، والمرة الثانية كانت عندما استهدفت قاعدة بحرية لجيش الاحتلال في إيلات في 31 مارس/أذار 2024،¹⁷¹ إذ أعقبت هذه الحادثة استهداف جيش الاحتلال لمقر القنصلية الإيرانية في دمشق واغتيال عدد من قادة الحرس الثوري

¹⁶⁶ المقاومة الإسلامية في العراق.. تحالف جماعات مسلحة لدعم "طوفان الأقصى"، الجزيرة نت، 2024/2/5:

<https://linksshortcut.com/pluHQ>

¹⁶⁷ فقار فاضل، المقاومة العراقية تلوح بمرحلة جديدة: لا تهدئة مع إسرائيل، جريدة الأخبار اللبنانية، 2024/3/13:

<https://linksshortcut.com/tCUVP>

¹⁶⁸ انظر: ترجمة الملتقى الاستراتيجي لمقال وليم بيرنز في مجلة فورين أفيرز، فن التجسس وفن الحكم، 2024/1/30:

<https://linksshortcut.com/izlol>

¹⁶⁹ كريم قرط، التحديات "الإسرائيلية" على الجبهة الشمالية: هل تقود إلى حرب شاملة؟، مركز رؤية للتنمية السياسية، 2023/1/9:

<https://linksshortcut.com/HPuTW>

¹⁷⁰ زيليكو بوغيتيتش وآخرون، الإبحار في مياه مضطربة: أزمة الشحن عبر البحر الأحمر وتداعياتها العالمية، البنك الدولي، 2024/5/16:

<https://linksshortcut.com/fSDBh>

¹⁷¹ مسيرة أطلقت من العراق أصابت قاعدة إسرائيلية لسلاح البحرية في إيلات، عرب 48، 2024/04/1:

<https://linksshortcut.com/DokRU>

الإيراني في 1 أبريل/نيسان. 172 وفي حين قُدّم هذا الاستهداف على أنه رد على استهداف القاعدة البحرية، فإنه أدى إلى دخول المنطقة في حال توتر وتصعيد شديد في ظل توقع إيران بالرد على استهداف قنصليتها، وهو ما حدث في ليلة 14 أبريل/نيسان.

على أية حال، ظلت التوترات في المنطقة تتصاعد حيناً، وتهدأ حيناً طوال أشهر الحرب، ولكن في المجمل تعمل حالة الحرب المستمرة وتفاعل جبهات الإسناد معها على جعل المنطقة على شفير حرب إقليمية بشكل مستمر، وهذا هو الهدف الأساسي، في تقديرنا، من وراء تفعيل جبهات الإسناد على هذه الصورة. دون أن يعني ذلك إسقاط محدودية فعلها أحياناً، نتيجة عوامل موضوعية مختلفة، منها مسألة محدودية الإمكانيات والقدرات، خاصة عند الحديث عن الجبهات الأبعد، تحديداً العراق واليمن، وأيضاً الأزمات الداخلية في كل بلد من بلدان جبهات الإسناد على حدة. فحسب إبراهيم الأمين، مدير تحرير جريدة الأخبار اللبنانية، فإن القرار لدى أطراف "محور المقاومة" كان "أن تقوم كل جهة بالدور الذي يتناسب مع واقعها العسكري والميداني والاقتصادي والشعبي والسياسي". ويضيف: "حصلت تطورات ميدانية كثيرة، فرضت نفسها على جبهات الإسناد. في العراق، اضطرت فصائل المقاومة إلى وقف العمليات ضد القواعد الأميركية في العراق وسوريا نتيجة عدم نضوج الوضع السياسي داخل العراق. لكنها واصلت قصف الداخل المحتل. وفي سوريا، اتُفق منذ اليوم الأول، على أنها "ساحة إسناد" وليست "جبهة إسناد"، والمقصود، أن قوى المحور لا ترى حاجة إلى مشاركة القوات السورية مباشرة في العمل الإسنادي، لكن دمشق، أبقت على ساحتها مكاناً يتيح لقوى المقاومة، ومن جنسيات مختلفة، التحرك بما يتناسب مع ظروف المعركة". 173

غير أن الولايات المتحدة، مع إدراكها لخطورة الوضع واحتمال اندلاع حرب إقليمية لم تعمل على تهدئة الأوضاع وإجبار الاحتلال الإسرائيلي على القبول بصفقة تبادل أسرى لتهدئة الإقليم، وإنما ذهبت لمسارات أخرى، عسكرية وسياسية، تهدف إلى تمكين الاحتلال من إكمال حرب الإبادة الجماعية على قطاع غزة، ومحاولة فصل المسارات عن بعضها وتحويل أسباب اشتعال جبهات الإسناد في محاولة لصرف الأنظار عن أن وقف العدوان على غزة سيؤدي إلى وقف جبهات الإسناد.

نتيجة لذلك، ولإدراكها محدودية القدرات الإسرائيلية في التعامل مع كل هذه الجبهات، فقد تولت مهمة مواجهة جبهة الإسناد اليمنية عسكرياً عبر تشكيل قوة بحرية بالشراكة مع دول أخرى تحت مسمى عملية "حارس الازدهار" منذ شهر ديسمبر/كانون الأول 2023 لمهاجمة الحوثيين، 174 وحماية السفن الإسرائيلية، تحت ادعاء حماية سلامة الشحن البحري. وقد جاء التدخل الأمريكي المباشر في الحرب، نتيجة ضعف القدرات البحرية العسكرية الإسرائيلية، وهو الأمر الذي جعلها في حالة انكشاف أمام التحدي البحري الحوثي. 175

وفي حالة العراق، فقد استهدفت الولايات المتحدة عدداً من قادة الفصائل العراقية ومقاتليها رداً على مقتل جنودها في قاعدة البرج 22، غير أن الدور الأساسي في مواجهة هذه الجبهة كان سياسياً بالدرجة الأولى من خلال إدخال الحكومة العراقية في مفاوضات حول الانسحاب الأمريكي، مستغلة حالة الخلاف بين الفصائل العراقية، في إجبار الفصائل التي كانت تنفذ الهجمات على التوقف عنها. فيما استمرت بمحاولة

172 هبة محمد، مقتل 8 أشخاص بينهم قيادات في الحرس الثوري الإيراني بقصف إسرائيلي استهدف القسم القنصلي للسفارة الإيرانية في دمشق،

القدس العربي، 2024/4/1: <https://linksshortcut.com/urKbT>

173 إبراهيم الأمين، هاجس أميركا وفرنسا وبريطانيا على جبهة لبنان: كيف ننتزع مكاسب إسرائيل في حال وقف الحرب؟، جريدة الأخبار

اللبنانية، 2024/7/6: <https://al-akhbar.com/Politics/384104>

174 20 دولة إلى الآن.. ماهي الدول المشاركة في تحالف "حارس الازدهار" للتصدي لهجمات الحوثيين بالبحر الأحمر؟، مونت كارلو الدولية،

2023/12/22: <https://linksshortcut.com/ljkgk>

175 أحمد مولانا، النفور الإسرائيلي من البحر.. الجذور والتحول، TRT عربي، 2024/2/7: <https://linksshortcut.com/nAkbT>

فصل الجبهة اللبنانية عن جبهة غزة عبر الجهود الدبلوماسية والمبادرات التي كان يطرحها المبعوث الأمريكي عاموس هوكشتاين على حزب الله، التي تقضي بوقف مساندته للمقاومة في غزة والانسحاب إلى ما وراء نهر الليطاني.

بشكل عام، مع تأثير جبهات الإسناد على الاحتلال وعلى الولايات المتحدة والإقليم بشكل عام، فإنها لم تستطع وقف الحرب على غزة، أو منع المجازر على أقل تقدير. وهذا الأمر مرتبط باعتبارات كثيرة، أهمها هو التحول الاستراتيجي الذي أحدثه "طوفان الأقصى" لدى الاحتلال، إذ أن الاستمرار في الحرب وتحمل تكلفتها الباهظة وضربات جبهات الإسناد هو أقل كلفة، بالنسبة للاحتلال، من وقف الحرب والخروج بصورة هزيمة لا جدال فيها، سواء بسبب طوفان الأقصى نفسه أم بسبب ضغط جبهات الإسناد، لأن ذلك سيشجع مزيدا من الهجمات عليها وسيفقد مكانتها، كقوة إقليمية مؤثرة وجاذبة للتطبيع.

وهذا الأمر ينطبق أيضا على الولايات المتحدة، فهي الأخرى لا يمكن لها أن تقبل بسهولة فكرة أن ترضخ لقوى محلية صغيرة ذات عتاد وتسليح متواضع بالمقارنة مع قوتها، وهو ما سيؤثر على صورتها في العالم كقوة عظمى أولى، خاصة أمام منافسيها مثل الصين وروسيا.

وإلى ذلك، فإن الصراع الآن، وإن ظل محصورا لما يقارب العام في قطاع غزة بالدرجة الأولى، فإنه صراع على مستقبل الإقليم. وهذا الأمر يستتف من تصريح رئيس وزراء الاحتلال بنيامين نتانياهو، عقب عملية طوفان الأقصى الذي توعد فيه بـ"تغيير الشرق الأوسط"،¹⁷⁶ الذي كرره أيضا عقب التصعيد مع حزب الله في شهر سبتمبر/أيلول 2024.¹⁷⁷ ولذلك، فإن عدم رضوخ دولة الاحتلال والولايات المتحدة للضغوط العسكرية وما أثارته من أزمات، وما رافق ذلك من تكاليف للحرب على المستوى الاقتصادي والسياسي لدى الاحتلال، نابع من السعي إعادة ترتيب المنطقة وفقا للمصالح الإسرائيلية والأمريكية.

محاولة استشراف المستقبل

كان لعملية طوفان الأقصى تأثيرات مهمة على مستوى القضية الفلسطينية والإقليم والرأي العام العالمي أيضا. إذ ترى الباحثة خديجة صبار أن طوفان الأقصى وما تبعه من حرب إبادة جماعية على قطاع غزة قد "أسس لتحولات واتجاهات نوعية وإرادة جمعية وحرارك شعبي، وأعاد للقضية زخمها الرمزي والسياسي، وأحدث تأثيرا في ضمائر الشعوب وبعض النخب الغربية، وطور الوعي السياسي لدى شرائح عريضة من الرأي العام العالمي، وغير القناعة القديمة المنسوبة إلى الكيان الضحية وإلى الفلسطيني العنيف، فوجدت السردية الفلسطينية طريقها إلى الضمير الجمعي العالمي ترجمت في موجة غضب الشعوب التي شعرت بأنها معنية بأحداث كانت محصورة في رقعة ضيقة مرس عليها الحصار بنسبة 97 بالمئة، وأحيا ثقافة الاقتدار ومعاركة الوعي ضد السردية الصهيونية. بدأ الرأي العام العالمي يستوعب مغزى الصراع ويرى في الكيان نظام فصل عنصري متوحش. أيقظت المشاهد العالم فتحرك ليفرض عليه العزلة الدولية كتلك التي ساعدت على إنهاء نظام حكم الأقلية البيضاء في جنوب أفريقيا".¹⁷⁸

¹⁷⁶ عبد الرؤوف أرناؤوط، نتنهاو متوعدا حماس: "سنغير الشرق الأوسط"، وكالة الأناضول، 2023/10/9:

<https://linksshortcut.com/DrVtv>

¹⁷⁷ معلقا على اغتيال قادة وحدة "الرضوان". نتنهاو: لقد بدأنا للتو وسنعمل على تغيير الشرق الأوسط، سما الإخبارية، 2024/9/20:

<https://linksshortcut.com/GqzaU>

¹⁷⁸ خديجة صبار، طوفان الأقصى ومستقبل الكيان الصهيوني، مجلة المستقبل العربي، العدد 541، آذار/مارس 2024.

<https://linksshortcut.com/mtymy>

التأثير في معركة السردية

وحقيقة كانت مسألة انهيار السردية الصهيونية أحد أهم نتائج عملية طوفان الأقصى وما تبعها من إبادة جماعية. ففي اليوم الأول للعملية سيطرت السردية الإسرائيلية في الغرب وأصبحت المنظور الذي حدد زاوية النظر للقادة الغربيين، وكانت السردية تؤكد أن عملية السابع من أكتوبر/تشرين الأول ما هي إلا هجوم "إرهابي" من دون استفزاز. ونقلت الصحافة الغربية، وبخاصة الأميركية والبريطانية، من جانب واحد فقط في تجاهل تام للرواية الفلسطينية ومحاولة إسقاط للسياق الذي جرت فيه العملية.¹⁷⁹

وقد انعكست هيمنة السردية الصهيونية على حملة الدعم السياسي والعسكري التي قدمتها الدول الغربية لدولة الاحتلال. ولكن مع طول أمد الحرب، والكوارث الإنسانية الناجمة عن الهجمات الإسرائيلية، واعتماد الحرب على غزة نمطاً انتقامياً واضحاً، وضغوط الرأي العام، فإن السردية الفلسطينية للأحداث تمكنت من الانتشار، وتغيرت مضامين التغطية الإعلامية بشكل واضح، مما فتح الطريق واسعاً أمام سماع الأصوات المؤيدة للفلسطينيين، والناقدة لدولة الاحتلال.¹⁸⁰ ولم يقتصر الأمر على تغير في الرأي العام الدولي، بل تراجع بعض القادة الغربيين عن الدعم الأعمى لحكومة نتانياهو التي باتت عقبة أمام أي حل لدرجة أن إدارة بايدن بدأ يفكر باليوم التالي لنتانياهو. هذا لا يعني بأي شكل من الأشكال أن الرئيس بايدن يتخلى عن إسرائيل، لكنه بدأ يدرك أن نتانياهو يتلاعب به وبالدعم الأميركي لتحقيق أهداف سياسية شخصية تتعلق بالسياسة الداخلية في إسرائيل.¹⁸¹

ولعل التأثير الذي سينتج عن انهيار هيمنة السردية الإسرائيلية وانتشار السردية الفلسطينية لن يكون تأثيراً عاجلاً، وإنما تأثيراً بعيد الأمد. وهذا الأمر متعلق بأن الأجيال الأصغر سناً، في الغرب تحديداً، أكثر تأثراً بالسردية الفلسطينية من السردية الإسرائيلية. إذ أظهرت استطلاعات رأي في الولايات المتحدة أن غالبية الشباب الأمريكي، بنسبة 51%، يرون أن الحل طويل المدى للصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو "إنهاء إسرائيل وتسليمها لحماس والفلسطينيين".¹⁸² ويتوافق مع هذه الاستطلاعات حراك طلابي، كان مهده كبريات الجامعات الأمريكية، مناصر للقضية الفلسطينية ومناذٍ بوقف الإبادة على قطاع غزة ومقاطعة دولة الاحتلال.¹⁸³ وإضافة إلى ذلك، تحولت دولة الاحتلال إلى دولة منبوذة على الصعيد العالمي، وتحاكم هي وقادتها أمام المحاكم الدولية، على غرار نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا سابقاً، وهذا ما حذرنا منه عدد من الخبراء الأمميين.¹⁸⁴

وقد شكلت هذه الاستطلاعات والحركات الطلابية قلقاً حقيقياً، سواء للقادة الإسرائيليين أم الأمريكيين، إذ أن تغير المزاج الشعبي الغربي تجاه دولة الاحتلال سيؤدي إلى تراجع الدعم غير المشروط لدولة الاحتلال، على أقل تقدير، عندما تتحول الأجيال الجديدة إلى صانعة السياسات في الدول الغربية ومؤثرة فيها. ولذلك وجهت الحركات الطلابية بحملات قمع وتشويه في الولايات المتحدة ودولة الاحتلال متهمه إياها بمعادة

¹⁷⁹ حسن البراري، التداخيات الجيوسياسية للحرب على غزة، مركز الجزيرة للدراسات، 2024/2/21:

<https://studies.aljazeera.net/ar/article/5855>

¹⁸⁰ المصدر السابق.

¹⁸¹ المصدر السابق.

¹⁸² استطلاع رأي: أغلبية من الشباب الأميركي تؤيد "إنهاء إسرائيل"، الجزيرة نت، 2023/12/17:

<https://linkshortcut.com/psNwJ/>

¹⁸³ مرام سالم، لماذا احتجاجات الجامعات الأميركية مهمة للقضية الفلسطينية؟، أترنا فلسطين، 2024/4/26:

<https://linkshortcut.com/YagQ>

¹⁸⁴ خبراء أمميون: إسرائيل قد تصبح منبوذة بسبب ما ترتكبه من إبادة في غزة، الشرق الأوسط، 2024/9/16:

<https://linkshortcut.com/WYqRn>

السامية، كما درجت العادة. والمهم في الأمر أنه هذه التهمة التي كانت تثير رعب من يتهم بها سابقا، قد فقدت كثيرا من قوة تأثيرها مع اشتداد المجازر الإسرائيلية واستمرار حرب الإبادة الجماعية.

وقد قادت هذه التطورات، وغيرها، أحد أبرز المؤرخين الإسرائيليين الجدد، إيلان بابيه، المعادي للصهيونية إلى اعتبار أن المشروع الصهيوني قد دخلت في مرحلة بداية النهاية، وقد بنى رؤيته تلك على خمسة مؤشرات:

- 1- اشتداد الصراع الإسرائيلي الداخلي بين المعسكر العلماني الليبرالي وبين المعسكر اليمني الديني. إذ أنه حتى في حالة التهديد الأمني الجسيم ظلت الصراعات مشتتة بين هذين المعسكرين على هوية الدولة وطبيعتها، وهذا يشير إلى أنه قد تحدثت حروب مستقبلية بينهما.
- 2- الدعم غير المسبوق للقضية الفلسطينية على مستوى العالم، والتعامل مع دولة الاحتلال على أنها دولة فصل عنصري، واستعداد معظم المنخرطين في حركة التضامن مع فلسطين لتبني النموذج المناهض للفصل العنصري الذي ساعد في إسقاط هذا النظام في جنوب أفريقيا.
- 3- العامل الاقتصادي، وتصاعد الفجوة بين من يملك ومن لا يملك في المجتمع الإسرائيلي والمستقبل الاقتصادي القائم الذي ينتظر دولة الاحتلال على الرغم من الدعم المالي الأمريكي.
- 4- عدم قدرة جيش الاحتلال على حماية المستوطنين، وتراجع ثقة المجتمع الإسرائيلي بجيش الاحتلال.
- 5- تراجع تأييد الجيل الجديد من اليهود، في الولايات المتحدة تحديدا، لدولة الاحتلال، وانخراط الكثير من هذا الجيل في حركة التضامن مع فلسطين.¹⁸⁵

التأثير في سياسات الإقليم

كانت المنطقة العربية جزء من الاهتمام الأمريكي منذ ظهور الولايات المتحدة كقوة عظمى إبان حقبة الحرب الباردة في إطار الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي. ومنذ حرب الكويت عام 1990 أصبحت المنطقة في قلب الاهتمام الأمريكي. ولكن منذ ولاية الرئيس باراك أوباما انتهجت الولايات المتحدة استراتيجية محسوبة لتحويل تركيز واشنطن نحو تنافسها المتصاعد مع الصين، وقد أحييت هذه السياسة المنظور الأمريكي للمنطقة قبل عام 1990م، والذي جمَعَ بين الحد الأدنى من الوجود العسكري، والاعتماد على الحلفاء الإقليميين للحفاظ على الاستقرار. وعلى الرغم من أن هذا لم يتحقق لأن الشرق الأوسط فرَضَ نفسه على الأجندة الأمريكية خلال فترتي أوباما وترامب، غير أن إدارة الرئيس بايدن كانت تسير بخطى حثيثة لإعادة ترتيب أوراقها في المنطقة، في سبيل التفرغ لمواجهة منافسيها الدوليين، أي الصين وروسيا، من خلال إعادة ضبط علاقاتها بالسعودية وغيرها من الدول وإنهاء الخلافات بين حلفائها. ودمج دولة الاحتلال في المنطقة من خلال الاتفاقات الإبراهيمية ومحاولة ضم السعودية لها، ودمج هؤلاء الحلفاء بمشاريع إقليمية مثل تحالف I2U2 بين الهند ودولة الاحتلال والإمارات والولايات المتحدة، ومنتدى النقب، والممر التجاري الذي يبدأ بالهند وينتهي بدولة الاحتلال مروراً بالإمارات والسعودية والأردن.¹⁸⁶

وقد كانت إدارة بايدن تحاول خلق واقع إقليمي جديد، متجاوزة القضية الفلسطينية، بما في ذلك حل الدوليتين، غير أن عملية طوفان الأقصى أعاد القضية الفلسطينية إلى الواجهة، وأكدت أن اتفاقيات التطبيع

¹⁸⁵ ناهد درباس، المؤرخ الإسرائيلي إيلان بابيه: 5 مؤشرات على بداية نهاية المشروع الصهيوني، العربي الجديد، 2024/1/14:

<https://linkshortcut.com/MdTiy>

¹⁸⁶ محمود حمدي أبو القاسم، حرب غزة والنموذج الأمريكي في الشرق الأوسط، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية – رصانة، 2024/2/13:

<https://linkshortcut.com/XDwXS>

لا يمكن أن تحقق المصالح الأمريكية، في ظل تجاهل الحقوق الفلسطينية. وقد وصلت هذه القناعة إلى القوى الإقليمية، بما في ذلك أعضاء اتفاقيات إبراهيم أنفسهم، الذين باتوا مجبرين على إدانة دولة الاحتلال بعدما تبين أن دولة الاحتلال تتماهى في عدوانها. أما فيما يخص السعودية، فإنها أكدت على موقفها، بأنها لن تقوم بتطبيع العلاقات مع إسرائيل ولن تساعد في إعادة إعمار غزة، طالما استمرت دولة الاحتلال في عرقلة الطريق نحو إقامة الدولة الفلسطينية.¹⁸⁷ غير أن هذا التأكيد ليس جادا بالضرورة، وهو ما أثبتته الحرب، فاتفاقيات التطبيع لم تتأثر بشكل شبه مطلق، بل إن بعضها أخذ يتعزز خلال الحرب.

وفقا لهذه التطورات، أدركت إدارة بايدن أنه ستكون هناك حاجة إلى عملية سياسية بعد انتهاء الحرب في غزة، لكن التحدي هو أن إدارة بايدن بحاجة إلى خطة ذات مصداقية؛ محددة زمنياً، ولها نهاية واضحة، وإلا سيكون ذلك مضيقاً للوقت. وهناك تحدي آخر، وهو أن اليمين المهيمن على السلطة في إسرائيل، غير مقتنع بأي تسوية، ويتابع مسار القوة كخيار وحيد، كما أن المزاج الشعبي في إسرائيل مؤيد لهذا النهج المتطرف. ومن جهة أخرى تفنق السلطة الفلسطينية إلى الشرعية كطرف في المفاوضات، ولا تزال المقاومة صامدة في مواجهة الحملة الإسرائيلية. وهكذا يمكن القول إن القضية الفلسطينية فرضت نفسها على إدارة بايدن، لكن في الحقيقة كقضية مستعصية تاريخياً على الحل، وتخضع لتوازنات القوة، وتتفرد الولايات المتحدة بدورها كوسيط غير نزيه وغير عادل، فليس من المأمول أن نشهد تغييراً على مسار حل الدولتين.¹⁸⁸

ولكن من ناحية أعم، وبعيدا عن الموقف الأمريكي وخداعه وتقديمه لمصلحة دولة الاحتلال على أي مصلحة أخرى، فإن هذه المعركة قد فتحت الباب على احتمالات كثيرة في الإقليم. وليس بعيدا أن تشهد السنوات القادمة جملة من التحولات السياسية الكبرى، كحدوث ثورات أو انقلابات عسكرية، في بعض الدول العربية. وهذا الأمر مرتبط بعدة عوامل منها الظروف الاقتصادية وحالة الاستبداد والقمع المستمرة لدى بعض الأنظمة، التي ترافقت مع كارثة فلسطين الجديدة المتمثلة في إبادة الشعب الفلسطيني وسط صمت وتواطؤ أحيانا لدى الأنظمة العربية. فبالمقارنة مع نكبة عام 1948، التي شهدت المنطقة على أثرها جملة من الانقلابات العسكرية والتحولات السياسية، يمكن توقع حدوث أمور مماثلة لدى بعض الأنظمة، لا سيما في مصر والسعودية والأردن.

من ناحية أخرى، هناك قوى قد استفادت من معركة طوفان الأقصى، وانحيازها لها بأي وسيلة ممكنة. ومن أهم تلك القوى إيران وحلفاؤها في لبنان والعراق واليمن الذين كان لهم دور بارز في الدعم العسكري للشعب الفلسطيني. وبدرجة أقل تركيا، التي وإن كان موقفها العام دون المستوى المتوقع، فإنها موقفها قد تفوق على كل الدول العربية من نواح عدة، أهمها الموقف الشعبي المتفاعل مع القضية الفلسطينية والتصريحات اللاذعة التي يوجهها القادة الأتراك، وعلى رأسهم الرئيس رجب طيب أردوغان لدولة الاحتلال، وتعاملهم مع حركة حماس كحركة تحرر وطني، وأخيرا فرض تركيا حظرا تجاريا على دولة الاحتلال نتيجة الضغوط الشعبية على الحكومة التركية الذي اتضح أثره بعد الانتخابات البلدية التي شهدت تراجعاً لحزب العدالة والتنمية وهو ما عُده عقابا شعبيا للحكومة التركية على مواقفها الأولية المترخية.¹⁸⁹

إلى ذلك، فإن القوى التي كانت ملاحقة ومضطهدة خلال المرحلة السابقة، أي القوى الثورية والإسلامية، تحديدا جماعة الإخوان المسلمين، قد شكل لها طوفان الأقصى وانحيازها له بوابة لاستعادة حضورها في الشارع العربي. إذ حصلت جماعة الإخوان المسلمين في الأردن على 31 مقعدا من مقاعد مجلس النواب

187 المصدر السابق.

188 المصدر السابق

189 عبد الرحمن أبو العلا، تصعيد تركي تجاه إسرائيل.. لماذا الآن؟، الجزيرة نت، 2024/4/9: <https://linkshortcut.com/byfcO>

الأردني، في دورة 2024، مقارنة بـ 10 مقاعد فقط في دورة 2020.¹⁹⁰ وإن كانت هذه النتيجة لا تحمل أي تأثير حقيقي في السياسة الأردنية، فإنها تشير إلى تغير في التوجهات الشعبية تأثرا بمعركة طوفان الأقصى. فمن ناحية يستفيد الإسلاميون من بروز قوى المقاومة الإسلامية في فلسطين وتصدرها للمشهد، خاصة حركة حماس، ومن ناحية أخرى أدى انحياز الإسلاميين عموماً إلى خيار المقاومة ودعمها سياسياً وإعلامياً وجماهيرياً إلى تحول في الرأي الشعبي تجاهها والنظر إليها كقوى إصلاحية وثورية قادرة على التغيير والمساهمة في قضايا الأمة.

وهذا الأمر، قد شكّل ضربة موجعة لقوى الثورات المضادة في المنطقة، لا سيما الإمارات والسعودية، اللتان تناصبان الإسلاميين العداء السافر، كونهم قد شكلوا إبان ثورات الربيع العربي البديل القوي للأنظمة العربية المطاح بها.

على الصعيد الفلسطيني الداخلي

أدت عملية طوفان الأقصى بروز حماس، وفصائل المقاومة الفلسطينية، كعنوان للمرحلة وممثلة للشعب الفلسطيني وتطلعاته الوطنية. غير أن حماس ستخرج من الحرب قوية وضعيفة في نفس الوقت. فقد حظيت الحركة بشعبية الجارفة في فلسطين والعالم العربي والإسلامي ورسخت نفسها كطرف مؤثر وفاعل وعنواناً للقضية الفلسطينية لا يمكن تجاوزها ولا تجاوز أهدافها.

ولكن في نفس الوقت فإنها تلقت ضربات عسكرية موجعة، بحاجة إلى سنوات طويلة من الترميم. ومن جانب آخر، فإنه وإن كانت شعبية الحركة قد ارتفعت في مطلع هذه الحرب، فإن تلك الشعبية، وخصوصاً في قطاع غزة، يمكن أن تتآكل مع استمرار الحرب، وتعمق الكارثة الإنسانية، وتحول وقف إطلاق النار إلى قضية وحيدة في الأفق الراهن بالنسبة إلى سكان القطاع. إذ تدرك حماس أن الكارثة الإنسانية التي فرضها الاحتلال على قطاع غزة لن تسمح لها بعد ذلك بإدارة القطاع، وهو ما يحتم عليها البحث في معالجات وطنية تجعل من حكومة وطنية مفتاحاً لقضايا إعادة الإعمار. والنتائج التي ستنتهي إليها الحرب هي التي سوف تحدد تلك الصورة الإدارية للقطاع ومدى ارتباطها بموقف وطني عام يدمج الضفة الغربية وقطاع غزة في حالة وطنية واحدة سياسياً ونضالياً، وهو ما يعني أن فرص حماس في حضور أفضل لها على المستوى السياسي في الأفق القريب مرهونة في أول الأمر بكيفيات الخروج من الحرب، وقدرتها على تحسين هذا الخروج، ولا ينفك عن ذلك بالضرورة موقع الحركة الإقليمي وعلاقتها الدولية.¹⁹¹

وبالمجمل سيكون على حماس أن تقدم تنازلات كبيرة في ما يتعلق بحكم قطاع غزة، وبالامتناع عن أي مواجهة مع الاحتلال انطلاقاً من قطاع غزة مهما كان حجمها مداها، في ظل التكلفة البشرية والعمرانية الباهظة التي تكبدها قطاع غزة. وذلك في سبيل إتاحة المجال أمام جهود إعادة الإعمار ومعالجة الأزمات الكارثية التي خلفها الاحتلال في قطاع غزة. وهذه الأمور ليست أموراً بسيطة، وإنما هي معارك شاقة ومضنية بحد ذاتها.

ففي ما يتعلق بإعادة الإعمار، قياساً على الحرب على غزة سنة 2014 لا تبدو الصورة مبشرة. ففي مؤتمر عُقد في القاهرة بعد أشهر من انتهاء الحرب، تعهد المانحون بمبلغ 3.5 مليار دولار لإعادة بناء غزة على مدى ثلاث سنوات، وجاءت أهم التعهدات من الولايات المتحدة (277 مليون دولار)، والاتحاد الأوروبي (348 مليون دولار)، والمملكة العربية السعودية (500 مليون دولار)، وقطر (مليار دولار).

¹⁹⁰ أنور الزبادات، تقدم لافت للحركة الإسلامية في الانتخابات البرلمانية الأردنية، العربي الجديد، 2024/9/12:

<https://linkshortcut.com/xNCaa>

¹⁹¹ ساري عرابي، موقف "حماس": الحرب وآثارها في الحركة ومستقبلها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2024/2/6:

<https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655202>

وبصورة عامة، تعهد المانحون بتقديم 5.4 مليارات دولار، وكانت تلك هي المرة الثالثة خلال أقل من ست سنوات التي اضطر المجتمع الدولي فيها إلى مواجهة جهود إعادة الإعمار. وعلى الرغم من أن التعهدات كانت سخية، فقد تم تحويل أقل من 2% من الأموال إلى الفلسطينيين. وبحلول سنة 2018، ظلت التعهدات حبرا على ورق تقريبا، إذ أن الكثير مما تم تدميره، خلال سنوات 2008 و2009 و2012 و2014، بقي مدمرا، وأضيف له دمار واسع في سنتي 2020 و2021.¹⁹²

وقد يشكل موضوع إعادة الإعمار ورقة ضغط كبيرة على حماس لإجبارها على تقديم تنازلات كبيرة، غير أن الحركة ما زالت صامدة بعد مرور عام كامل على الحرب، وقد يكون لتطورات الحرب تأثير كبير على مستقبل حماس ومعها القضية الفلسطينية، خاصة في ظل توسع الحرب وتحولها إلى حرب إقليمية تتلقى فيها دولة الاحتلال ضربات مؤلمة تجربها على تقديم تنازلات للشعب الفلسطيني.

ولكن هناك عوامل تقف عائقا أمام حصول أي تقدم سياسي فلسطيني نحو إنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطينية، ويرى هاني المصري أن أهم هذه العوامل تتمثل في:

- 1- رفض إسرائيلي للتسوية؛ ما يتطلب توليد ضغط داخلي وخارجي، وخصوصًا خارجي، حتى يصبح الاحتلال يسبب خسائر أكثر مما يحقق من أرباح؛ ما يؤدي إلى دحره.
- 2- وجود طرف فلسطيني يراهن على هزيمة المقاومة وصد من صمودها، ويخشى من الانحياز لشعبه، لذا اتخذ موقف الحياد والانتظار إلى حين اتضاح نتيجة الحرب ليحدد موقعه في ضوءها، متوهماً أنه سيكسب ويتجنب الخسائر، على الرغم من اتضاح أن الحرب ضد الفلسطينيين جميعاً، وتستهدف تصفية قضيتهم من مختلف جوانبها.
- 3- أن الإدارة الأميركية الحالية والإدارة القادمة إذا فاز مرشح الحزب الجمهوري لا توافق على قيام دولة فلسطينية حقيقية، بل إن إدارة بايدن تبحث عن قيام دولة فلسطينية ليس لتجديد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، بل لتساعد على تحقيق الأمن الإسرائيلي ومنع قيام دولة ثنائية القومية، وتحافظ على إسرائيل بوصفها دولة يهودية، ومن أجل دمج إسرائيل في المنطقة بما يضمن استمرار الهيمنة الأميركية على المنطقة، وإقامة شرق أوسط جديد يحد من تقدم الصين وروسيا وإيران.
- 4- سقف الموقف العربي الرسمي منخفض، ويجعل هذا في حال استمراره احتمال أن تقبل السعودية بمقايضة التطبيع المعجل مقابل وعد بقيام دولة فلسطينية أمراً وارداً.
- 5- لا تزال الصين على الرغم من تحسن وتقدم موقفها تحافظ على علاقات جيدة مع إسرائيل ولم تلق بتقل كبير ينافس أميركا بقوة على النفوذ في المنطقة وتعتمد سياسة الصعود السلمي البطيء.¹⁹³

بدون تحقيق وحدة فلسطينية والذهاب نحو استراتيجية وطنية موحدة تستثمر عوامل القوة وعودة القضية الفلسطينية إلى الصدارة والأثر الأمني والعسكري والاقتصادي الذي خلفته عملية طوفان الأقصى وتفاعل جبهات الإسناد معها، سيظل هناك عائق كبير أمام العمل الفلسطيني لمواجهة المشروع الصهيوني ومحاولة انتزاع الحقوق الفلسطينية. فالمشروع الصهيوني يسارع الخطى للوصول إلى مرحلة حسم الصراع وإنهاء القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني، وعلى الرغم من تكاليف حرب الاستنزاف والتوترات الأمنية المتصاعدة والخسائر الاقتصادية وتحول الرأي العالمي ضد دولة الاحتلال، فإن مشروع الضم والاستيطان

¹⁹² هديل رزق - القزاز، نيات حسنة أم أجدات سياسية: إمكانات إعمار غزة وتحديات التمويل الخارجي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

<https://www.palestine-studies.org/ar/node/1655228> :2024/2/19

¹⁹³ هاني المصري، سيناريوهات مسار التسوية بعد طوفان الأقصى، عرب 48، 2024/1/30: <https://linkshortcut.com/TqEmI>

يسير في الضفة الغربية بسرعة كبيرة في محاولة لحرق المراحل واستغلال ظروف الحرب في فرض وقائع على الأرض.

الخاتمة

تحولت معركة طوفان الأقصى إلى صراع إقليمي على هوية المنطقة وشكلها بين قوى تسعى جاهدة للتطبيع وإدماج دولة الاحتلال في المنطقة وقوى تحاول منع هذا السيناريو وتعيد تعريف القضية الفلسطينية وموقعها في العالم العربي والإسلامي كقضية مركزية للأمة، وتعيد تعريف المشروع الصهيوني كأساس لكل المصائب والنكبات التي تصيب الأمة. وضمن هذا السياق فإن هناك جوانب إيجابية حدثت على صعيد الأمة من أهمها تراجع البعد العربي في الصراع لحساب البعد الإسلامي الأعم، إذ أن الدول العربية وأنظمتها الرسمية كانت إما صامتة وإما متواطئة خلال الحرب، في حين برزت قوى إسلامية، عربية وغير عربية، مثل إيران وتركيا إضافة إلى حركات المقاومة الإسلامية في المنطقة، كداعمين ومساندين للقضية الفلسطينية من منطلقات إسلامية. وهذا الأمر هو، عمليا تصحيح للمسار، في ظل حالة الانحطاط العربي التي نعيشها. وإلى ذلك، فإن مجريات الحرب وتطورها قد أدت إلى تراجع حدة الصراع السني الشيعي، وهو أمر سيكون له تأثير مستقبلا على عدد من الأزمات في المنطقة، إن أحسنت القوى الفاعلة التقاط هذه الفرصة.

غير أنه من المهم التأكيد على أن طوفان الأقصى، معركة سنتلونها معارك، وليس بالضرورة أن تكون عسكرية، وليس بالضرورة أيضا أن تكون في قطاع غزة. فما بدأ في طوفان الأقصى، قد وُلد فرصا ومخاطر، والفرص بحاجة إلى استغلال واستثمار واستكمال، وأما المخاطر فهي بحاجة إلى مواجهة وتصعيد للمقاومة، خاصة في الضفة الغربية حيث المشروع الصهيوني يسارع إلى حسم الصراع.

فمن المهم البناء على طوفان الأقصى، وما أحدثته من عودة الزخم للقضية الفلسطينية، وما فرضته من معادلة صعبة في الإقليم والعالم، بأن الفلسطينيين رقم صعب في المنطقة ولا يمكن تجاوزهم والسير في مشاريع التطبيع وتصفية القضية الفلسطينية دون أخذ الفلسطينيين وحقوقهم ومطالبهم في الحسبان. وعلى أية حال، فالحرب ما زالت دائرة وتأخذ منحى تصاعديا وقد يحولها إلى حرب إقليمية، بقدر ما تهدف من ورائها دولة الاحتلال، وحلفاؤها، إلى إعادة تشكيل المنطقة على الشكل الذي تريده، فإنها قد تكون الحرب التي توقف الغرطسة الإسرائيلية والتماهي الغربية معها والسعي العربي الحثيث نحو التطبيع في ظل ما قد تتعرض له دولة الاحتلال من تبعات وخسائر.



جمعية مجموعة التفكير الإستراتيجي
Strategic Thinking Group Association

    @stg.center   +90 553 515 23 42